

الجزء الأول

المجلد الرابع والثلاثون

مجمع لغة

المجمع العالمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ م

٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ هـ

مجلة  
المجمع العالمي العربي  
دمشق

الاشتراك سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري  
} وفيسائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً



## قصيدة

### منصور التّاري في الرشيد

منصور بن الزبير قان<sup>(١)</sup> بن سلامة المخري<sup>(٢)</sup>، ينتمي إلى قبيلة التمرين بن قاسط من ربيعة بن نزار، من العرب المدناوية. وهو من رأس العين في الجزيرة؛ وتليذ كثيرون بن عمرو المخري وراديته، عنه أخذ ومن بحره استنق<sup>هـ</sup> محدود من قول شعراء الدولة العباسية في القرن الثاني. فرّظه المخري عند الفضل بن يحيى البرمكي فاستقدمه من الجزيرة إلى بغداد واستصحبه ثم وصله بهرون الرشيد، فمدحه بالمدائح الجياد ونال كثيراً من عطاياه، وكان يتوجه إلى الرشيد بالخوالة من جهة تنتيجة المخربة أم العباس بن عبد المطلب. وتوفي بالرقة<sup>(٣)</sup> في خلافة الرشيد (١٧٠ - ١٩٣).

كان علي بن الجهم يقول: «أنا أشعر من أصرى» القيس، والمخري أشعر مني<sup>(٤)</sup>. وأحسن شعره قصيدة العينية التي مدح بها الرشيد، فهي من أحسن القصائد في الشعر العربي في جميع عصوره. قال ابن المطر في طبقات الشعراء: «هذه القصيدة عجيبة، وتشبيهاً في الشّباب لم يقل مثله أحد». وقال أيضاً: «قد أقام القيامة في تشبيب هذه القصيدة بالشباب». والنقاد الذين فرظوا هذه القصيدة واستشهدوا بعدد من أبياتها وجعلوها أمثلة في الإحسان كثيرون.

(١) وقيل منصور بن سلامة بن الزيرقان. الأغان ١٤٠/١٣.

(٢) النسبة إلى التمر بن قاسط المخري.

(٣) طبقات الشعراء لابن المطر ص ٢٤٤.

(٤) طبقات الشعراء ص ٤٣٨.



وهذه القصيدة - على حسنها - لا يعرف منها حق الآن إلا أبيات موزعة في كتب الأدب والترجم . ولا توجد كاملة إلا في مخطوطة « جهرة الإسلام ذات النثر والنظام » لأمين الدين أبي الفتايم مسلم بن محمود بن رسelan الشيزري <sup>(١)</sup> . وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وستون بيتاً لا يعرف منها إلا نحو من عشرين بيتاً . متفرقة هنا وهناك غير مسلسلة ولا صربة ، فلما ظفرنا بها كاملة بذلك الجهد في تحقيقتها ونشرها ، وتصحيح ما حرف من ألفاظها . أما مصادر ترجمة منصور النمرى التي أخذنا منها هذه النبذة المختصرة في التعريف به فهي :

طبقات الشعراء لابن المعزز ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ص ٢٤٢ - ٢٤٨

وص ٤٣٨

الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى طبعة دار الكتب المصرية ج ١٣  
ص ١٤٠ - ١٥٧

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٦٥ - ٦٩  
ونرجو أن نعود إلى ترجمة هذا الشاعر وأخباره وما بقي من شعره ونستعين  
به على كتابة دراسة وافية له في وقت قريب إن شاء الله .

خليل مردم بل

(١) انظر مقالنا في التعريف بهذه المخطوطة في مجلة الجمع العلمي العربي ٣٣٣ ص ٣ :



قال منصور النمراني يدح هرون الرشيد :

ما تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعٌ  
 إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا<sup>(١)</sup> لَيْسَ مَرْجِعٌ<sup>(٢)</sup>  
 بَانَ<sup>(٣)</sup> الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِشَرَّتِهِ<sup>(٤)</sup>  
 مَا كُنْتُ أَوِي شَبَابِي كُنْهَةَ عِزَّتِهِ<sup>(٥)</sup>  
 تَعْجَبَتْ أَنْ رَأَتْ أَسْرَابَ دَمَقَتِهِ  
 إِنْ كُنْتَ لِمَ تَطْمِي مُكْلَلَ الشَّبَابِ وَلَمْ  
 لَوْقَدْ لَبِسْتِ قِنَاعَ الشَّيْبِ كَانَ لَنَا  
 أَنْكِي شَبَابًا سُلْبِنَاهُ وَكَانَ وَلَا  
 مَا كُنْتَ أَوْلَ مَسْلُوبٍ شَبِيبَتِهِ

(١) في الأصل : شباباً .

(٢) في الأصل : مرجع .

(٣) أودى الشباب . . . طبقات الشمراء لابن المعتز ص ٢٤٥

(٤) حَسْرَةُ الشَّبَابُ : نشاطه ، وفي الأُغَانِي : بلذته .

(٥) . . . وأيامَ لَنَا خَدْعٌ . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٥٣/٢ .

(٦) يَسْرَتِهِ ، طبقات الشمراء والأُغَانِي والإنجاز والإنجاز للشماوي ص ١٦٦  
 وديوان المعاني .

(٧) ويَلْعَ فَلَانْ بَفَلَانْ بَوْلَعَ وَلَمَّا : إِذَا لَجَ في أَصْرَه وَحَرَصَ عَلَى إِبْذَاهِهِ .



قِلْكَ الْأَسَى<sup>(١)</sup> مِنْ لَدَاتِي<sup>(٢)</sup> فِي رُوْ وَسِيمٍ  
 عَمَّا يَمِّ الشَّيْبِ مُنْجَابٌ<sup>(٣)</sup> لَهَا الصَّلَمُ  
 لَا تَعْذِلِينِي فَإِنِّي غَيْرُ كَافِيَ  
 عَنْكَ الْكَذُوبُ<sup>(٤)</sup> وَلَا فِي وَدِكَمْ طَمَعٌ  
 قَدْ كُنْتُ فِي كُنْ دَاجَاهِ وَذَامِقَةً<sup>(٥)</sup>  
 أَيْمَانَ غُصْنٍ شَبَابِيَ لَيْنَ تَرِعَ<sup>(٦)</sup>  
 إِنِّي لَمْ يَقْتَرِفْ مَا فِي مِنْ أَرَبَ  
 لِلْفَانِيَاتِ فَا لِلنَّفْسِ تَنْخَدِعُ  
 مَا وَأَجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنِي وَإِنْ وَمِقَتْ<sup>(٧)</sup>  
 لَوْلَا تَعْزِيزِكَ أَنْ الْمَيْشَ مُنْقَطِلُ  
 لَا بَلْ بَقَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا  
 فِيهِ الْغَنِيَ وَحِيَاةُ الدِّينِ وَالرَّفْعُ  
 إِنْ أَخْلَفَ أَغْيَثَ لَمْ تُخْلِفْ تَخَالِيْلَهُ<sup>(٩)</sup>  
 إِنَّ الْخَلِيلَةَ هَرُونَ الَّذِي أَمْتَلَّتْ  
 مِنْهُ الْقُلُوبُ رَجَاهَ تَحْتَهُ فَرَعَ<sup>(٨)</sup>

(١) الأَمَى<sup>١</sup> والِأَمَى<sup>٢</sup> : جمع أضواة وهي القدوة وما يتميز به الحزين .

(٢) اللَّدَات : جمع لذة وهو الترب الذي ولد منه وتربي .

(٣) انْجَاب : انشق وانكشف .

(٤) الْكَذُوبُ : النفس لأنها تحدث الإنسان بالأمور التي لا يبلغها وصعده . وفي الأصل<sup>٣</sup> : اللدوب وهو من صهو الفاسخ .

(٥) المَقَةُ : المحبة .

(٦) التَّرَعُ : الفَضْ<sup>٣</sup> . بقال عشب نرع إذا كان غضاً (الناج) .

(٧) وَمِقَاتْ : أحبت .

(٨) في الأصل : وصرجع ، والنصحبع من أمالى القالى ١١٢/١ ومحاسة ابن الشجاعي

ص ٢٣٩ .

(٩) الْخَالِيلُ من السحب : النذرة بالملط . أنامه : العددة ٢/١١٠ .

مَفْرُوضَةٌ فِي رِقَابِ النَّاسِ طَاعَتُهُ  
عَاصِيهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ مُنْقَطِعٌ<sup>(١)</sup>  
فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ أَلْخَنْسِ يَنْتَفِعُ  
أَئِنْ لَيْسَ لِي عَنْ وَلِيٍّ أَلْأَمْرِ مُنْقَطِعٌ<sup>(٢)</sup>  
لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْأَحْزَابُ وَالشِّعْرُ  
أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنَ الْأَحْدَاثِ مُنْقَطِعُ  
وَالْحِجَّةُ لِلنَّاسِ وَالْأَغْيَادُ وَالْجَمْعُ  
إِسْلَامٌ صَبَّ الْمَرَاقي لَيْسَ يُطْلَعُ  
مِنْ كُلِّ ذَاكَ الْنَّدَى<sup>(٣)</sup> أَحْوَاضُهُ تَرْعَى  
فِي كُلِّ عَامٍ وَإِنْ زُوَارُهَا شَسُّوا  
إِذَا سَرَى بِوْفُودِ اللَّهِ وَأَتَبَّوا  
وَقَدْ يَرَى خَفْضَ مَنْ يَلْهُ وَيَتَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
أَيْمَرِي<sup>(٥)</sup> بَاتَ مِنْ هَرُونَ فِي مَسْخَطٍ  
أَنْتَيِ عَلَى اللَّهِ إِحْسَانًا وَأَشْكُرُهُ  
أَضَفَتُ وَدِي لَهُرُونَ وَشِيعَتُهُ  
لَمَّا أَخَذْتُ بِكَفِي حَبْلَ<sup>(٦)</sup> طَاعَتُهُ  
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي طَابَ الْجَهَادُ بِهِ  
حِصْنَهُ بَنَتُهُ يَمِينُ اللَّهِ يَسْكُنُهُ أَلَا  
يَقْرِي الْمَدُوْلَ الْمَنَّاْيَا وَالْمَفَاهَةَ نَدَى  
صَبَّ إِلَى اللَّهِ زَوَارُ لِكَعْبَتِهِ  
لَا يَحْفِلُ الْبُمْدَ مِنْ دَارٍ وَلَا وَطَنٍ  
عَزَّافَةُ<sup>(٧)</sup> النَّفْسِ لَا يَلْوِي عَلَى دَعَةٍ

(١) كذا وامل الصواب مُنْقَطِعٌ .

(٢) من لم يكن بأمين الله معتصماً فليس . . . . . العدد ٢ / ١١٠

(٣) كذا وامل الصواب مُنْقَطِعٌ .

(٤) في الأصل : جُلَّ طاعته .

(٥) القراء . . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١ / ٥٩ .

(٦) في الأصل : عَزَّافَةُ .

(٧) بَقْدَعُ : يسكن إلى الدعة والخفض والراحة . وفي الأصل : يبتدع . وهو تحريف .

تُوْبَكَةَ لَمْ يُجْتَمِعْ إِلَى بَلْدٍ  
 وَتُرْهِي بِهِ عَرَفَاتٌ<sup>(٢)</sup> حِينَ يَنْدَعُ  
 تَلْكَ الْمَنَازِلُ إِنْ غَبَّتْ زِيَارَتُهُ  
 يَقْظَانٌ لَا يَتَعَايَا يَالْحُطُوبِ إِذَا  
 مُسْتَحْكِمُ الْأَرْأَى مُسْتَهْنِي بِوَحْدَتِهِ  
 لَا يَمْلِكُ أَبْغَلُ مِنْ هَرُونَ أَنْثَلَهُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا بَلَغْنَا جَمَالاً<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ لَمْ تَرَنَا  
 أَدْيٌ إِلَيْكَ مَطَا يَانَا وَأَرْجَلَنَا<sup>(٦)</sup>  
 مِنْ كُلِّ سَعْيِ الْحُطُوبِ أَوْ كُلِّ يَهْمَلَةٍ<sup>(٧)</sup>

---

إِلَّا تَخْرُقَ فِيهِ الْرَّأْيُ وَالشَّبَعُ  
 وَالْمَشْرَانِ<sup>(١)</sup> وَتَأْسِي حِينَ يَنْدَعُ  
 تَحْتَ كَمَّا يَسْتَعِنُ أَلْوَاهُ الْفَزْعُ  
 نَابَتْ وَلَا يَعْتَرِيهِ الْفَضْيَقُ وَالْزَّمْعُ<sup>(٣)</sup>  
 عَنِ الْأَرْجَالِ بِرَبِّ الْدَّهْرِ مُضْطَلِعُ  
 وَالْجُودُ يَمْلِكُهُ وَالْمَالُ يُنْتَزِعُ  
 لِلْمَحَادِثَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَخْتَمِشُ  
 تَقَادُفُ السَّيْرِ إِنَّ الْخَيْرَ شَتَّى  
 خُرُوطُهُمَا يَا لِلنَّامِ الْجَمْعُ مُلْتَقِعُ

(١) تَخْرُقَ : توسيع .

(٢) عَرَفَاتٌ : موقف الحاج على اثنى عشر ميلاً من مكة . وأراد بالمشرين : المشعر الحرام وهو من دلفة وجمع وهو من مناصك الحج .

(٣) الزَّمْعُ : الدَّهْشُ .

(٤) كذا ولعلها أَنْسُمْلَةٌ لأن جمع أَنْفَلَةِ أَنَافِلَ وَأَنْسُمْلَاتِ لَا أَنْسُمْلَ .

(٥) اذا بلغنا جمال الأرض . . . . ديوان الماعنی ١ / ٥٩ .

(٦) في الْأُصْلِ : وأَرْجَلَنَا وهو تحريف .

(٧) الْيَهْمَلَةُ : الناففة النجيبة .

وَكَبْ مِنَ النَّمَرِ<sup>(١)</sup> عَادُوا بِابْنِ عَمَّتِهِمْ<sup>(٢)</sup>  
 مِنْ هَاشِمٍ حِينَ لَعْجَ الْأَزْلَمِ الْجَذَعَ<sup>(٣)</sup>  
 مَتَوَالِيَّاتِ يَقْرَبُ مِنْكَ تَفَرِّضُهَا<sup>(٤)</sup>  
 لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ<sup>(٥)</sup>  
 قَوْمٌ هُمْ وَلَدُوا أَلْعَبَاسَ وَالْدَّكْمَ<sup>(٦)</sup>  
 وَأَنْتَ تَرْجُّ وَعِنْدَ الْمَرْءِ مُضَطَّعٌ<sup>(٧)</sup>  
 يُؤْشِي<sup>(٨)</sup> الْمُؤْيُونَ إِذَا هَرُونُ وَاجْهَاهَا<sup>(٩)</sup>  
 فُورٌ تَكَادُ لَهُ أَلْأَبْصَارُ تَأْتِمُ<sup>(١٠)</sup>  
 مُبَاشِرٌ لِأَمْوَارِ الْمُلْكِ مُبْتَدِلٌ<sup>(١١)</sup>  
 فِيهَا قَرِيقَةَ رَأَيِّ مَا يُهِ طَبِيعٌ<sup>(١٢)</sup>  
 تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الْرَّأْيِ تَجْرِيَهُ<sup>(١٣)</sup>  
 عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَا يَقْهَا قَمَعٌ<sup>(١٤)</sup>  
 إِنَّ الْمُكَارِمَ وَالْمُتَرَوْفَ أَوْدِيَةٌ<sup>(١٥)</sup>

(١) النَّمَرُ : قبيلة الشاعر وتسكين الميم لضرورة .

(٢) يشير بذلك إلى أن أم العباس بن عبد المطلب جد بني العباس كانت نورية وأسمها تتبيلة النمرية (طبقات الشعراء من ٢٤٤) .

(٣) الْأَزْلَمِ الْجَذَعَ : الدهر الشديد الكثير البلايا .

(٤) كذا ولعلها (تفرضها) أي توجها وقدرها أو (تعرفها) .

(٥) في الأصل : ينشى .

(٦) تلهم : تذهب .

(٧) كذا ولعلها مبتدية .

(٨) الطَّبَيْعُ : الشين والعين والكسر .

(٩) كذا ولعلها تهزبه أي تشتد عليه والضمير راجع إلى ظلمات الرأي .

(١٠) القَمَعُ : فساد في موق المين وقلة النظر عمش .

(١١) ننسع ، الْأَغَانِي .

إذا رَفِتَ أَمْرًا فَاللهُ يَرْفِعُهُ<sup>(١)</sup>  
 تَقْسِيِ فِدَاوَةَ وَالْأَبْطَالُ مُهْلَكَةٌ  
 كَمْ ضَرَبَةٌ لَكَ تَحْكِيَ فَا<sup>(٤)</sup> قُرَاسِيَّةٌ<sup>(٥)</sup>  
 أوْ طَعْنَةٌ تَقْدَتْ حَتَّى بَدَا وَضْعُ  
 يَارُبَّ قِرْنٍ تَخَطِّيَتْ الْمُتُوفَ إِلَى  
 كَمْ شَدَّةٌ لَكَ لَوْ كَانَتْ عَلَى جَبَلٍ  
 لَيْلٌ مِنْ النَّقْعِ لَا تَجْمِعُ وَلَا قَمِعُ  
 أَلْقَى بَنُو<sup>(١٠)</sup> أَلْأَصْفَرِ الْأَدْقَانَ وَأَشْتَمَلُوا

إذا رَفِتَ أَمْرًا فَاللهُ يَرْفِعُهُ<sup>(٢)</sup>  
 يَوْمَ الْوَغْيِ وَالْمَنَايَا<sup>(٣)</sup> يَنْهُمْ قُوعُ  
 مِنَ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهَا شَمْعُ  
 مِنَ السُّنَانِ وَرَاءَ الْمَتْنِ مُذْرَعُ<sup>(٦)</sup>  
 حَوْبَائِهِ<sup>(٧)</sup> وَعَجَاجُ الْمَوْتِ يَرْتَفِعُ  
 لَا نَهَدَّهُ مِنْ دَرْزِهَا<sup>(٨)</sup> أَوْ كَادَ يَنْقَلِعُ  
 إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ<sup>(٩)</sup>  
 ذُلُّ الْخُنُوعِ وَكَانُوا قَطُّ مَا خَفُوا

(١) رافعه . العمدة .

(٢) مُضْعِعٌ ، الأغانى و تاريخ بغداد والعمدة .

(٣) في الأغانى : « والمنايا صايرها فزع » ؟

(٤) أي تشبه في قراسية .

(٥) في الأصل « قراسية » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، والمصعب : جمع مصعب وهو الفحل .

(٦) في الأصل : مُذْرَعٌ والصواب ما أثبتناه . بقال : اذْرَعَ ذراعيه من الجبة : أخرجهما .  
 (٧) الحوباه : النفس .

(٨) المراد بالزن : الشقل ، بقال رَزَنَهُ رَزْنًا : رفعه لينظر ما نقله .

(٩) في الأصل : الشَّرْعُ . وهو تحريف . والمذروبة الشرع : الامنة المشترعة .

(١٠) بنو الأصفر : الروم .

وَالْيَتَ حَوْلَاً<sup>(١)</sup> مَهَاراً فِي بِلَادِهِمْ  
 وَالْمُتَنَاهِيَا سَحَابٌ لَّيْسَ يَنْقَشِعُ  
 كَلَّا أَنَّاخَ أَمِيرٌ أَمْوَأْمِينَ بِهِمْ  
 وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ وَالْمَوْتُ مُكْتَبِعٌ<sup>(٢)</sup>  
 خَاصَتْ إِلَيْهِمْ خَايِجَ الْبَخْرِ هَيْبَتْهُ  
 فَادْعُنُوا بِأَدَاءِ الْخَرْجِ وَافْتَجِعُوا  
 عَادُوا بِسَبَبَةٍ حِيَطَانٍ فَسَوْرَهَا  
 جُنْدٌ مِّنَ الْرُّعْبِ لَمَّا نَاهَمُمْ خَضَعُوا  
 حُكْمُ الْخَلِيفَةِ هُرُونٍ يُذَكِّرُنَا  
 أَحْكَامَ أَحَدَ بَلْ أَخْلَاقَهُ جُمِعَ  
 مَشَابِهٌ مِّنْ قَبِيلِ اللَّهِ تَنْزِعُهُ<sup>(٣)</sup>  
 إِلَى الْمَحَاسِنِ وَالْأَشْبَاهِ تُنْتَزَعُ  
 وَمِنْ يَوْمَ الْهَدِيَ الْمَنْصُورِ يَانَّهُ  
 قَهْرُ الْأُمُورِ وَحَزْمٌ حِينَ يَقْتَرِعُ  
 وَقُشْبَهُ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَ مَرَّهَةٌ  
 وَمَا أَخْلَّ وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ بِهِ  
 مُحَمَّدٌ بْنُ<sup>(٤)</sup> عَلَيٍّ فُورُهُ الصَّدِيعُ  
 دُرْيَةٌ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ أَضْطَنَفَتْ  
 فَالْحَقُّ مَا نَطَقُوا وَالْحَقُّ مَا شَرَعُوا  
 يَابْنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا زَ—نَ الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَ النَّاسُ أَمْ<sup>(٥)</sup> دَفَعُوا

(١) في الأصل : جولاً مهاراً .

(٢) مكتبع : حاضر دات .

(٣) تَزَعَ الولد أباء وإلى أبيه : أشهيه .

(٤) محمد بن علي : هو والد السفاح والنصرور .

(٥) في الأصل : «أو» واخترنا رواية طبقات الشمراء .

إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ إِذْنَ رَبِّ الْكَوْكَمْ<sup>(١)</sup>  
مِنْ دُونِ تَيْمٍ وَعَفْوُ اللَّهِ مُتَسْعٌ<sup>(٢)</sup>  
لَوْلَا عَدِيٌّ<sup>(٣)</sup> وَتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وَصَلتْ<sup>(٤)</sup>  
إِلَى أُمَّةَ تَسْرِيْهَا<sup>(٥)</sup> وَتَرَقَضَ  
تِسْعِينَ عَامًا إِلَى عَشْرٍ مُجَرَّمَةَ<sup>(٦)</sup>  
مِنَ السَّنِينَ وَأَنْفُ الْحَقِّ يُجَتَّدُ  
وَمَا لِالْأَلَّالِ عَلَيْيِ فِي إِمَادَتِكُمْ طَمَعُ  
يَا إِلَيْهَا النَّاسُ لَا تَزَبُّ عُقُولَكُمْ  
وَلَا تُضِيقُكُمْ إِلَى أَكْنَافِهَا الْبِدَعُ  
قُولَ<sup>(٧)</sup> النَّصِيحَ إِنَّ الْحَقَّ يُسْتَمِعُ  
آمِمُ أُولَئِنَّ مِنْ أَبْنَ أُلْمَمْ فَاصْتَمِعُوا

قال أبو العباس<sup>(٨)</sup> : هذه القصيدة من نادر شعره ، وصيده مدحه ، وفيها  
أشياء نحن ذاكروها إن شاء الله ، ومنبهون على ما فيها ، ومحسرون بذلك أجمع .  
أما ما ذكره فيها من البكاء ، فكلام متقدم لا يعرف له حدث مثله ،  
من ذلك قوله :

ما تنفهي حسرة [مني ولا جزع] إذا ذكرت شباباً ليس برجوع [

(١) بنو قيم بن عمرة : من قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) في الأصل : «بنسع» واخترنا رواية طبقات الشعرا وموضع هذا البيت في  
طبقات بعد الذي يليه هنا .

(٣) بنو عدي بن كعب : من قريش منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) مرأى الناقة : مسمى ضرعها اتدر .

(٥) في الأصل : «محرمة» والصواب ما أثبتناه . ومعنى المحرمة : التامة .

(٦) في الأصل : «قول النصيحة إن الحق مُستَمِعٌ» واخترنا رواية طبقات الشعرا .

(٧) لعله عبد الله بن المعتز فقد كان يكتفي بأبي العباس .

وقوله :

ما كنت أوفي شبابي [كنه هنّه] حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع [١]

وقوله :

إن كنت لم تطعوني [ثكل الشباب ولم تشجعي بفضله فالعذر لا يقع]  
معنى هذا البيت : أني وإن اعتذرت من جزعي عليه ، ووصفت الرزبة فأصبت وأطنبت ، فغير بالغ حقيقة وصفه ، وإنما يفهم منه مثل ما فهمت ، من بلي بليل ما بليت ، فكانه شيء لا يعرف حقيقته إلا من شاهده ، دون من وصف له .

وما يستحسن من خروجه قوله :

قد كدت تقضي على فوت الشباب [أمي] لو لا تمزيك أن العيش منقطع [٢]  
يقول : إن الناس ماضون ، فاما خارجون عن الشباب من السن ثم الموت ،  
واما ميتون قبل ذلك .

وقوله : لو لا تعزيك أن العيش منقطع <sup>(١)</sup> .

وخروجه أيضاً :

لابل بقاء أمير المؤمنين لنا فيه الفقى وحياة الدين والرّفع  
الرّفع : جمع رفة .

وقوله : يبن الله <sup>(٢)</sup> : قوة الله وكذلك قيل في تفسير هذه الآية «والسموات مطويات بيته» .

انهى من «البهرة»

(١) كذا ولم هذا السطر زائد .

(٢) في قوله :

حصن بنته يبن الله يسكنه لا إسلام صب المراقبي ليس يطلع

## أسماء الشهور في العربية<sup>(١)</sup>

كثيراً ما نسائل الذين يؤمنون بالتأريخ الميلادي ، عن حقيقة أسماء الشهور التي تُستعمل في الأقطار العربية الشرقية ، وأسماء الشهور التي تُستعمل في الأقطار العربية الإفريقية . وكثيراً ما نسائلوا عن أيها أصلح لبقاء . وهذا الموضوع واسع ر بما ملاً كتاباً برأيه . واني أخلصه بالكلمات التالية ، وأنهها برأيي في جواب مسائل السائل عنه .

### أسماء الشهور العربية :

كان أجدادنا العرب الأقدمون ، سواء في جنوبية جزيرة العرب أو في شمالها ، قبل الميلاد وبعده ، يستعملون للشهور أسماء شقي منها ( ذو جتنين وذو قعن وذو يوم اخر ) في الجنوب ، ومنها ( المؤتير وناجر وخوات وصوان اخر ) في الشمال . وقد دثرت هذه الأسماء وأشباهها .

ولم تعش الا أسماء الشهور العربية التي كانت شائعة عند عرب المجاز خاصة قبيل ظهور الإسلام فاستعملها المسلمون في التأريخ المجري وهي : ( المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر اخر ) وكلها أيام معروفة وشائعة في جميع البلاد العربية والإسلامية . وهي خارجة عن نطاق بحثنا هذا .

### أسماء الشهور السامية الأصول :

من المعلوم أن السنة المجربة هي سنة قريبة ، وأن الفضول لا تثبت إلا في السنة الشمسية . فعندما ثبتت الفتوحات الإسلامية الشام والعراق مت الحاجة ،

(١) سألت وزارة التربية والتعليم من رأي الجمع في موضوع أسماء الشهور السامية الأصول ، وأسماء الشهور الالاتينية النجاري التي تُستعمل في التأريخ الميلادي ، فوضع الأمير مصطفى الشهابي هذا البحث ووالقى الجميع عليه .



في الأَعْمَال الزَّرَاعِيَّةِ خَاصَّةً، إِلَى اسْتِعْمَالِ أَسْمَاءِ شَهُورِ تَسَايُّرِ التَّقْوِيمِ الشَّمْسِيِّ، فَاقْتُبِسَتِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا السَّرِيَانُ وَالْكَلَدَانُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ السَّاميَّةِ وَهِيَ: كَانُونُ الثَّانِي وَشَبَاطُ وَآذَارُ وَنِيسَانُ وَأَيَّارُ وَحِزْرَانُ وَتِمْوزُ وَأَبَّ وَأَيَّولُ وَتَشْرِينُ الْأَوَّلِ وَتَشْرِينُ الثَّانِي وَكَانُونُ الْأَوَّلِ.

وَعِنْدَمَا نَقَلَ كَتَبُ الْفَلَكِ وَالْأَزْرَاعِ وَغَيْرُهَا مِنَ الْبِيُونَانِيَّةِ وَمِنَ السَّرِيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ اسْتَعْمَلَتِ فِيهَا أَسْمَاءُ الشَّهُورِ الْمَذْكُورَةِ، ثُمَّ عَمَّ اسْتَعْمَلَهَا الْكَتَبُ الَّتِي أَفْعَاهَا الْقَدْمَاءُ فَصَارَ الْمَرءُ يَرَاهَا حَتَّى فِي كَتَبِ الْأَدْبُورِ وَفِي الْأُبْيَاتِ الشَّعُورِيَّةِ. وَسَكَانُ الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ الْآسِيَّوِيَّةِ لَا يَعْرُفُونَ الْيَوْمَ غَيْرَهَا. وَهِيَ ذَائِفَةُ عَلَى أَسْنَتِهِمْ وَفِي كَتَبِهِمْ.

وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَبَسَتْ صَرِيقَيْهِ. وَقَدْ سَمِّيَّهَا الْأَمْهَاتُ مِنْ مَعْجَانَاتِنَا أَسْمَاءُ رُومَيَّةٍ. وَالصَّحِيفَ أَنَّهَا أَسْمَاءُ سَرِيَانِيَّةٍ، وَأَنَّهَا مُتَّبَعةُ الْأُصُولِ سَامِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، وَأَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا اشْتَرَكَتْ فِيهَا الْأَرَامِيَّةُ وَالسَّرِيَانِيَّةُ وَالْعِبْرِيَّةُ وَغَيْرُهَا. وَالْبَحْثُ فِي أَصْلِ كُلِّ أَسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ طَوِيلٌ. وَكَذَلِكَ الْبَحْثُ فِي التَّقْوِيمِ وَفِي بَدْءِ السَّنَةِ لِدِي الْأَقْوَامِ الْقَدِيمَةِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرُهَا.

### أَسْمَاءُ الشَّهُورِ الْلَّاتِينِيَّةِ فِي الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ:

لَبَسَتْ أَسْمَاءُ الشَّهُورِ الْلَّاتِينِيَّةِ النَّجَارُ مُقْبِسَةً مِنَ الْفَرْنَسِيَّةِ أَوِ الْإِنْكَلِيْرِيَّةِ عَلَى مَا ظَنَّهُ صَاحِبُ الاقتراحِ، بَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ افْتَبَسَهَا الْمَرْبُونُ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْجمِيَّةٍ سَكَانُهَا أَيُّ مِنَ الْمَرْجَعَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ لِلْلُّغَةِ قَشْتَالَةِ الْقَدِيمَةِ وَهِيَ لُغَةٌ مُتَحَدَّرَةٌ مِنَ الْلَّاتِينِيَّةِ. ثُمَّ عَمَّ اسْتِعْمَالُ تَلَكَ الْأَفْوَاظِ الْأَقْطَارِيَّةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ لِصَلاتِ الْأَقْطَارِ الْمَذْكُورَةِ بِالشُّعُوبِ الْلَّاتِينِيَّةِ، وَلِبَعْدَهَا يَوْمَذَاكُ عنِ الشَّرْقِ الْمَرْبِيِّ الَّذِي ظَلَ مُقْبِسًا عَلَى اسْتِعْمَالِ أَسْمَاءِ الشَّهُورِ السَّامِيَّةِ أَيْ كَانُونُ الثَّانِي وَشَبَاطُ وَآذَارُ اخْرَى.

وقد وردت أسماء الشهور اللاتينية في كتب زراعية أندلسية ومغربية قديمة، وذكرها المسعودي (٣٤٦هـ) في (سروج الذهب) والبيروني (٤٤٠هـ) في (الآثار الباقية عن القرون الخالية) فقال نقلًا عن غيره: إن المغاربة يسمون الشهور بالأسماء الآتية: (مايه، يونيه، يوليه، أغست، سبتمبر، أكتوبر، نونبر، دجنبر، يناير، فبراير، مارس، إبريل، مايوس، يونيو، يوليوس، يوليوس، أغسطس، سبتمبريوس، طمبريوس، نوابريوس، دمبريوس). ومن ذكرها أسماء الشهور اللاتينية الأصل القلقشندى (٨٢١هـ) في (صبح الأعشى) وسماها شهور الروم، وبدأها بتشرين الأول وهي: (أكتوبر، نوفمبر، وكذلك نونبر)، (يناير، فبراير، مارس، إبريل، مايه، يونيه، يوليه، أغشت، سبتمبر، وكذلك شتنبر).

ويُنضح من ذلك أن العربية اقتبست من القديم في الأندلس والمغرب أسماء الشهور اللاتينية مثلًا اقتبستها الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وغيرها من اللغات. أما الأسماء اللاتينية التي تستعمل اليوم في مصر فهي أحدث تعریضاً وقد اختلف في نطقها عن الأسماء المغربية القديمة على ما هو واضح. وهامكم الأصول اللاتينية للأسماء العربية التي تستعمل اليوم في الأقليم المصري:

### الأسماء العربية

في مصر	الأصل اللاتيني	اللاحظات
يناير	Januarius	حرف ز (ج) الفرنسي والإنكليزي حديث وهو يلفظ باه باللاتينية.
فبراير	Februarius	وهو Februarius باللاتينية الكلامية.
مارس	Martius	وهو Marzo بالأيطالية والإسبانية Mars بالفرنسية.



<u>الماضيات</u>	<u>الأصل اللاتيني</u>	<u>الامم العرب في مصر</u>
وهو باللاتينية Aprilis وبالإيطالية Abrile وبالإسبانية Abril . حرف ز يلفظ ياء وهو بالإسبانية Mayo . حرف ز يلفظ ياء وهو بالبرتغالية Junho . على اسم بوليوس قيسار لأن ولد في هذا الشهر باللاتينية الشائعة ، باللاتينية الشائعة ، باللاتينية Agustus الكلاسيكية .	Aprilis Majus Junius Julius Agustus	ابريل مايو ( وكذلك مايد ) يونيو ( وكذلك يونيو ) يوليو ( وكذلك يوليه ) أغسطس
الشهر السابع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	September	سبتمبر
الشهر الثامن Octo أي ثانية لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	October	أكتوبر
الشهر التاسع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	November	نوفمبر
الشهر العاشر ( Decem أي عشرة ) لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	December	ديسمبر

### الخلاصة :

ينضح مما ذكره أن أسماء الشهور المستعملة في الأفظار العربية في التاريخ المبتعي كلها غير عربية و تستوي في ذلك الأسماء السامية الأصول والأسماء اللاتينية الأصل . ولكنها جميعها معرّبات قديمة دخلت في العربية وأصبح لها حكم الكلمات العربية المعجمة .

(٢) م

ومن المعلوم أن الأولى (كانون الثاني ، شباط ، آذار انتخ .) هي أقدم تسميًّا ، وأعم ورودًا ، وألصق بتراثنا العلي والأدبي القديم من الثانية . فجميع الكتب التي ترجمها أو ألفها علماؤنا وأدباؤنا القدماء في الشرق العربي لا تذكر غير تلك الأسماء الشرقية . وقد ذكرت أيضًا إلى جانب الشهور القبطية (طوبة ، أمشير ، برمات انتخ .) في كتب ألفت في مصر في زمن الفاطميين والأيوبيين ككتاب قوانين الدواوين لابن عائلي وغيره .

ومما يمكن الامر في الماضي فالعالم العربي في أيامنا هذه فريقان : فريق في جزيرة العرب والشام وال العراق لا يعرف ولا يستعمل في التأريخ الميلادي إلا الشهور السامية الأصول ، وفريق في الأقطار العربية الإفريقية لا يستعمل إلا أسماء الشهور التي هي من أصل لاتيني . ومن أشق الأمور حمل أحد هذين الفريقين على إهمال ما ألف استعماله من الأسماء .

ولا أرى من الحكمة ، في الجمهورية العربية المتحدة على الأقل ، أن تجتمع الحكومة في أعمالها الرسمية إلى ترجيع أحد النوعين من الأسماء على النوع الآخر فتكلفي بوحدة وتهمل الثاني . بل أرى أن فكرة توحيد الثقافة في الأقطار العربية كافة تقضينا اصحابا النوعين من الأسماء المذكورة في المراسلات الرسمية والتدريس الرسمي والأذاعات والكتب وال مجلات والجرائد التي للحكومة سلطة عليها . فإذا أردت إحدى الوزارات في سوريا مثلاً رسالة في نيسان تضع إلى جانبيها كلمة (أبريل) بين حاصلتين . والعكس بالعكس عندما تصدر إحدى الوزارات في مصر رسالة من رسائلها حتى لو كانت تلك الرسالة مختصة بالإقليم الجنوبي دون الشمالي .

وأرى أنه لا يجوز في القوانين خاصة إلا ذكر الأسماء التي لا يستغلق التاريخ على أحد من أبناء الأقاليمين في الجمهورية . وامله من المفید إحالة

الموضوع على المراجع العليا لكي تنظر في أمر إصدار قرار جمهوري يحتم على الوزارات والمؤسسات الحكومية اعتماد اسم الشهر الشرقي واسم الشهر الغربي جميعاً في التأريخ الميلادي ، يجوب بذكر في الإقليم الشمالي الامم الشرقي مضافاً إليه الامم الغربي بين حاصرين ، وبذكر في الإقليم الجنوبي الامم الغربي مضافاً إليه الامم الشرقي بين حاصرين وهكذا .

وربما كان من الوسائل الناجحة إصدار تعميمات إلى محطات الإذاعة في الجمهورية خاصة بأن تستعمل التسميين ، على غرار ما تفعل بعض المحطات الأجنبية للإذاعة . ومن المعلوم أن أمماء الشعور العربي في التأريخ الهجري هي مشتركة يعرفها ويستعملها أبناء جميع الأقطار العربية . وهي خارجة عن نطاق هذا البحث على ما مر ذكره .

### محيط الشهابي

محيط

# العلاقات الجوهرية (\*)

بين اللغتين العربية والأرامية « السريانية »  
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٣ -

وهنا يجدر بنا الإلتفات الى الهمجتين الأراميتين الكبيرتين ، والهججات المفرعة  
عنها ، واليك ذلك :

## ١ - اللهجة الشرقية :

إن اللهجة الأرامية الشرقية هي اللهجة الفصحى النقيّة التي انتشرت يوماً ما  
في بلاد بابل ، وما جاورها من الأمصار ، وفيها نزل جانب من سفر النبي دانيال  
وغيره من أسفار العهد القديم <sup>(١)</sup> . وهي عينها التي تعلمها اليهود في السبي أيام  
نبوخذننصرق م . بسبعة قرون ، واستعملوها كذلك بعد رجوعهم من الجلاء <sup>(٢)</sup> .

إلا أن هذه اللهجة عينها تفرعت الى هججتين متباينتين : الأولى ، وهي  
الفصحي ، وكانت لغة الخاصة ، والثانية ، وهي لغة العامة ، وتمازجها ألفاظ  
واصطلاحات غربية كثيرة <sup>(٣)</sup> .

ويسمى الكتاب المقدس هذه اللهجة عامة (أرامية) <sup>(٤)</sup> . ومهماها ربانيو اليهود  
(سريانية) <sup>(٥)</sup> . ودعماها العهد الجديد (العبرانية) <sup>(٦)</sup> .

(\*) الظرف القسم الأول من هذا المقال في ص من ٥٨٧ - ٥٦٨ من المجلد السابق  
(٣٣) من هذه الجلة .

(١) الممة الشهية ص ١ .  
(٢) فيه أيضاً .

(٣) تاريخ شهوب الشرق القديم لمسيرو ص ٧٧٥ .

(٤) سفر الملوك الثاني ١٨ ، ٢٦ وسفر أشعياء ٣٦ ، ١١ وسفر عزرا ٤ ، ٦ و ٧ ،  
وسفر دانيال ٢ ، ٤ .

(٥) الممة الشهية ص ٥١ .  
(٦) الممة الشهية ص ٥١ .



وأهم اللهجات المتفرعة عن اللهجة الشرقية في بلاد بابل هي اللهجة المانوية<sup>(١)</sup> ، واللهجة الماندية وهي لهجة الصائمة في بلاد بابل . وما زالت موجودة إلى الآن بغير ضئيل<sup>(٢)</sup> ، وبليحق علماء الساميات بها اللهجة النبطية أيضاً<sup>(٣)</sup> .

ومن فروع اللهجة الشرقية أيضاً اللهجة اليهودية بقسميها ، القسم اليهودي والقسم الجليلي ، ثم اللهجة السامرية واحتضن بها مسكن مدينة الساصرة وما جاورها ، وقد أشبعنا هذا الموضوع درسًا في مقال (الثقافة السريانية) الذي نشرناه قياماً في مجلتنا (المشرق) صفة ١٩٤٦ من ٢٥٠ - ٢٥٦ .

## ٢ - اللهجة الغربية :

كانت هذه اللهجة منتشرة في سوريا كلها اعتباراً من مدينة الرها الشهيرة ، ومن نهر الفرات شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ، وتشتمل رابع لبنان كلها ، وكانت لغة الآداب منذ أول عهد الأدب الآرامي ، وفيها تركت المؤلفات النبوية ، وقد ظهرت آثار هذه اللهجة قبل المصر المسيحي بقرون عديدة ، ونقلت عن المياكل الوثنية والتائييل والصخور والأسطوانات وغيرها ، ولم يجد لها فرعاً هاماً خلافاً لللهجة الشرقية .

ويحدثنا العلامة ابن العربي عن تشعب اللغة الآرامية على أثر انتشار أبنائها في الأماكن ، واحتلاطهم بالأمم المجاورة لهم ، وابتعاد اللهجات الآرامية بعضها عن بعض اعتماداً عظيماً ، يقول : « يجب أن نعلم أن اللغة الآرامية انتشرت في بلاد فاسية أكثر من جميع اللغات » ، وهو الذي سبب تشعبها حتى إن الذين كانوا يتكلمونها كانوا لا يفهمون إلا بترجمان . و كانوا يسمون

(١) شابور ص ٣٢ .

(٢) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٥ .

(٣) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٧ - ٧٠٠ .

بعضهم من بعض لغة غريبة ، فإن سكان سوريا يتكلمون لهجة غريبة عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشارقة الذين ابتعدوا كثيراً عن الأصل أكثر من هؤلاء واتبعوا اللهجة الكلدانية وانسبوا إليها»<sup>(١)</sup> .

وإذا اعتبرنا هذه الناحية حسجاً يرويها هذا اللغوي الفيلسوف نجد الفروق التي نشأت بين اللهجات الآرامية أكثر تأثيراً من الفروق الناشئة بين اللهجات العربية ، ونقر أن هذه اللهجات ابتدعت بعضها عن بعض بعضاً شديداً ، إلا أنها نعتقد أن الفروق نشأت بين اللهجات المحكية فقط دون لغة الكتابة والأدب ، لأن الآثار الآرامية المكتشفة تدل على أن تلك الفروق لم تكن فاصلة بين اللهجات الآرامية المختلفة بالشكل الذي شرحه الفيلسوف اللغوي . ومهما يكن فانا نجد أن جميع اللهجات تلاشت ولم يبق إلا اللهجتان المعروفتان ، وهاتان أيضاً لا تختلفان إلا باللفظ فقط ، وهما تتفقان في كل شيء سواء .

ومن صراحت القافية الآرامية التي أفاد منها أكثر ما يكون الفكر العربي مدينة حران الآرامية الوثنية التي ازدهرت في كثير من نواحي المعرفة الإنسانية من علم وأدب ودين ، واتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة ، واستخدمها علماؤها في البلاط العبامي في نقل القسم الكبير من الفلسفة اليونانية ، من اللفتين اليونانية والآرامية (السريانية) إلى العربية<sup>(٢)</sup> .

ونصيبينا من بحث اللهجات العربية والآرامية في موضوعنا هذا هو النظر إلى التطورات المتأتلة التي طرأت على هاتين اللفتين الشقيقتين من جهة ، والتأثير الذي خلقته إحداهما في الأخرى ، وعلى الأخص في القسم الشمالي من الجزيرة

(١) المدخل لابن البري في الكلام عن اختلاف الحركات السريانية - الشرح -

(٢) أخبار الماء وأخبار الحكماء لابن الناطقي ص ٧٧ - ٨٥ وص ١٣٠ - ١٣٣

والهرست لابن النديم ص ٣٨٠ .

العربية ، وفي أنحاء فلسطين والشام وتدمر ، بتأثير عملكتي تدمر والبطراء ، وهو ما كان سبباً في حيازة اللغة العربية مفردات كثيرة ليس في الشمال فقط بل في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، على ما أبناها به علماء الساميات<sup>(١)</sup> .

ومما تجنب الإشارة إليه أن اللغة العربية الشمالية ، القرية من العمار ، والمدنية ، استطاعت انتلاع بقية المهجات المنتشرة في أواسط الجزيرة وفي جنوبها ، وانفردت بالسيطرة المطلقة آخذة مادتها الفزيرة من جميع المهجات القدية البائدة ، ومستفيدة من شقيقتها القربيتين الآرامية والعبرية ، مما أغناها بالألفاظ الفزيرة ، وحملتها بامادة اللغوية التي لا تنضب ، إلا أن الآرامية وإن نلاشت طبختها الفرعية ، فإن طبختها الأصحيتين الشرقيه والغربيه لم تزالا في قيد الحياة ، وفيها مادة لفوية وأدبية صالحة ، وهذا تسيران جنباً إلى جنب منذ المصور الأولى للمسيحية ، لما أفادته من غذاء أدمدهما به علماء الكبار الذين نبغوا في قوى المصور .

والشيء المهم الذي نقرره ، بعد المرور على جميع المهجات العربية والآرامية ، هو أن هاتين اللغتين خضعا لظروف واحدة ، وسارتا تحت تأثيرات متاشاهدة ، وتعاونتا في جميع عصورهما ، على ما نراه في السطور التالية ، ولذلك لا يمكن دراسة نشوء كل منها بمفردها ما لم يبحث في نشوء الثانية منذ مطلع وجودها إلى عصر النضج والازدهار والاتاج .

وما خلا امتزاج لهجات كل من اللغتين وتكوين لغة عربية موحدة ، ونشوء لغة آرامية واحدة أيضاً في المادة مختلفة في اللفظ ، نجد اللغتين الكبيرتين العربية والآرامية تتقاربان في فترات كثيرة من فترات تاريخهما ، وذلك بتأثير الاتصالات التجارية وغيرها ، فتوثر أحدهما في الأخرى وتكون فيها مادة جديدة ، وقد تكون أيضاً أساليب جديدة في اللفظ والتعبير . ولو لا انتشارهما

(١) تاريخ اليهود في بلاد المرب ص ٧٩ - ٨٥ .

الواسع وتزاورهما المستمر لما رأينا هذه الوحدة إلى الآن بينها وحلمنا أموراً وفوائد جنبناها من ذلك التزاور وذياك التقارب ، ولا يخفى أن كثرة مهاجات كل من اللغتين واسعندادها مواد جديدة بفضل الزمن كل ذلك أسعدهما بالقوة والحياة ، ووسع نطاقها ، وسما بها إلى مستوى أرقى اللغات في العالم القديم . وبعد هذه النظارات العاجلة نتقدم إلى تحري موضوعنا بأقسامه الكبرى ، والملك ذلك :

#### ٤ - العلاقات التاريخية بين العربية والأرامية

علينا سابقاً أن هاتين اللغتين أبصرتا الوجود كلتاهم في نحو مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، ولا يمكن تقديم أحدهما على الآخر تاريجياً ، وإن كانت الأرامية تركت آثاراً نسبية صبت فيها الآثار العربية بعهد طوبيل ، وذلك لأسباب اجتماعية تخص الأقوتين الساميتين العربية والأرامية ، فإن العربية بقيت وقتاً طويلاً منزولة في فلواتها الواسعة بعيدة عن أعين التاريخ ، ويظهر أن العزب في تلك الأيام لم يملوا إلى تدوين أخبارهم لأسباب نجهلها ، وربما كان ذلك لعدم انتشار الكتابة عندهم إلى حين ظهور مدنيات عربية في أعماق الجزيرة العربية ، حيث تركت لنا آثاراً وإن كانت قليلة إلا أنها تدل على مستوى هام في الحضارة والمدنية ، وأما اللغة الأرامية فقد تبعث أهلها الأراميين ، فاحتكرت بالأمم المجاورة ، ونشأت فيها حضارات باذخة في وادي الرافدين وسهل سوريا ، وأصبحت لغة دولية بالمعنى الصحيح منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وهذا هو السبب في ظهور آثارها سابقة للآثار العربية بزمن طوبيل . لما كانت العربية والأرامية تتحدران من أصل صامي واحد كان لا بد لها من التعاون التاريخي في مختلف عصورهما <sup>(١)</sup> . وفلا تم الاتصال بين القبائل

(١) حاضرة الأمتداد ديبون سوس في الجامعة السورية سنة ١٩٥١ .

العربية الشهالية وبين أمم سوريا وال العراق الناطقين بالأرامية منذ أقدم العصور التاريخية ، لا مباب كثيرة قد تكون حرية أو تجارية أو اجتماعية ، وبهذه الواسطة تبادلت اللقان القوة والحيوية من الوجهتين العلمية والأدبية ، وقوتلت بينها العلاقات اللغوية ، وهو ما أكسب اللغة العربية على الأخص مادة غنية لا نستطيع حصرها الآن لتقادم العهد عليها<sup>(١)</sup> .

ونجد ، عدا ذلك ، قبائل جمة آرامية تتغول في الجزيرة العربية ، ومتزوج بالعرب أنفسهم حاملةً معها لفتها وحضارتها وساكبة إياها في جدول اللغة العربية ، وقد وجد علماء السامييات في الاهجات العربية المنتشرة عصريًّا مادة لغوية غنية جزموا أنها ليست عربية لأنها تدل على معانٍ دينية وعلمية و عمرانية لم تكن مألوفة عند العرب ، بل هي خاصة بالأقوام العربية والأرامية ، وقد أفادت العربية من ذلك قوة جديدة<sup>(٢)</sup> .

على أن أقدم ذكر لهذه العلاقات بين القبائل العربية القدية وسكان سوريا الآراميين والمعربين ، ورد في النصوص الآشورية ، وتسميهم هذه النصوص باسم « قدرى » كما يسميهم العهد القديم باسم قيدر او بني قيدار ، وهم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، وكانوا رعاة يربون قطمان الضأن والابل ويعيشونها لأهل صور خصوصاً ، ويسكنون الخيام السود المؤلفة من الشقق ، وذكر أشعيا النبي بعض مساكنهم (أش ٤٢ ، ١) وذكر أرميا النبي المعبراني قبائل أخرى من بني قيدار فسموها (حاصور) مستدلة من الكلمة العربية (حصير) — (الخضار) وهم سكان حضائر سحرية مغطاة بالغوص والشوك لحماية السكان والقطمان من الوحش واللصوص .

(١) اسرائيل وللنون ص ١٦٢ .

(٢) Die aramäirchen Fremdwörter in Altarabischen : S. Fraenkel



وتذكر الفصوص الآشورية قبائل أخرى وتسماهم (بني قدم) ومعنى ذلك بالعبرية القديمة (بني المشرق) . ويطلق هذا الاسم على البدو الضاربين عصرئذ في الصحراء السورية العراقية . وأطلق عليهم فيما بعد اسم (Sarakimai) وهي مشتقة من الكلمة (الشريين) العربية . ومثلها الكلمة مختتمة الآرامية . وقد رافقوا النبطيين دهراً طويلاً . ويدرك بني قيدار أيضاً في الرقم الآشوري في أخبار حروب أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) ، وفي أخبار ابنه وخلفه أشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٤٦ ق.م) ويتتابع ذكر القبائل العربية في الرقم الآشوري ، وكثيراً ما سموا بالعرب (أريبي Aribi) . ويتواتر ذكرهم في المصور التالية<sup>(١)</sup> .

ومن هذه المحة الوجيزة نستنتج حصول علاقات متواصلة بين القبائل العربية والآمم الآرامية التي كانت منتشرة في تلك المصور على ضفاف دجلة والفرات وفي سهول سورية وما جاورها من المناطق<sup>(٢)</sup> ، وهو ما أوجد علاقات متواصلة بين اللغتين العربية والأرامية منذ أقدم عصورهما .

هذا ما رأينا في شمالي الجزيرة العربية ، أما في الجنوب فن الراهن ازدهار أربع ممالك متاخرة فيه أقدمها معين ، ثم صبا وحضرموت ، ثم ثقيان . وأقدم اتصال يذكره لهم المؤرخون بسكن وادي الرافدين - ومنهم الآراميون - كان في الألف الثاني ق.م ، وقد اتصلت لغتهم بلغة أولئك الأقوام وروحيتهم بروحيتهم ، فقد رأيناهم يعبدون آلهة عبدها الآراميون وغيرهم قبلهم ، وأكبرها الإله (صين) أي القمر ، ولا نذكر أن اللغة العربية عرفت (القمر) باسم (صين) ، والمعلوم أن هذه التسمية للقمر قديمة جداً وما زالت موجودة في

(١) مقال الأستاذ M. Rodenson ، الكتابات الصدوية ، صور المجلد الثاني سنة ١٩٤٦

ص ١٣٧ - ١٤٢

Barton. op. cit. P. 204. (٢)

اللغة الآرامية الحاضرة . وقد سموه أيضاً (شهر) والمعلوم أن القمر بالآرامية الحاضرة يسمى (شهر أو سهراً) . وما عدا ذلك فقد وجد المتنبوب معبداً للإله (سين) في موضع من حضرموت يدعى (حربيصة) ، ووجدوا بعض الثقوب الحضرمية تشير إلى أنه معبد الإله (سين)<sup>(١)</sup> وكذلك عبد القبيانيون الإله (عم حم) ومناه شعب وقوم في الآرامية ، وهو أيضاً من آلهتهم .

ومما يؤكد علاقة العرب بالآراميين أكثر من هذا مخالفة الأمير العربي (جندب Gindibu) لهد عزيز ملك دمشق الآرامي على الملك الآشوري شلناصر الثالث الذي حاربهم سنة ٨٥١ ق . م في موقعة (القرقار) شمالي حماة<sup>(٢)</sup> . وما لا شك فيه أن مخالفة مثل هذه تخلق وحدة ولفة بين المخالفين سواء من الوجهة الحربية أو الاجتماعية أو اللغوية الأصل الذي يؤكد اتصال العربية بأختها الآرامية اتصالاً متواصلاً .

وإذا وجهنا أنظارنا إلى الرقم التاريخية التي ظهرت نتيجة تنقيبات العلامة في خرائب المدن العربية المندمرة وغيرها ، نجد ما يدهشنا من العلاقات الوثيق بين العربية والآرامية ، وهو ما يؤكد تعاون هاتين اللتين الشقيقةتين في جميع عصورهما ، ويهمن على استقرار الأدلال اللغوي والديني والاجتماعي بين ذينك الشعوبين المظبيين . هذه قبائل ثمود وداراتها في شمال الحجاز ، فهي قد تركت لنا كتابات هامة تفيينا في بحثنا هذا ، وقد تركتها إما في مواطنها هذه أو في غيرها ، ولوحظ أن خطوطها وتماثيرها كانت مستعملة عند قبائل عربية أخرى ، كبلاد نجد وهضاب طور صبا ، ولا يعلم هل انقل هذا الخط من ثموديين

G. Gaton Thompson : The Tombs and Temple of Horeidha

(١)

« Hadramaut » 1944

Luckenbill, op. cit. I, sec 611.

(٢)

إلى تلك المناطق أو القبائل ، أو أن التهوديين أخذوه منهم . وهذا يمكن  
الأس فالمهم في موضوعنا وجودها لا أماكنه .

وأهم رقم من الرقم الثمودية وتأريخه سنة ١٥٦ م<sup>(١)</sup> نراه من يحيى من  
الكلمات العربية والآرامية . والملك ذلك حسباً حله العالم لقان ونثبته بالحروف العربية .  
«دنه قبور صنعه كعبو بر حرثب للقص برش عبد منوي أمه دو هلكت في  
الحجر شنة ماه وشرين وترین بيرح توز ، ولعن مصرى علا من يشنا القبور دا ،  
ومن يفتحه حشى بله ، ولعن من يغير دا على منه » .

وترجمته في الفريدة : «(هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقبض بنت عبد مناف  
أمه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنتين وستين من شهر تموز ) ولهن  
رب العالمين من غير هذا القبر ، ومن فتحه يس بـأولاده (يحس) ولهن من  
غير الذي كتب أعلاه .....» .

في هذا الرقم ثمان وثلاثون كلمة، عشر كلمات منها آرامية صرفه، والباقية  
عربية وثوبدية، وذلك يؤيد ما نحن بصدده، فكلمات «بر وبرث وشنة وشتين  
وترین وبيرج وشنا وحشی» كلها آرامية، وما عدا ذلك في هذا النص ورد  
عدد السفين بالأسلوب الآرامي وهو تقديم المدد الكبير على الصغير كقوله  
«شتين وترین»، وعن الآرامية أخذت العربية هذا الأسلوب في المدد  
واستعمله العرب القدماء كثيراً.

ولدى تأمل بسيط في هذا الرقيم نجد العربية والأرامية متحدين فيه كأنهما لغة واحدة . وقد نجد رقمًا آخر غيره جرت هذا المجرى وربما جرى غيرها مجرى اللغة العبرية ، فزوج بين اللغات الثلاث العربية والأرامية والعبرية <sup>(٢)</sup> .

(١) أي منة ٤٦٢ وفقاً لتأريخ بصرى ، و كانت بصرى أورخ حواشها من تاريخ الفراض مملكة النبط سنة ١٠٦ م .

Thamudenische Inschriften ٢٨ ص ١١٩-١١٥ (٢) وفي كتابه

ولكن مما لا شك فيه أنه في القرن الرابع الميلادي كانت اللغة الأدبية لم تزل اللغة الآرامية<sup>(١)</sup>.

هذا ما يلزمنا قوله في صدد الرقم الثودية . وهو كاف ليدلنا على التلاقي المكين بين اللغتين العربية والآرامية ، ويفسر لنا تأثر العربية بأختها الآرامية . وهنالك في منطقة بين جبل الدروز وتلول أرض الصفا (تسمى الحرة) وُجِدَت كُتابات عربية كثيرة اتفق علماء الساميات على أن يسموها (الكتابات الصفوية) نسبة إلى الصفا حيث ساح كثيرون من المستشرقين بجمعوا قسماً عظيماً من هذه الكتابات وحلوا أبجديتها ، ولكنها بقيت غامضة إلى أن زارها العالم (ليبيان) وجمع منها أكثر من ألف وأربعين كتابة ، وعاد إلى بلاده ودرسها ، فتوصل إلى نتائج هامة عجز عنها غيره ، فل كل جمجمة رموزها وفك معجميات أبجديتها التي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، كما هي في العربية . وبعتقد الأستاذ ليبيان أن هذه الكتابات ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ، وصرف أن أصحابها كان لهم اتصال بالمدنيات المعاصرة لأنهم يورخون بحوادث مشهورة حرب النبط <sup>(٢)</sup> أو حرب الفرس مع الروم ، أو تاريخ بصري<sup>(٣)</sup> . إن الكتابات الصفوية هذه هي بلا شك كتابات عربية إلا أنها تحوي كلمات آرامية كثيرة ، وتذكر آلة آرامية واصطلاحات آرامية لا عهد للعربية بها . وفي أحد النقوش الصحفية مثلاً كلمة (داد) معناها (عم) <sup>(٤)</sup> وهذه مادة آرامية قدية وإن كان لها نفس المعنى بالعربية .

(١) الالفات السامية ص ١٧٨ .

Littman (1) Zur Entzifferung der Safa Inschriften  
(2) Semitic inscriptions.

Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam

(٣) ص ١٣٨



وكذلك نجد في نقش آخر أسماء آلهة آرامية مثل (بعل شمين ، ودشر وشيع القوم) . ومعنى (بعل شمين : الله السموات) و (أوشر دمر : حارس البناء) و (شيع القوم) من آلهة الأنباط وهو لا يشرب الخمر (دي لاشيا حمر) ، وقد اختلف المستشرقون في معنى هاتين الكلمتين ، فذهب (ليهان) إلى أن الأولى (آرامية) والثانية (عربية) . وقال غيره إنها عربستان ، أما نحن فنقول إنها كلان آرامستان ، الأولى مستمدّة من فعل (ضع سبع) ومعناها عضد كـ (أيد ، نصر) لتساوي السين والشين في الأبيجديات الصفوية . والثانية (قوم) هي آرامية أيضاً وبالمعنى العربي المعروف (قبيلة ، شعب ، جماعة) <sup>(١)</sup> ومعنى الجملة المركبة (نصر القوم) .

وأنت ترى في هذه النقوش مادة آرامية لا تأتى إلى العربية بصلة ، وهذا ما يؤيد تلقي اللغتين الشقيقتين في هذه المنطقة أيضاً شأنها في غيرها . ومصداقاً لما ذهبنا إليه أن الأصنادليةان وجد في تحريراته الكثيرة للهججة الصفوية هذه مادة غريبة غير مألوفة في العربية ، أخذت من الآرامية والعبرية ، ولاحظ أسماء أعلام كثيرة غير معروفة في العربية <sup>(٢)</sup> كما وجد أفعالاً غريبة عن العربية وأساليب أعمقية كلها استمدت من الآرامية أو العبرية أحياناً <sup>(٣)</sup> .

واكتشف الأثريان الفرنسيان فردرريك ماكلاير Frederic Macler ورينيه دوسسو René Dussaud نقشاً هما آخر في منطقة الحرة نفسها ، في وادي السوط الذي يصب في وادي الشام بالنارة وذلك في الرابع من نisan سنة ١٩٠١ ، وهذا النقش بالأبيجدية النبطية وباللغة العربية تحمله بعض كتات آرامية واليكل كماته بنفسها ومقاطعها :

(١) قادوس هنا السرياني العربي ص ٦٦٤ .

(٢) Lehman Semitic Inscriptions

- (١) في نفس صر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو امر الناج .
- (٢) وملك الأسدين وزارو وملوكهم وهرب من جحود عكدي وجاء .
- (٣) بزجاي في حبيج نهران مدبن شمر وملك معدو وين بنية .
- (٤) الشعوب وكهنت فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسند ذو ولده .

وهذه ترجمتها العربية كما قرأناها نحن بعد تحريرات ومقابلات كثيرة باللغة السريانية الحاضرة وهي ولا شك الآرامية بثوابها الجديد :

- (١) هذا قبر امرىٰ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد له الناج .
- (٢) وأخضع الأسدين وزاراً وملوكهم وهزم مذحج و (منعه أو عطله أو صده) وجاء .
- (٣) شنت (بزج) وأسقط نهران مدينة شمر وأخضع معداً وسلط بنيه .
- (٤) (على) الشعوب فسموا إلى العلي فلم يبلغ ملك مبلغه .
- (٥) وذرته وهلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من شهر كسلول (كانون الأول). فليسعد الذين خلفهم (فليسعد ولده) .

والإليك شرح ذلك وتحليل مخالفتنا في قراءة هذا النص بجميع علماء السامييات الذين اصتبرضوه وترجموه حسبما تراهى لهم :

ان كلمة (في) من استعمال قبيلة طي وهي ضمير الإشارة القريب للمؤنث ، و (نفس) يعني (قبر) في اللغة النبطية ، (وامر القيس لا حاجة لنا ببحث من هو لأنّه خارج عن نطاق موضوعنا) ، و (بر) كلمة آرامية يعني (ابن) و (ذو) يعني (الذي) في لغة طي ، و (امر ناج) هي المعنى الدقيق للعبارة الآرامية امتننا أي ربط الناج أو عقد له الناج .

وقد خالفنا العلامة بخمس نقاط من هذه القراءة ، والإليك تعليل ذلك نقطة نقطة :

(١) إن الكلمة التي قبل الأخيرة من السطر الثاني في النص (عكدي) أثبتتها الدكتور رودنسون<sup>(١)</sup> كما يلي :

«وهم مذحج بقوته» ، تبعاً لما قرأها الأستاذ ليدزبارسكي<sup>(٢)</sup> ، وأثبتها الأستاذ رودنسون « تماماً» ، وقد أورد الأستاذ المشار إليه رأي جوزيف هالفي بأن لا تقرأ (عكدي) بل (كمدي) مقابلةً لكلمة الترجمة العبرانيّة التي معناها حتى الآن (عد كدون) . إلا أنه نجد هذا الرأي وقرأها تبعاً للأستاذ ليدزبارسكي (عكاري) ، وذهب إلى أن (عكاري) في النص في محل (عكارى) وهي - عنده - كلمة على وزن (فعال) من الأسماء المستعملة في معنى «الحال» . ومكذا تكون - بحسب رأيه الآخر - «عكار» تعادل «عكراً» أي أصلاً<sup>(٣)</sup> .

أما نحن فنخالف الأستاذين ليدزبارسكي ورودنسون بكونها بمعنى «القوة» . وكذلك نخالف «هالفي» بكونها مستمدّة من الكلمة الترجمية «كمدي» (حق الآن) ونافق الأستاذ رودنسون بقراءتها «عكاري» . ولكننا نخالفه بكون معناها (أصلاً أو تماماً) ، ولدينا كلمة سريانية هي (محنة) بمعنى حجر ، منع ، عطل ، صد ، عاق<sup>(٤)</sup> الخ . وما عدا ذلك نجد تقارياً شديداً بين (الرأي والدال) في النطية ، فيمكّن أن تقرأ هذه الكلمة (عكدي أو عكاري) وهو الأصح .

٢ - هناك كلمة (بزجي أو بزجاي) ، لقد ألحق بها الأستاذ ولفسون الكلمة الأخيرة من السطر الثاني وأثبتها هكذا : ( وجاء إلى بزجي أو فرجي )<sup>(٥)</sup> .

(١) الفات السامية ص ١٩٠

(٢) ج ٢ ص ٣٥ Lidzbarski : Ephemeris

(٣) مقالة في سومر ، الكتابات الصحفية ص ١٤٧ المدد الثاني لسنة ١٩٤٦ .

(٤) قاموس منا السرياني المركبي ص ٥٤١ .

(٥) الفات السامية ص ١٩٠ .

يُبَيَّنُ قَالُ الْأَسْتَاذُ رُوْدُنْسُونُ إِنَّ كَلْمَةَ (بِزْجِي) لِبَسْتُ قِرَاءَتِهَا مُؤْكِدَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ بِرأِيِّ دُوْصُو الدِّي يَقْرَأُهَا (بِزْجَايِ) أَيِّ (بِفَوْفِيقِ)، إِلَّا أَنَّا لَمْ نَرَعْ لِمَا أُورَدَاهُ، وَلَدِبَّنَا كَلْمَةَ سُرِيَانِيَّةً هِيَ (بِشَّا) وَمَعْنَاهَا (فَرْدٌ • فَرْقٌ • شَتْتٌ)<sup>(١)</sup> فَإِذَا جَعَلْنَا مُطْلَعَ هَذَا السُّطُرِ عَلَى النُّخْوِ الَّذِي أَثْبَتَنَاهُ أَيِّ (شَتْتٌ)، (بِخْرَانُ الْخَلْقِ) يُبَيَّنُ الْمَعْنَى، أَوْ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ لَدِبَّنَا كَلْمَةَ سُرِيَانِيَّاتِ يُمْكِنُ نُوكِبُ كَلْمَةَ مِنْهَا وَيُبَيَّنُ الْمَعْنَى أَيْضًا وَهُمَا كَلْمَةَ (حَدٌ) بِمَعْنَى نَهْبٍ، سَلْبٍ (ذَلٌ)، وَكَلْمَةَ (حَسَّ) بِمَعْنَى (تَعْجِرْفُ، تَكْبِرُ)، فَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ أَيْضًا (أَذْلٌ تَعْجِرْفَةُ بِخْرَانُ الْخَلْقِ).

وَنَصَرَ عَلَى دَأْبِنَا بِقِرَاءَتِهَا (شَتْتٌ) لِأَنَّ الْكَلْمَةَ السُّرِيَانِيَّةَ مُطَابِقَةٌ لِلْمَعْنَى، وَلِأَنَّ الْأَسْتَاذَ رُوْدُنْسُونَ يُؤْكِدُ أَنَّ قِرَاءَتِهَا السَّابِقَةَ لِبَسْتُ مُؤْكِدَةٌ بَعْدِهِ.

٣ - فِي السُّطُرِ الْثَالِثِ نَفْسُهُ نَجِدُ كَلْمَةَ (جَبِيجَ)، وَقَدْ أَثْبَتَهَا الْأَسْتَاذُ وَلَفْنُسُونَ (فِي جَبِيجَ بِخْرَانِ)، يُبَيَّنُ قِرَاءَتِهَا الْأَسْتَاذُ رُوْدُنْسُونَ (جَبِيجَ) بِمَعْنَى (حَاصِرٌ) اسْتِنادًا عَلَى مَا وَرَدَ فِي شِرْحِ الْمُحِيطِ الَّذِي يَفْسُرُهَا (دَنَا • أَكْتَنَفَ صَارَ شَدِيدًا • حَبِقَ) (فِي مَحَاصِرَةِ بِخْرَانِ). أَمَّا نَحْنُ فَنَخَالِفُ الدَّكْتُورَ وَلَفْنُسُونَ وَنَوَافِقُ الْأَسْتَاذَ رُوْدُنْسُونَ عَلَى كَوْنِهَا (حَاصِرٌ)، وَزَيْدٌ عَلَى ذَلِكَ كَلْمَةَ سُرِيَانِيَّةَ بِمَعْنَاهَا، وَهِيَ (مَسْتَهَ) أَيِّ (صَرْعٌ • أَمْقَطٌ • جَنْدَلٌ)، إِذْ يُمْكِنُ أَنْ 'تَقْرَأَ هَكَذَا أَيْضًا' لِتَقْارِبِ صُورَتِي (الْجَيْمِ) وَ(الْطَّاءِ) فِي الْأَبْجُودِيَّةِ النَّبِطِيَّةِ.

٤ - فِي السُّطُرِ الرَّابِعِ نَجِدُ جَملَةَ هِيَ (وَكَلَهُ فَرْسُو لَرُومُ) أَثْبَتَهَا الْأَسْتَاذُ وَلَفْنُسُونَ بِقُولِهِ: (وَكَلَهُ الْفَرْسُ وَالرُّومُ)، يُبَيَّنُ قِرَاءَتِهَا الْأَسْتَاذُ رُوْدُنْسُونَ (وَنَظَمَهُمْ فَوَارِسُ لَرُومُ). وَنَجِدُ اخْتِلَافًا بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ، فَالْأُولَى تَجْهِيلُ (أَصْرُ الْقِيسِ) (وَكَلَهُ الْفَرْسُ وَالرُّومُ) فَعَلِيَّ مَاذَا وَكَلَهُ؟ لَانْدَرِيُّ. وَفِي

(١) م (٣)

. ٥٩ ص مـا

الثانية تجد (اصرأ القيس) بنظم بنيه (فوارس لاروم) . ولا يُستبعد أن تكون علاقـة هذه القبائل العربية بالفرس أو الروم ، أو أن يحملها أحد الجـانبـين حلـيفة له ضدـ الجانبـ الثاني ، إلاـ أنـ ما قـيلـ عنـهـ فيـ الجـملـةـ النـالـيـةـ (فـلمـ يـبلغـ مـلـكـ مـلـفـهـ) لاـ يـنظـمـ يـجـهـلـ بـنـيـهـ (فـوارـسـ) لـلـرـوـمـ أوـ لـنـيـرـهـ ، وـقـدـ تـخـبـطـ عـلـاءـ السـامـيـاتـ فيـ قـرـاءـةـ هـذـهـ الجـملـةـ ، وـأـورـدـ الـأـسـتـاذـ روـنـدـصـونـ آـرـاءـهـ فـقـالـ : إنـ يـدـوـ وـمـارـتـينـ وـهـارـتـيانـ وـكـلـيرـمـونـ غـانـوـ ، وـتـبـعـهـمـ دـوـصـوـ أـحـيـاـنـاـ ، ذـهـبـواـ إـلـىـ أـنـ (ـفـرـصـوـ) تـهـنـيـ الفـرـسـ ، وـعـلـلـ بـيـزـرـ ذـلـكـ بـقـولـهـ «ـلـأـنـ الفـرـسـ كـانـواـ قدـ خـذـلـواـ القـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ أـمـامـ الـرـوـمـانـ»ـ ، وـتـرـجـمـ كـلـيرـمـونـ غـانـوـ ذـلـكـ بـقـولـهـ : «ـوـأـنـدـهـمـ لـدـىـ الفـرـسـ وـالـرـوـمـانـيـنـ»ـ ، وـالـرـأـيـ الـأـوـلـ يـفـتـرـضـ أـنـ اـصـرأـ القـيـسـ كـانـ تـابـعـاـ لـلـرـوـمـانـيـنـ ، وـيـفـتـرـضـ الرـأـيـ الثـانـيـ أـنـ هـذـاـ الـأـمـيـرـ الـعـرـبـيـ كـانـ يـشـلـ دـورـاـ مـسـتـقـلـاـ عـلـىـ وـجـهـ المـعـادـلـةـ بـيـنـ الفـرـسـ وـالـرـوـمـ ، وـلـكـنـ «ـلـيدـزـ بـارـسـكـيـ»ـ رـفـضـ الرـأـيـ الـقـائـلـ بـأـنـ (ـفـرـصـوـ) تـهـنـيـ الفـرـسـ ، بـلـ رـأـيـ أـنـ كـلـةـ (ـفـرـصـوـ) تـهـنـيـ (ـفـوـارـسـ) جـمـعـ فـارـسـ ، وـاعـيـقـ دـوـصـوـ هـذـاـ الرـأـيـ أـوـلـاـ ، وـتـرـجـمـ الـاثـنـانـ هـذـهـ الجـملـةـ بـمـاـ تـرـجـمـهـ الـأـسـتـاذـ روـنـدـصـونـ .

(يتبع) (الموصل)

غـرـبـ فـنـوـرـ بـوسـ بـولـسـ بـرـنـاسـ



مہرجان احمد شوقي

درج مجدهنا العظي العربي بدمشق على سنة تحييدة في الاحتفاء بعلماء العربية وأدبائها ، وذكر لهم وتأبينهم ، من قدماء ومحدثين ، فأحيا لهم حفلات عدّد فيها معاشرتهم وخدماتهم لغة العربية وأدبها ، وذكر أبادتهم على الثقافة ، ووفاهم حقهم في التعريف والتكرير والتقدير . وقد قام بتأبين الْإِسَانِذَةُ الشیخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمود شكري الآلوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقى ، ومحمد رشد درضا<sup>(١)</sup> .

وخصص من القدماء المتنبي والمعربي بمحفلات ألفية ، كانت مهرجاناً للشعر والأدب ، تكلم فيها المستشرقون والعرب في فضل الرجالين خلال أسبوع لكل منها ، فكان الأسبوعان عكاظ الشعر والخطابة . وقد طبع المجمع مهرجان المعربي في كتاب جمع فيه ما قيل عن فيلسوف المعرفة وشاعر العرب سنة ١٩٤٥ ، يهدى النقاد مرجحاً نافهاً في هذا الباب ، وينذكر القراء لمجتمع بالحمد والثناء ، ويرجون أن يعمد إلى طبع ما قيل في المتنبي لمهرجانه ، في كتاب مستقل خدمة للأدب وتخليداً للشاعر الفحل الذي بنطق شعره بكل جنات ، وبتحدى بكل لسان ، ويرفع للشعر العربي مناراً بين الأمم على الأزمان والأوطان .

ودرج المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ،  
على خطة حميدة كذلك ، فعمل على تكرييم الشعراء والأدباء والفنانين الذين

(١) واجع « تاريخ الجمع المعمي العربي » تأليف الأمستاذ أحمد الفريح ، دمشق ١٩٥١ ، بالصفحات ٨٢ - ١٠٨ .

رفعوا لفنوننا وأدابنا وفنوننا علىًّا بين أعلام العالم . فقام باحياء ذكرى الشاعر محمود صافي البارودي ، ثم باحياء ذكرى محمد حافظ ابرهيم <sup>(١)</sup> ، ونشر ما كان في المهرجانين من كملات وDRAMAS وقصائد في كتابين اثنين .

وقام المجلس هذا العام باحياء ذكرى الشاعر الخالد أحمد شوقي في مهرجان حافل ، لمرور خمس وعشرين سنة على سكوت هذا البلبل الذي غردت قواهيه بفضل الغرب والاسلام ، وجلجلت قصائده في ذكرى مصائرهم وأفراحهم ، فكان ديوان العرب في كل قطر . ودعا المجلس إلى إقامة هذا المهرجان في القاهرة من ١٥ - ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٨ (اكتوبر) ، ونذب له من الأقطار العربية خطباء يتكلمون في عميد الشعر العربي للقرن العشرين <sup>(٢)</sup> . وكانت القاهرة خلال هذا الأسبوع موضوعاً لقاء في مجالات الأدب من العراق ولبنان والمغرب والسودان والجمهورية العربية المتحدة باقليمها السوري والمصري .

وكان موضع المهرجان القاعة الذهبية بقصر محمد علي السابق (في المنيل) ، وهي قاعة جميلة مونقة ، تزبدت جدرانها بالذهب ، وطافت أعمدتها بأجمل النقوش الفنية والصابيح الزاهية ، وكتبت على جدرانها أبيات البوصيري في مدح النبي الأعظم ، وزها سقفها برائع الوثني والحلبي ، فكان شوقي يعيش بروحه من جديد في قصور الملوك من أبناء اسماعيل ، يشهد تكريماً للأدباء لنبوغه واحتفاءهم بذكراه .

وكان ساعات الاحتفال من السادسة مساءً حتى الثامنة أو التاسعة ،

(١) طبع ذكرى حافظ ابرهيم ، سنة ١٩٥٧ بالقاهرة ، في ٢٥٤ صفحة متوصطة .

(٢) اعتذر عن المشاركة في هذا المهرجان الدكتور جليل صليبا بسبب الشفالة في رئاسة الجامعة بدمشق آنذاك ، لحرم المستعدين من كلية رصينة في هذا الباب .

خلال أربعة أيام ، تكلم فيها الأدباء في موضوعات معينة من جوانب الشاعر ، كلّ فيها خصّ به ، من غير أن يكون ترديد أو إعادة على قدر ما يستطيع المحدث في شوقي التزام جانب دون المدون على جانب آخر .

وكانت حفلة الافتتاح برعاية الوزير المركزي للنرية والتعليم ورئيس المجلس الأعلى سعادة كمال الدين حسين ، فافتتح المهرجان بكلمة قوية ، تحدث فيها عن أثر شوقي في العرب والمرؤبة ، ورأى في ديوان الشاعر برهاناً من براهين قومينا ، ودللاً لا مابيننا ، ورائداً لكتير من المكافحين في أقطارنا فقد كان نداء الثورة الصحيحة ، وكان على قربه من الحكم ينتهز كل فرصة خيرة في خدمة أمتة ، يعبر عن أماينها وإحساسها فيرسم الصورة التي ينبغي أن تكون للممثل الأعلى العربي ، ولم يكن في العربية منذ عهد المتنبي والمعربي شاعر مثل شوقي ينفي بشعره كل عربي ، لأنّه كان شاعر العرب في كل قطر من أقطار هذا الوطن .

وتكلم بعده الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد ، عضو مجمعنا العلي ومقرر الشعر في المجلس الأعلى ، فالتفت إلى شوقي ليقول فيه : « كان على المدرسة التي انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاة الآلية إلى دور التصرف والإبداع ، فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التي تفرقت في شعراء عصره » وبذلك فضله على شعراء زمانه بعد أن ذكر مزايده جميه ، وتحدث الناقد الشاعر عن فضل شوقي في التاريخ والمسرحية والمواعظ والأمثال ، وشهد بأنه « كان على مدرسة الشعر في مطلع النهضة الأدبية » . ولكنه رأى أن شوقي كان رسول « شهر النماذج » ، وأبيته « تلك القدرة البارعة في تحويل الصناعة التي لا تفوقها قدرة في عصره ، ونکاد نقول في عصور الأقدمين والمحدثين » . وابنی مندوبي الدول العربية ، يفتتحون باسم أقطارهم هذا المهرجان



فيذ كرون فضل شوقي وأياديه على أهله وربوبيه ، فكانت كلة لمندوب الجزائر الشیخ محمد بشیر الإبراهیمی ، عضو مجتمعنا ، الذي أثني على فضل شوقي وعثب عليه « مدحه لفرنسا وافتخاره بحضورتها المازبفة ». ثم تعاقبت كلمات لبنان والیون والجامعة العربية والعراق والسودان والمغرب وال سعودیة ، فقصيدة الشاعر محمود عمام ، ثم دراسة للأستاذ أحمد التاجی مندوب الجامعة العربية في « شوقي والعروبة » تحدث فيها عن فترات النضال و موقف شوقي من الاستعمار ومن كفاح العرب في الوطن والمنفى ، وأياديه على الأبطال المكافحين من العرب ، وخدمته للقومية العربية وتحسسه بجزائح أمته في نوائها . ثم جاءت قصيدة شاعر الشام الأستاذ شفیق جبڑی ، عضو مجتمعنا العلیی ، وغناها « شاعر العرب » فهزت القلوب وأثارت الإعجاب ، فقد كرمت شوقي وأشارت إلى عقربته في ديوانه « قصيدة العرب » ( وهي منشورة في هذا العدد ) .

وفي اليوم الثاني ، تكلم الأستاذ جمال الآلوی مندوب العراق عن

« شوقي في الشعر العراقي » فذكر ما وقع من تكريمه وقول وحفاوة بـ شعر شوقي وأدبه على ألسنة الأدباء والشعراء في العراق ، وما تحدثت عنه الصحف خلال الأحداث التي صرت بـ شوقي بعد وفاته ، فنقل في أمانة ودقة وجبل سعي صدى الشاعر في الرافدين وأثره في أدب العرب بهذه الجمهورية الفتية . وتتحدث الأستاذ عادل الفضبان عن « نشأة شوقي وأطوار حياته » فرسم شريطاً حياً في ألوان زاهية من الأدب ، صراحت الشاعر منذ الفجر ومطلع الشباب ، فالجهاد في سبيل الوطن ، فمودة البطل إلى مقنه ، فمرحلة الأصيل حيث غاب في هوة العدم . وأنشد خلال هذه المراحل شعر الشاعر في حنان وموسيقاً وبراعة كما ينشد الشاعر قصائد أبيه الشاعر ، وبفقد مكانه من صدة الشعر . ودرس الدكتور محمد مندور « مسرحيات شوقي » وعرض للنarrative والمارجع والمزايا ، وأثار رأيي العرب في المسرحية وموقع شوقي من الفن الدرامي ، وكان في ذلك

مثال الأسناد المعاصر والدارس الممكثن والناقد الفي . وعرض الأسناد عبد الرحمن صدقي «حياة الشاعر من شعره» منذ ولادته حتى الوفاة ، فاستخلاص ما كان للرجل من قوة وتجدد في أبواب الشعر والمسرحية ، وما كان من أثر الغرب في قصائده وآثاره في نفحات طويل وشواهد شعرية كثيرة أنشدها عنه الأسناد عادل الفضبان . وتكلم بعده الدكتور علي جواد الطاوس متذوب العراق عن «اللوحة في الشوقيات» فقال إن شوقي كان يستعين بالبالفة ، وإن وصف الطبيعة عنده ليس على درجة عالية «وان كثيراً من لوحاته التي حاول أن يجمع على سطحها أكثر من منظر واحد أقرب إلى الكليشة والفوتوفراف منها باللوحة» . ورجع إلى النقاد القدامى فرأى أن همهم كان ينحصر في الجزء الصغير من الصورة مما ينطوي عليه البيت الواحد ، وأن هذا ظل قائماً في دراساتنا الحديثة . وشوقي «لا يجدوا أنه تأثر بالشعر الغربي وبالرسم الغربي» «واما هي بالفالات تكاد تكون تعليمية ، بقولها التلميذ في وصف أي واد بل أي منظر من الطبيعة يطلب المعلم في درس الإنشاء» .

وفي اليوم الثالث ، تكلم الأسناد علي الجندي عن «الفنون البلاغية في شعر شوقي» فعدد الألفاظ والمفردات والصور التي تدل على هذه الفنون ، وعدّ الحلى البدوية ، وأخذ على شوقي بعض أخطائه في هذا الباب . ثم كانت الكلمة الأسناد طاهر الطنجي «ذكريات عن شوقي» روى فيها أخباراً أدبية جمعها عن شوقي ، فقد عرفه منذ ثلاثين عاماً ، وفي هذه الأخبار أحاديث طريفة وأراء جديرة بالذكر والتقويم والجمع ، وخاصة فيما كان بين شوقي ومصطفى كامل . وفي الكلمة الدكتور محمد صبرى عن «التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي» تطرق الباحث إلى دراسة الديوان من ناحية القارئ والأثار المصرية ، ووازن بين الشعر والعلم ، وعرض الأحداث التاريخية ونظر إلى ما يطابقها في الديوان . وجمع ما قال الغربيون وما وصفوا من هذه الآثار ، ثم رسم ما كان في المسرحية ،

فاستوفى دراسته وأطال البحث في تبعه ، فجمع بيان الأدب إلى دقة المؤرخ في موضوع ليس باليسير ولا بالهين .

وفي اليوم الرابع ، نكثت عن «الوصف والغزل في شهر شوقي» ففرضت لـأـلـوـاح الـوـصـف عنـدـه من أحـجـار وـأـنـهـار وـآـلـات ، وبـسـطـتـ الغـزـل عـلـىـ أـلـوـانـهـ فيـ الـدـيـوـانـ والمـسـرـحـيـاتـ (ـوـهـيـ مـنـشـورـةـ فـيـ غـيـرـ هـذـاـ المـكـانـ)ـ .ـ وـأـنـشـدـ الشـاعـرـ إـبـراهـيمـ الـوـائـيـ مـنـدـوـبـ الـعـرـاقـ قـصـيـدةـ فـيـ الـوـفـاءـ لـمـصـرـ وـالـبـيـونـ الـقـيـ عـاـشـ فـيـهـاـ وـدـرـسـ فـيـ جـنـبـاهـاـ وـتـقـنـىـ بـالـثـورـةـ فـيـ الـعـرـاقـ وـمـصـرـ .ـ وـأـنـثـىـ عـلـىـ بـدـ شـوـقـيـ فـيـ خـدـمـةـ الـعـرـبـ وـالـرـاـفـدـيـنـ .ـ وـكـانـتـ كـلـمـةـ الـأـسـنـادـ كـامـلـ الشـنـاوـيـ «ـذـكـرـيـاتـ عـنـ شـوـقـيـ»ـ صـفـحـاتـ طـيـةـ اـقـيـطـفـهاـ مـنـ فـصـولـ الـحـيـاةـ لـاـ نـرـوـيـهـاـ صـحـيـفةـ وـلـاـ بـورـدـهـاـ كـنـابـ وـلـاـ يـحـيـهـاـ إـلـاـ صـدـرـ هـذـاـ الـأـدـبـ .ـ وـهـيـ تـنـيرـ السـبـيلـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ دـقـائقـ عـيـشـهـ وـظـرـوفـ نـظـمـهـ .ـ وـصـلـاتـ شـوـقـيـ بـمـجـمـعـهـ .ـ فـهـيـ جـدـيـرـ بـالـجـمـعـ وـالـحـفـظـ .ـ وـتـكـلـمـ الدـكـنـتـورـ شـكـرـيـ فـيـصـلـ عـنـ «ـثـرـ شـوـقـيـ»ـ فـخـدـثـ عـنـ الثـرـ الـمـطـلـقـ .ـ وـأـبـرـزـ صـفـاتـ السـبـعـ وـأـلـوـانـهـ .ـ وـمـاـ بـشـيرـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ نـفـرـةـ .ـ وـرـأـيـ «ـأـنـ شـوـقـيـ الشـاعـرـ غـطـيـ عـلـىـ شـوـقـيـ النـاـثـرـ»ـ ،ـ كـاـ كـسـفـ عـصـرـ شـوـقـيـ الـمـطـلـقـ الـمـارـضـ شـمـسـ السـبـعـ الـقـيـ كـانـتـ مـتـوـجـةـ؟ـ وـعـلـىـ هـدـيـ هـذـاـ رـاحـ يـتـحدـثـ عـنـ مـسـالـكـ النـثـرـ عـنـدـ شـوـقـيـ فـيـ آـثـارـهـ .ـ وـعـرـضـ لـأـسـوـاقـ الـذـهـبـ وـواـزـنـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ مـقـامـاتـ الـزـخـشـريـ .ـ ثـمـ مـالـ إـلـىـ بـوـاعـثـ السـبـعـ وـمـوـضـعـانـهـ وـعـنـاصـرـهـ .ـ فـقـسـ الـفـناـصـرـ وـوـصـفـهـاـ .ـ وـرـمـمـ الـأـصـلـوبـ فـيـ الـآـثـارـ الـفـنـيـةـ .ـ فـانـتـهـيـ إـلـىـ «ـأـنـ شـوـقـيـ أـرـادـ مـنـ السـبـعـ كـاـ قـالـ حـلـادـةـ الـفـوـاـصـلـ وـهـدـبـلـ الـحـمـامـ بـأـكـثـرـ مـاـ أـرـادـ إـلـىـ الـقـيـدـ وـالـكـافـ وـالـالـتـزـامـ»ـ (ـإـنـ تـجـدـهـ فـيـ غـيـرـ هـذـاـ المـكـانـ)ـ .ـ

وـخـتـمـ الـمـهـرـجـانـ بـزـيـارـةـ بـيـتـ شـوـقـيـ «ـكـرـمـةـ اـبـنـ هـانـيـ»ـ وـالـطـحـيـ إـلـىـ قـبـرـهـ بـالـقـرـاطـةـ قـرـبـ الـمـقـطـمـ .ـ وـأـنـتـهـيـ بـجـفـلـةـ شـايـ خـطـبـ فـيـهـاـ مـيـادـةـ بـوـسـفـ السـبـاعـيـ سـكـرـتـيرـ

المجلس الأعلى فاقترح بأن يكرم الأحياء كالعقاد وطه حسين و توفيق الحكيم وأم كلثوم ليروا بأنفسهم وفاء الأمة لصنיהם وأفلامهم ، وانقضت الوفود على اقتراحات مكتوبة في العمل للديوان وصاحبها وفاء لا يأبه وإكباراً لشاعرية . وهكذا ، كان الحديث في شوقي متشعباً يمثل أدب القائلين وأراءهم ومذاهبيهم ، ونظراتهم إلى الشعر والنقد والدراسة والخطبة ، ببحث تصلح أقوالهم أنفسها موضوعاً لتعليق أو بحث لنا في صدده الآن ؟ وإنما هنا أن نصور المهرجان كما كان ، وأن نرجو للغربية شاعراً يسدّ المكان ، ويقوم في غمرة الأحداث التي ير بها العرب من ثورة وانتفاضة ونهضة بما قام به شوقي في ظل الأسوار والأغلال والكتب والجور ، فيعيد على مسامعنا شعراً كشهادة خالدة على الزمان .

الدكتور سامي الدهان

.....

## شاعر العرب<sup>(١)</sup>

أيه شوقي ! لو كان لأشعر رب جملتك الأذواق للشعر ربها  
ياغذاء القلوب إن تجذب الأر ض فلسنا نظن فيك الجديا

(١) قصيدة الأستاذ السيد شلبيق جبرى عميد كلية الآداب في الجامعة السورية وعضو الجمع الملىء العربي بدء مشق ألقاها في مهرجان أسبوع شوقى في القاهرة في تشرين الأول ١٩٥٨.

شاعر العرب كان شعرك حيناً كفسيم الصبا وحينما عضها  
كلما طال عهده وترافق رف في مسمع الزمان وشبها

\*\*

كم هزت الرجال في ثورة الشام فثاروا ولم يبالوا الخطيبا  
تفتحت فيهم القلائد روحًا جعلت في الشدائيد الموت عذبها  
فاستطاروا مثل الرياح إلى الموت فكانوا فيه رياحًا نكبا  
ففضلا عن المرابع ضياءً سال فيه النجيع مزنًا وسجناً  
غضبوا الشام واستباحوا حماه ثم طاحوا وما تملوا غصباً  
كيف نسى في غوطة الشام يوماً كفت فيه نوراً وكفت اللهم  
جلت بالشعر جولة فحسبنا طيف صروان في النواذر دبا  
وكأنما نرى الخلافة تختال وملكاً مع الخلافة صلباً  
هكذا الشهور ثورة كلها هاجت شعوب أوحى إليهم غلبها

\*\*

ضحك الشعر في بيانك وايضاً تحواشيه ما شاهد كربلا  
نقداً مسرح الظباء اذا ما نفذ سرب فتنت منها سرباً  
غزل ينفذ القلوب فتقلي بهوها فيصبح القلب صباً  
فقطل العيون تغمز غمراً وتظل الشفاه ترضب رضباً



ويكاد التسبيب ينطوي سحرًا ويقاد الهوى يشقّ الطبيعا  
 وترى قبلة الشغور على الخدّ وتلقي مزاحها والدعبا  
 يتلاقى العناق والضمّ والشمّ وهدب يلزّ فيها هدبها  
 لا تلم الشياك من كل درب لم تقدر في غمرة الحب دربا  
 لو يسلّم الهوى خلال القوافي سلسلياً غمرت منه المضيما  
 قد ملأت الشباب حبّاً وفاضت جارة الوادي في فؤادك حبّا  
 فإذا جئت في الشيوخ هوامٌ هجت فيهم هوى الشيوخ فأبا  
 فتنادوا إلى الكؤوس وصاحوا هاتّا يانديم صرناً وصباً  
 أنت لا تدرّي ما تكون المعيق !

\*\*

أدموع بارض اندلس جدت بها ، روت روضها والتربا  
 فكأن العيون تلمع شجوراً وكان الآذان تسمع قدبها  
 أم غناء كالعنديب طوى الأر ض فخلنا بعد المنازل قربا  
 فكأن السفين لما ترامت وثبت نصب أعين القوم وثبا  
 فرأينا القصور تلمع في اليل فتهدي فوق البساط الركبا  
 وقطعنا الرياض بين رفيق الدوح نجتاز سروه والدلبا  
 ولمسنا النعيم في جنة الأرض روي الشاب شعباً شعباً

فبكينا ملكاً تقادته اليمالي غرسوا فوقه القنا والقضبى  
 ركبوا الموج والعباب وطاروا يقطعون العباب كنبأ كنبأ  
 رفعوا الملك والحضارة والفن" وكانوا الرحي لها والقطبى  
 فهو الملك والدموع ترويه وسادت تلك الأوائل غبًا  
 وكذاك الأيام تعصف بالناس ويبقى ما أودعوه الكتبى  
 صور تقطر البلاغة حتى تحسب الصدق في البلاغة كذبا  
 كلما رث" أو تقادم همد جدد الشعر وشيه والعصبى

\*\*

كذب الدمع ما وفي حبك الدمع وان ماج كالخضم وأربى  
 قد حبوب التاریخ ما ليس بيلى لولوا من لاكي الشعر وطبعا  
 فشهدنا فرهون قد نقض القبر وهر" الأحقاب حقباً حقباً  
 وأتوه بالأكل والشرب حتى رأت العين أكله والشرب  
 لبس مصر من بياذك بردأ لم ترده الأيام إلا رحبا  
 هدرت كالعباب تحطم قيداً أنقض الظهر حلها والصلبما  
 فتفنت بالهدى فهاجت لم يفل الحديد منها غرباً  
 وقفـت كالأهرام في ثورة الفيم وطالـت ساءها والشـبـا  
 وانـشـيـ الضـيـمـ عنـ حـاماـ وـنـالـتـ منـ رـقـابـ المـدوـ طـعنـاـ وـضـرـبـاـ

ثورة في الديار غنى بها الشعر وألقى غراسها والحبها  
فزكا فرسها وطاب ثرها وسقاها الإيان هطلاً وسكبا  
أكلتك الذئاب إن لم تكن في ثورة العرب والعروبة ذئبا

本章

أيه شوقي ! أسامع صيحة العرب وقد دوى الصوت شرقاً وغرباً  
ما دعونا إلهاماً السمح إلا حشد السحر والبيان ولبي  
ليتك اليوم في الجماهير والشباب تغنى جهورنا والشعبا  
فإذا ماسجا فؤاد ولب هجت منا فؤادنا واللبا  
لزم هنك الأكفان واطرح ثرى القبر وشاهد ملكاً على النيل رحبا  
تلقى الشام فيه ترباً لمصر كل قبور يشد في الملك تربا  
وقدماً ترحف الديار ديار العرب تحت الدرفس روحًا وقلبا  
إنما العرب وحدة فإذا صال عدو كانوا عليه إلبا

☆

درجوا حقبه وأوطانهم أيدى سبا والخيرات في الأرض نهبي  
وعليهم سلاسل من حديد تمنع الأسد صولة ومهما  
فكان التاريخ لم يلأوه روعة أو لم يلأوا الدهر رعبا

لَا تَهُدِّي السَّيُوفُ غَيْرَ فَتْوَحَ لَهُمْ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ ذَفَنَا  
صَهْوَانِ الْيَمِّ وَالْبَطَاحَ وَهُمْ تَوْكُونُ الْجَوَزَاءَ يَوْمًا صَحِيبًا



سَيِّدُ الشِّعْرِ ! هَلْ قَرِى دِرْبَكَ إِلَيْ—وَمْ يَشْقِيْ الحَدِيدَ إِلَيْ—إِلَيْ  
بَعْثَوَا مِنْ مَدَافِنِ الْعَزَّ تَارِيْخًا نَـا هَزَهُ غَنَاءُ وَخَصِيبًا  
فَكَأَنَّا نَرِى ابْنَ حَمْدَانَ يَشْنِي السَّرْوَمَ جَرَّا عَنِ الْحَمِيِّ أَوْ سَحِيبًا  
هَكَذَا الْجَهْدُ هَبَّةُ سَلْكِ الْعَرَبِ إِلَيْ—ا درِبَأَ عَلَى النَّارِ صَعِيبًا



نَمْ هَنِيْتَكَ يَا مَرْسَلَ الشِّعْرِ نُورًا شَبَعَ الْقَلْبَ مِنْ سَنَاهُ وَعَبَّا  
أَرَأَيْتَ الْبَيَانَ وَالسَّخْرَيْنَ مِنْهُ أَيْ مَجْدُنِي وَجَيلُ رَبِّي !

شفيق جيري

© ٢٠٠٩

# الوصف والغزل

في شعر شوقي<sup>(١)</sup>

ولدت دنيانا من سحر خالد ، وفتنـة لا تندى ، فعشـقـها النـاسـ عـلـىـ المـصـورـ وـتـعـلـقـواـ بـهـاـ نـقـدـيـسـاـ إـنـكـارـاـ وـهـتـفـواـ بـاـسـمـهـاـ سـرـاـ وجـهـارـاـ . اـسـبـدـتـ بـعـقـولـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـفـلـسـكـرـينـ وـعـبـثـتـ بـقـلـوبـ الشـعـرـاءـ ، فـخـلـلـواـ قـيـشـارـاـتـهـمـ يـفـنـونـ عـلـىـ أـوتـارـهـاـ اـنـشـيدـهـمـ كـتـرـانـيـمـ تـصـاعـدـ عـبـرـ التـارـيـخـ شـذـىـ بـعـطـرـ الـكـونـ ، وـمـوـصـيـقاـ تـسـعـرـ الـآـذـانـ ، فـكـانـهـاـ جـوـفـاتـ مـنـ لـفـاتـ تـتـأـلـفـ بـالـسـعـرـ وـالـأـطـامـ ، وـتـجـدـ بـالـخـلـودـ وـالـعـبـقـرـيـةـ لـأـنـهـاـ لـفـاتـ الـقـلـوبـ ، بـعـثـتـ مـنـ الـلـهـجـاتـ وـاجـمـعـتـ عـلـىـ صـلـواتـ .

وهـذـهـ الـلـفـاتـ الـعـالـمـيـةـ تـجـمـعـ الـشـعـرـاءـ مـنـ كـلـ حـدـبـ وـصـوبـ ، بـفـيـ ذـرـىـ (ـأـلـيـبـ)ـ الشـعـرـ حـيـثـ تـنـلـاقـ أـرـوـاحـهـمـ وـتـجـدـتـ ، بـفـيـ جـوـ عـطـرـ مـسـحـورـ ، ثـمـ تـعـوـدـ إـلـىـ الـأـرـضـ لـتـحـلـ مـنـ أـجـوـاـهـاـ أـنـشـيدـ عـلـوـيـةـ ، فـقـهـمـهـاـ جـنـيـاـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ وـحـيـنـاـ آـخـرـ عـلـىـ وـجـهـ مـخـتـلـفـ ، فـتـبـاـيـنـ نـظـرـاتـنـاـ وـمـقـابـلـنـاـ فـيـ الإـحـسـاسـ هـاـ وـفـيـ تـذـوقـهـاـ ، وـمـنـ هـنـاـ جـاءـ الـاـخـلـافـ بـيـنـ النـقـادـ ، فـلـيـسـ لـلـشـعـرـ الـعـالـمـيـ تـعـرـيفـاتـ أـوـ مـوـازـيـنـ يـقـاسـ هـاـ الشـعـرـ ، كـتـعـرـيفـاتـ الـأـشـيـاءـ الـجـامـدـةـ الـلـمـوـصـةـ أـوـ مـوـازـيـنـ الـآـلـاتـ الـمـوـسـيقـيـةـ .

وـفـدـ اـجـمـعـ فيـ رـحـابـ الشـعـرـ الـعـالـمـيـ عـرـبـ وـعـجمـ ، مـشارـقةـ وـمـفـارـبةـ ، قـدـماءـ وـمـحـدـثـونـ ، لـأـنـ الشـعـرـ يـمـلـئـ عـلـىـ الـأـجـنـاسـ وـالـعـرـوـقـ ، وـالـأـوـطـانـ وـالـأـزـمـانـ ، وـاشـتـرـكـتـ بـذـلـكـ أـمـتـاـنـاـ مـنـذـ قـرـونـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ النـوـابـغـ الـخـالـدـينـ ، وـدـوـتـ أـغـانـيـنـاـ فـيـ تـقـدـيسـ الـطـبـيـعـةـ الـفـانـيـةـ وـوـصـفـ الـمـرـأـةـ الـجـيـلـةـ فـخـلـفـ أـجـدـادـنـاـ أـلـوـاحـاـ خـالـدةـ فـيـ الـطـبـيـعـةـ الـمـيـةـ وـالـطـبـيـعـةـ الـحـيـةـ ، سـمـاـهـاـ النـقـادـ وـصـفـاـ وـسـمـوـهـاـ غـنـلاـ ، وـلـكـنـهـاـ

(١) الكـامـةـ الـتـيـ أـلـيـتـ فـيـ مـهـرجـانـ أـحـدـ شـوـقـيـ بـالـقـاهـرـةـ .

في واقع الأمر إلى باب واحد ينحدر إلى تقديس الجمال أنتي وجد وقصيده أنتي كاتب .

وهذه الألواح العربية تشير إلى أن العرب فتحوا قلوبهم للطبيعة والمرأة وتملأ منها جسمهما ، كما فعل شعراء الأمّ ، فأرسلوا الدمع في بكاء الديار والأحياء ، وسكبوا نقوسهم على ترائب الحجر وترائب الفيد ، وخففت قلوبهم لنسائهم الفدران ولقاء الحسان ، فكان منهم ديوان ضخم موسيقي جميل ، منسجم في معناه ، متقارب في مبناه ، كأنه خرج من عشيرة واحدة وقبيلة واحدة على تعدد أقطارنا وسعة أمصارنا ووفرة عصورنا .

وهذا الديوان في الوصف والفزل واضح الملامع ، بسيط ليس فيه تعقيد أو التواء أو تفلسف أو تشكيك ، تسهل فيه نقوس المحبين جزعاً للبعد وحرقة للوجود ، وحدراً من الحساد ، وخوفاً من الوشاة ، وإعجاباً بالروعة ، ونشوة بالدهشة ، وأكبارة للنقش والفن ؟ يصور القرون الأولى في مجال الحب وبساطة الرسم ، على خطوط لا ظلال لها في أكثر الأحيان ، وسطور ناصحة لا غموض وراءها ، لأنها غذاء وإنجاد ، والفن يفسد التعمق والشرح والتفاسف .

ولعل شوقياً فتن بشكراً بجمال الشعر وجلاله ، ففكف على قيثارته بأوتار ضعيفة أول الأمر ، عكوف العاشق العابد ، يتمنى أن يصبح في الشعراء ، فقدم قلبه قرباناً ، وصفح روحه على مذبح الشاعرية ، وراح ينشد ويترنم ، فيتعثر ويتعثر ، ثم ينهض ويستوي ، ثم يقف للفحول ، فيقع منه ديوان كبير فيه الربيع والمادي ، كما في دواين غيره من الفحول . فن الخير أن يُنتهي وأن يُدخل ، وأن تستشهد بالخير منه في يوم ذكراه . فقد كتب العرب قانونياً طلاق الأحكام ، وتزدد الدسائير والمواد ، ليدخل في ربوع الخيال ، ويعيش بين صوابع الجمال ، وبكون منه في الحب والوصف ما كان .



## الوصف والفزل في شعر شوقي

ولقد وعبه الله لساناً لافظاً ٦ وروحًا ملهمة ٧، فماش بقلب كثير الخفوق ٨  
وعينين حالمين في رجرحة وفي حرقة عجيبة ٩، وصدر عاص بالشعر يرتجح بما يحفظ ١٠،  
ويثور بما يضطرم في نفسه ١١ حتى صالت في أحناه قلبها معاني القدماء مع المعاني  
الجديدة ١٢، فأصبح كأنه صورة للجبل من الأدباء الذين عاصروه ١٣ بل صورة  
للأدب الذي يعيش في أيامنا ١٤ يتبعاً ذبه تياران يتارجح عليهما بين الشرق والغرب ١٥.  
ولقد حاول شوقي أن ينطلق بالأدب العربي إلى ميادين الشعر الغربي ١٦،  
وواعد مخلصاً بيان ينقلنا إلى صراحته ١٧، ولكن الشعر العامي كان يجذبه إلى أحضانه  
ويلفه بجهاله ١٨، فعاد به إلى تاريخ العرب وأمجادهم وصورهم أكثر الأحيان ١٩،  
فكان لتفاقته في الصبا والشباب على أبيدي العباسين أثر بعيد فيها نظم وفيها أبدع ٢٠.  
لذلك وقف أمام مشاهد الفرب ٢١ كما وقف أمام مشاهد الشرق ينظر إلى  
القصور والأنجار والحدائق والأنهار ٢٢، وإلى السماء والماء ٢٣ بعينين يدفعها الحنين  
أكثر ما يدفع إلى الماضي العربي ٢٤، فيفات عنده ٢٥ ويستعيدان صوره العزيزة  
الفالية ٢٦ صواع حين نظر شوقي إلى تماثيل مصر وقصورها أو تماثيل الغرب في  
باريس ومدريد وامستانبول ٢٧ حتى قيل : إنه لم يجد كثيراً من مقامه بين  
الشعراء الغربيين في قلب الحي اللاتيني إلا كما يفيد المتنقل في قطار ضريع  
من مشاهد الطريق ٢٨.

ونحن حين نسعى إلى جمع الوابح في الفزل والوصف واختيارها من متنه  
الواسع ٢٩ نقع على أناشيده في أمانته الأرض ١١٠، وفي بناتها الحسان العبقات  
قد انتشرت في سماء ديوانه كالنجوم ٣٠، وصوره الوصفية كبيرة في هذا الديوان ،  
لأنه كان في أكثر شعره يركب على عبارة مجنة الخيال وصفية الترکيب  
لضخمة الصورة ٣١ .

ولهذا سنأخذ بعض المقاطع الخالصة للوصف والفزل شواهد للحديث عن

(١) انظر «لروم ما لا يلزم» لأبي الملا الموري ، في صدر الكتاب .

توفيقه في هذين البابين ، نخشد لها بافة لذكره ، بعد أن قضى الجسد ، ومات  
الجسد ، ودفن الحقد ، وأصبحت روحه في أخالدين ، ترفرف في صرابع الشعر  
العربي وفمه ، مع رصيقاتها من عهد الوايد وصلیمان بدمشق ، والرشيد والمأمون  
ببغداد ، وأل حمدان ومرداس في حلب ، وملوك الطوائف في الأندلس .  
والغزيون يقولون : يحسن أن ينبع في القطر شاعر ولو تأخر به الزمان فيحسب  
من خيراته وبعد من حسناته يوم الحساب .

ولعلكم تأذنون في رحلة فصيرة الى متحف شوقي ، نستعرض فيها أجنحة الوصف ، فنتظّر الى الواحد في القصور والأجغار قبل كل شيء ، لنرى كيف صنع وكيف رسم . فقد وقف أمام أبي المول بتقني (١) :

أبا المول وبحك لا يسْتَهِنْ مع الدهر شيء ولا يحتقر  
تهزّأْت دهر أبدِيك الصباح<sup>(٣)</sup> فتقر عينيك فيها تقر  
أسالَ البياضَ وسلَّ السوادَ وأوغلَ منقارَه في الخضرَ  
فهدتَ كأنك ذو الحبيتين قطعَ القيام سليمَ البصرَ  
كأنَ الرمالَ على جانبيك وبين يديك ذوبُ البشرَ  
كأنَ فيها لواءً القضا على الأرضِ أو ديدانُ القدرَ  
فرسمَ أبا المول في قلبِ الصحراء الصامتة على مقربة من أبواب الأهرام ،  
ربما يحرس الكنز المخبوء والأجساد الفالية ، ناشرَ الظفر في هدوءِ التوْبَ ،  
والقرون تمر ، والعادي تجري ، والحروب تنشب حوله ، فتحمّعُ أنفه وتسلبُ  
عينيه ، وبعده قطعَ القيام ، قميضاً ، لا يريم يسمعُ اللَّفْظَ الدائرَ حوله في

(١) الشوقيات ١ / ١٠٠ .

(٢) دیک الصباح بید به الرهن .

## الوصف والفزل في شعر شوقي

لغات ما عرفها حين كان أصحابه ، واستبيح حمأه وكان السيد المهيب فأصبح  
منالاً لكل زائر .

فانتخذ منه العبرة الجميلة والصورة البدوية ، وكان يستطيع ، إلى ذلك ،  
أن يرسم الأسد وجثومه ، وأن يصف الروعة الهائلة التي يلقاها زائر أبي الهول ،  
 وأن يأمرى له ، وأن يروي حاله وقد شد إلى الصخر أحاطورة خالدة على الأيام .  
فلا عاد إليه بالذكر وهو في الأندلس صنع لوحة أخرى لهذا التمثال يقول فيها <sup>(١)</sup> :

ورهين الرمال أُفطسُ الاْ اَنْه صنْع جَنَّةٍ فِي قَطْنَسِ

تَبَجَّلُ حَقِيقَةَ النَّاسِ فِيهِ سَبِيعُ الْخَلْقِ فِي اَسَارِدِ إِنْسَيِ

رَكَبَتْ صَيْدُ الْمَقَادِيرِ عَيْنِيَّهُ لَنْقَدَ وَمَخْلِبِيَّهُ لَفَرْسِ

فَأَكْمَلَ فِي هَذِهِ الْلَّوْحَةِ مَا نَقَصَ فِي الْأُولَى ، وَرَسَمَ الْأَنْفَ وَذَكَرَ الْخَلْبَيْنِ ،

وَقَرَبَنَا مِنَ الْأَسْدِ ، ثُمَّ عَادَ لِيَقُولَ معَ الْجَهْرِيِّ إِنَّهُ صَنْعُ جَنَّةٍ طَوْلَهُ وَعَظِيمَتِهِ وَبَارِعُ  
صَنْعِهِ ، كَمَا قَالَ الْعَرَبُ حِينَ أَذْهَلُوكُمُ الْبَنِيَانَ وَأَدْهَشُوكُمُ أَنْ يَكُونُ مِنْ صَنْعِ الْإِنْسَانِ .

وَلَيْسَ مِنْ صَبَيلِ الْأَنْوَرِ لَوْمَ شَوَّقِي ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَقْفَ لِلْقَدَمَاءِ وَأَنْ يَمْارِضَهُمْ ،

وَأَنْ يَعْدَهُمْ فِيهِمْ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْقَلِيلِ وَلَا الْهِبْنَ فِي مَثَلِ عَصْرِهِ .

فَإِذَا وَقَفَ أَمَامَ حَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ ، لَبَسَ ثُوبَ الْجَهْرِيِّ حِيَالَ إِبْوَاتِ  
كَسْرَى ، فَأَنْعَطَ كَذَلِكَ بِالتَّارِيخِ ، وَتَأْمِي لِلْاِحْدَادِ ، وَبَكَيَ الْمَاضِينَ ، فَرَسَمَ  
الْأَعْمَدَةِ الْمُسْتَوِيَّةِ كَأَلْفَاتِ الْوَزِيرِ فِي طَرَسِ ، وَقَاعَةَ السَّبَاعِ خَالِيَّةً إِلَّا مِنْ  
أَشْبَالِ تَجَمَّعَتْ حَوْلَ فَوَارَةِ جَمِيلَةِ تَرْسِلِ الْمَاءِ حَبِّاً ، تَنَشَّدُ عَلَى الزَّمَانِ حَزِينَةً  
كَثِيرَةً فَيَقُولُ <sup>(٢)</sup> :

(١) الشوقيات ٢ / ٥٦ .

(٢) الشوقيات ٢ / ٦٠ .

وَتَرِى مُجْلِسَ السَّبَاعِ خَلَاءً مَقْفُرَ الْقَاعِ مِنْ طَبَاءِ وَخُنْسٍ  
مَرْصُّ قَامَتِ الْأَسْوَدُ عَلَيْهِ كَلَةَ الظَّفَرِ لِيَنَاتِ الْمَجَسِّ  
تَثْرِي الْمَاءَ فِي الْحِيَاضِ جَمَانًا يَتَنَزَّى عَلَى تِرَابِ مُلْسٍ

وهذا جانب واحد من الصورة، لم يعرض فيها شوفي ما قام من نقوش على الجدران، وما اختلف الى الأعمدة من جمال اللون ونهاية النور والظل، وما سال تحتها من ماء، وما حفتها من خرير وهمس، فكانه لم يستوح الاندلسيات وقد رسمت أشباحهن في كل زاوية، وتصاعد غناوهن بوشاحات تسعمه الآذان عبر التاريخ. ولكن الشاعر - كما نرى بعد قليل - لا يرسم كل شيء، وإنما يركز عدسته على أمر واحد دون سائر الأمور، فكانه يرسم الاشياء من وجه واحد مسلطة - كما يقول الممهندسوون - .

وإذا دلف الى «أسوان» ووقف أمام «قصر أنس الوجود»، نرك في لوحته عنه ما أدهشه من جمال وجلال فقال<sup>(١)</sup> :

أَيُّهَا الْمُنْتَجِي بِأَسْوَانِ دَارَأَ كَالْتَرْيَا تَرِيدُ أَنْ تَنْقُضَا  
أَلْخَمُ النَّعْلَ وَأَخْفَضُ الطَّارِفَ وَأَخْشَعَ  
لَا تَخَالُ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَضَا  
قَفْ بِتَلْكَ الْفَصُورَ فِي الْيَمِّ غَرَقَ  
كَهْذَارِي أَخْفَينَ فِي الْمَاءِ بَضْـا  
مَشْرَفَاتَ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ  
شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ  
وَشَبَابَ الْفَنَونَ مَا زَالَ غَضَا  
رَبُّ نَقْشٍ كَأَنَّا نَفْضُ الصَّـا

(١) الشوقيات ٢ / ٦٨ .

وهي صورة جميلة بارعة تصف الأشجار تناصك من النسخ خوفاً من الفرق ، وقد أشرفت على الزوال ، فكأنها عذاري أخفين أيضاً وأظهرن يضاً . ثم صرخ لفن فرأى أنه لا يشيب مع الزمان ولا يهرم مع الدهر ، ومهارة الصانع ما زال تبهر العين على تقدم الفنون ، وتنسبد بالاكبار والدهشة . وهذه اللوحة من أجمل ما يزین متحف شوقي في الوصف ، بل هي آية أو صافه في الحجر والنحت ، تشير إلى جبهة العظيم وإخلاصه لهذه التربية التي حضنت أباه ورعت مجده وحفظت بيته ، فهو يتحقق بتأريخها ويقول :

**وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يَصُنْ مجد قومه صان عرضا**  
 فCHAN التأريخ بهذه الألواح وخلد الأمجاد بهذه الأوصاف ، واقتعد إلى جانب القدماء من وصافينا مكاناً لا يقل عنهم ولا يزال عن عروشم ، في بيان يختلط بيهم ، وأساليب متزوج بأساليبهم فكأنه انسٌ عبر الزمار فاستعار ريشهم وفونهم ليرسم ما لم يرسموا .

ولعلمكم توازنون بعد هذا بين ألواحه في القصور والأشجار وبين ألواح القدماء ليجدوا مبلغ التوفيق عنده ، مما لا تستطيعه في هذه الدقائق ، لأننا نحب أن نطوف بكم جناحاً آخر من متحف شوقي في وصف الآلات ، فقد رسموا كذلك كارم الحجر ، وخصّها بشعره بحمل المراكب البخارية والقوافص والطائرات ألواحاً تنطلق مع أوصاف الشعر المحدث خطى غير قليلة ، ولكنها تجمع في برديها صوراً موروثة للحيوان ، برع في تقلما حين وصف الطائرة فقال (١) :

**مركب لو سلف الدهر به كان إحدى معجزات القدماء  
 نصفه طير ونصف بشر يا لها إحدى أتعجّب القضاة**

(١) الشرفات ٢ / ٢

مسرّجٌ في كلّ حين ملجمٌ كامل العدة مرموق الرواء  
كبساط الريح في القدرة أو هدّه السيرة في صدق الإلاء  
فقلّب على الطائرة الصور التي تخطر على البال، فهي مركب نصفه طير ونصفه  
بشر، وهي فرس ملجمٌ، بل إنّها بساط الريح أو المدهد المعرف أو الحوت  
في الماء أو الكوكب المذنب أو الطاووس يجر ذيله على الأرض نيمًا وخجلًا.  
والطائرة مجازة العصر، فأين مجازة الشعر، تصفّها بأكثر ما وصف! إنـ  
«بساط الريح» راجت وأعجبت فاستعارها فوزي المعلوف شعراً للتحمّته وهو في  
المهجر، والغريون لا يجدون غير الطير شبيهها للطائرة، بل يرددون اختراعها  
إلى الطيور الكامنة حين تخلق باصطفة في السماء جناحين من حديد.

农 事 学

وإذا ما انتهينا من جناح الحجر والحديد في الواحه انقلبنا الى جناح الطبيعة  
في رياضها وأنهارها وأشجارها ، لنرى الى صوره ورسومه عنها ، فقد خلف شوقي  
ألواناً بدبة كا خلف القدماء ، فرسم الماء والسماء وما بينهما ، ولبث بهميد  
الجمال في كل درب ، فلانتظر الى قوله في نهار جبيل<sup>(٢)</sup> :

١٣٣ / ٢ (١) الشوفيات

٢٥ / ٢ ( ) الشوفيات .

وترى الفضاء كحائط من صحراء  
نضدت عليه بداعم الألواح  
القيم فيه كالنعام بدينةٌ<sup>(١)</sup>  
بركت وأخرى حلقت بمناج  
والشمس أبهى من عروس برقة٢  
يوم الزفاف بمسجد وضاح  
والماء بالوادي يخال مساريًّا  
من ذئق أو ملقيات صفاح<sup>(٣)</sup>

رسم فيه الفضاء والسماء والشمس ثم عرض للسوق ف قال :

وجرت سواق كالنواذب بالقرى  
وعن الشجيري بافة ونواح  
الشاكيريات وما عرفن صباة  
الباكيات يدمعن سخاح  
من كل بادية الضلوع غلية  
والماء في أحشائها ملواح<sup>(٤)</sup>  
تبككي اذا نيت وتصحلك ازهفت  
كالعين بين تنشط ورذاح<sup>(٥)</sup>  
هي في السلسل والغلوال وجارها  
أعمى ينوه بنيره الفداخ

وهذا شعر جميل بذكرنا بأخيه في العراق والشام ، لا يكاد ينفعه عنده  
في بيان ورقة وعدوبه و توفيق ، أكثرنا من روایته عامدين وأفضلنا في أبياته  
لتشهد السامعين معنا أن الشاعر جرى في ميادين الشعر الفحل ، واستطاع  
على تأخر الزمان ، وسكوت الخاجر المبدعة ، وقلق الشعر أن يلحق بركب  
الفحول من شعراً ، وأن يرفع لصر راية عالية بين شراء العرب ، وأن  
يدفع إلى تكريمه وفاء لشاعر بيته ، فهذا الجديد يصبح في التراث العظيم إذا  
تقلب الزمان ، وافتقد الناس الشعر الجميل الجzel .

(١) الصفاح : عرض السوق .

(٢) ملواح : سريع المطش .

(٣) رذاح : رذحت الناقة ألت نفسها إعياء .

فالملدش يف شوفي - كا قلنا - أنه نجح في قطر غلب عليه الركود ، وفي مصر صحت قروناً في الشعر ، فلم يلهم ولم يدع ، وإنما روج لنوابغ الشعراء من جيرانه ، فلما غنى شوفي ولصق بالفجول خسكت في قوافيه أمانى الأدباء ، ونهالت في أوصافه مثابة الشعر ، فأعاد للناس شرابة معتقداً في الوصف وفي الفزل ، فتوجهت إلى مصر أنظار العرب وأصفت إليها أفنديتهم وقدمت إليها وفودهم تبارك القبيلة التي نبغ فيها ، وتهنىء العشيرية التي لمع في ربوعها ، كا كان العرب يهنتون في عكاظ سواء بسواء .

وقد رأينا أنه استعرض صور القدماء ، وطبع أن يكون أميراً في الشعراء ، وأن يصبح لعصره كا كان جرير والجذري وأبو نواس لعصورهم ، فلم يضره عرقه ، ولم يفسده القانون ، ولم يحبسه زمانه وحساده وتقاده عن امتلاك مكان رحب في جنан الخلود ، فكسب المعركة سواء أوقع في التقليد أم انفرد في الإبداع ، وذلك لأنّه شقّ الطريق ، ومهد لشعراء قومه سبيل الابتكار بعده ، فلم نسمع بمن ينسينا ذكره ، حتى لكان الشواغل صرف شبابنا عن لهذا اللون من منع الشعر ولذائذه المترفة إلى شعر الكفاح والنضال ، فكان لهم آمنوا بالالتزام وحده ، فهو إلى بنوته ينهلوه منه لنسمع منهم بعد قليل ، وإنما لفائفهم لم تتظرون .

وسيبقى شوفي وتبقى هذه القصائد وأمثالها منضدة كبدائع الألوان في متحف الشعر العربي ، وفي مكان رحب منه هو «جناح شوفي» إذا صلح التعبير ، يزور به الأدباء معجبين يستعرضون الجمال والجلال . ويقرؤون شعره مثلاً في الربع فيجدون أن الطبيعة هي الطبيعة وأن الفيم هو الفيم ، نرسمه كالنعام حين نستسلم لأحلام الطفولة ، ونشبه الشمس بمسجد وضاح أو كعروس يوم الزفاف ، ونجده السوافي نوادي تشكون خلودها على الزمان ، تدور وتدور فما تعرف الهدوء والقرار ؟ تعرف الماء وتسكبها ، وما تدرى ما تفعل ، لأنها كالميد في المصور



## الوصف والغزل في شعر شوقي

الومضى أو كالامسى في وحول القولفا القىصرية ، تفني باكية حظها .  
بل هي كهذا الحيوان معصب العينين بنوته بنيره الشقيل .

ويقرأون شعره كذلك في وصف القمر ، وقد رسمه متسللاً في الماء قد بدا  
نصفه ، وأسفر عن قفل ماس في صوار نضار ، ورسم الفلك على الماء يتبعها  
ذيل من الأنوار تخطر في لجين مائج أو عسجد زخار .

فإذا وقفنا أمام وصفه للنيل ، رأينا الألوان والأصباغ حين يسود النهر  
أو يخضر ، فيجوك بردة على الضففين لا تخلق على الأيام لأنه شريان مصر ،  
وغذاء أرضها وأهلها ، وهبة الخير والنماء التي لا تهدأ هبة <sup>(١)</sup> :

ومن السماء نزلت أم فجرت من      علية الجنان جداً ولا تترقرق  
وبأي عين أم بأية منزة      أم أي طوفان تفيض وتفهق  
فإذا حفظ المصريون بد النيل ، فهم يحفظون بد شوقي ويرددون شعره ،  
وبنقشونه في قاعاتهم شارة على الوفاء لشاعر النيل ، وينشدون أبياته كما ينشد  
الفربيون أغانيهم في الدانوب الأزرق وفي القولفا وغيرهما ، فالنهر ماء الحياة  
ودفقة العزة وشراب الخصب ونسمة الدهر .

ونحن في الشام نحفظ اشوقي بده علينا حين خصنا باللوح في هذا المتحف  
الجميل ، فرسم من اقلينا ما وصف ، وخلد من آثارنا ما خلده ، فشك الجمال  
في قواطيه وأراق في أبياته من مسجدى وما ذنى ما أراق . فلما دخل دمشق  
عاصمة العروبة ومسرح الوليد وصواته ، هبت دمشق لاستقباله ، وجرى  
«بردي» يصفق للقائه ، فكانه رضوان يستقبل اليوم شاعرنا في جنان الخلد ،  
والشمس فوق لجين الماء كأنها عقيان ، وشجر الحور في فربة دص أو في

(١) الشرقيات ٢/٧٦ .



«الهامة» كالجحور في الجنان قد كشفت عن صافتها وخففت ترقصه ملقدمه ، ولعل شوفي قد عرف أن النهر صغير قليل ، ولكنه نشيط جميل ، يكاد يكون صورة للشعب ، يضج بالحركة وبشور بالسماع ، ويتصلق بالحرية والنفع ، يندفع على صغره كما يندفع النيل والفرات ودجلة ليغذى العرب بآياته ويهمهم بخصبه ؟ فحن نتفق بقوله <sup>(١)</sup> :

آمنت بالله واستثنيت دمشق دُوْح وجنت وريحان  
قال الرفاق وقد هبّت خائلها الأرض دار لها الفيحاه بستان  
جري وصفق يلقانا بها «بردي» كما قلقاڭ دون الخلد وضوان  
دخلتها وحواشيهما زمرة الشمس فوق لجين الماء عِقَيَان  
والجحور في «دم» أو حول «هامتها» حُور كواشف عن ساق وولدان  
لأننا لم نقرأ لنهر دمشق وصفاً كوصف شوفي منذ حسان بن ثابت فنعرف  
لذلك بيده على أبنائنا منذ أرسل فيينا هذه الانتمام الملعوبة .

والألواح في التحف ما زال كثيرة ، في الرياح والشرب والشاربين ،  
تشبه ما في ديوانا من البختري وابن المعتر وأبي نواس ، بل تزيد عليهما فتشير  
البلابل وتحرك الورق كما أنها جوقة من راهبات في صحن كنيسة يوم عيد الفصح ،  
وقد انتشر الجحور وعلا الشبد الجميل . وأحمد شوفي يستعير صوره من الأديان  
جميعا ، وفيها الدين المسيحي ، كما فعل الحمدانيون . وبعدد النبات وألوانه  
والزهور وأصنافه كما عدّها أولئك في روضياتهم ، فيرمم الخمائل صرحة ، والترجس  
والآفاح ، والمنثور والورد والزهور ، كما أنها في موكب جميل تهادي في  
أوضاعها ، هذه خفضت رأسها ، وتلك نهالت شامخة ، وثالثة ضحكت صرحة ،

(١) التوفقات ٢ / ١٢٣ .

وهذه عبّثت في العرس الحافل ، فكأنه يرسم عرس الطبيعة ، ويحرك الزهر على المسرح كما يحرك الفنانون دمامهم بمحض خفية يرقصونها وينطقونها بأجمل الحديث في مسارح باريس وموسكو .

\* \* \*

وهذه الألواح خالية في أكثرها من التوقيت والتاريخ ، لا تدلنا على صبي أو كهولة ، فلن نستطيع أن نصف منها أطواره ، ولن نصور تقبّه وتقديمه في شعره . ولعلها ليست أجمل ما قال ، ولكنها في رأينا من أجمل ما بقال ، بل إننا نراه يحاول أن ينطقوها كما فعل دهقشى في لوحته عن موسي الكليم صلوات الله عليه ، ولكنها عجز في باب الألوان والأصباغ والحركة فنظر إليها كأنه ينظر الفوتوغراف من وجه واحد . كما قلنا .

وقد نظر إليها تقاصداً المعاصرون على اختلاف غير يسير في الرأي فاتقصصها بعض على أنها تقليد ونقل ، وأكبرها بعض على أنها آية الآيات . فقال الرافعى : «إن شوقي صاحب البدعة في الوصف ، وهذه الناحية هي أقوى نواحيه» . وفقد المقاد وعمر التшибى : «أن نطبع في وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انتطبع في ذات نفسك» . ورأى غيرهما أن الشاعر أخفق في مجازاته عصره فاصنعته آلات القدماء وأوصافهم .

ونحن لا نحمل شوقي مكرة تصويره في الحاق بشعراء الغرب في العصر الحديث ، وقد عاش بينهم في باريس وغير باريس ، فلم يرسم أثر المشاهد في نفسه ولم يحاول أن يطبعها في نقوس قرائه ، ولم يجعل كاشاعر لاماً مارتين مناظر يطبع صاعدين يفهمان الماء كما يضم الماً الماً حبيبه في نقوس حينما وفي انسلاـم أحـيـاناً . وذلك لأنـ شاعرـنا كان يـديـمـ النظرـ إلىـ الشـعـرـ الـمـرـبـيـ القـدـيمـ أـكـثـرـ ماـ بـدـيمـ وـيـسـىـ فيـ الحـاقـ بهـ وـخـاصـةـ فيـ الوـصـفـ .



فلا أراد أن يصف دقات قلبه من جمال النساء بعدهما وصف من جمال الأرض والسماء وقف أول الأمر عند غزل القدماء، وتعلق بصور القرنين الثالث والرابع، ولا ذ حيناً بأسباب المدرسة المذرية، وأخذ أحياناً بالغزل الصناعي، ولكنه كان في ذلك كله يجاري الفحول من الغزلين القدماء، فلما أوغل في الفن استطاع أن يولد وأن يبتكر، فكانت منه تمايزات وصور بلطف مبلغًا عظيمًا من الصيغة والموسيقا، فكان شعره في هذا الباب موضع الثناء في عصرنا لحن كلّه أو كاد، ودار على الأسماع لرقته وعدوبته.

أما أنه وقف عند غزل القدماء أول الأمر، فهو واضح في الفاظه يذكر ذكر البان والعلم والريم والملها والمرض والبعاد والقتل والفتى، في مطلع قصائده وفي المقطمات الخاصة بالنسبة والتشبيه. فوصف ماء الخد يشف عن الهم، والشادن في غلائل قشب، قد قر منه النهد واضطرب، فإذا مشى أخجل القصب، بين عينيه ولها نسب، يميس قده، ويسفر عن البدر وجهه، ويقتل بيضنه وفيه صقم، ويديس عشاقه بالسيف والسرور والطلى، يرمي الشباك ويصيد العشاق يرسم عن نضيد، ويرنو بطرف أهور. وكان في هذا مقلداً من غير شك حتى إذا انطلق إلى باريس وغير باريس راح ينشد شمراً جيلاً ينبعث من قراره نفسه، فيقول<sup>(١)</sup>:

نظرةٌ فابتسمةٌ فسلامٌ فكلامٌ فوعدهُ فلقائهُ  
يُوْمَ كُنَا وَلَا تُسلِّكِيفَ كَذَا فتَهَادِي مِنَ الْهُوَى مَا نَشَاءُ  
وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَفَافِ وَقِيبٌ تَعْبَتِ فِي مَرَاسِهِ الْأَهْوَاءِ  
فَصُورُ الْحُبِّ جَنِينًا مِنْذُ ولادَتِهِ حَقٌّ بَلَغَ أَشَدَّهُ، وَأَثْرُ الثَّرَّ المَرْجُوُّ، فَكَانَ

(١) الشوقيات ٢ / ١٣٩ .

لقاء وما وراء اللقاء . وهو في غزره عفيف حيناً ، وغير عفيف أحياناً ،  
أمين على الحب وخثون في المشق ، يقسم وبقسم ، ويجهل للحبيب من قلبه  
مبدأ وسفحاً وملهاً ومنهلاً عذباً ومرعياً طيباً .

وكم تفينا في شبابنا بالحان شعره في قصيدة السائرة التي وصف فيها لقاء  
الحبيب وما وقع بيته وبينه فقال <sup>(١)</sup> :

لم أدر ما طيب المناق على الهوى حتى قرق ساعدي فطواك  
ودخلت في ليلين فرعك والدجى ولشت كالصبح المنور فالك  
وتعطلت لغة الكلام وخطبت عيني في لغة الهوى عيناك  
لا أمس من عمر الزمان ولا غد جمع الزمان فكان يوم رضاك  
وأعجبنا آنذاك بلجة الكلام حين تعطلت وذهبت الكلمة فيما مثلاً ، وردّ دناءها  
في سن كانت ترقص لهذه المعانى والصيغ ، ولعلها تبعث فيما اليوم ما يبعث  
النافوس في النساك - كما قال شوقي - ولكنها لم تفقد عذوبتها في أفواهنا ،  
ورقتها في أسماعنا ، لأنها نصّور الغزل الجميل وقد سكت الكون ، وتكلمت  
الأنفاس ، في الصدور ، وتنقطعت الحسرات بالقبل ، وبرقت العيون في  
الظلام ، وزداد حدب القلوب كما صادت العتمة - كما يقول بول جيرالدي -  
في باريسياته ، فكيف نصدق الخبراء من النقاد حين يرمون شوقي بالبعد عن  
هذا ، ويرون أنه ماتكّفه ولا سعى إليه . وكيف يستطيع شاعر لم يذق  
الجوى والالم أن يقول :

إذا طاف قلبي حولها جنْ شوقة كذلك يطفى الغلة المنهل المذب  
يجنْ اذا شطّتْ ويصبو إذا دَنَتْ فإذا يوح قلبي كم يجنْ وكم يصبو

(١) التوثيقات ٢ / ٤٤٥

ولو عرفاوا أية حسنة، سفح عليها خنثه وشكواه، وأراق على ثخرها دمعه وبكاه،  
لآمنوا بها يقول، ولكن شوقي سكت عن ذكرياته في هذا الباب فلم يجد  
عن باريس ومونبليه وغيرهما كما فعل غيره. وإنما رأوا أن الرجل كان يتقمص  
ثياب الأبطال العاشق في مسرحياته، فيبني باسمهم ألم قلبه وجروح صدره  
وذكريات أيامه، ويوفق في التعبير والتصوير حتى ليقع من أسلفهم موقع الشقيق  
الرفيق، فيختلط شعره بشعرهم، ويصبح مع المجنون في صيغة واحدة:

مُنِيَّ الفس ليلي قربِي فاك من في كا لفْ منقاريهما فردان  
ندق قبلة لا يعرفُ المؤسَّ بعدها ولا السقَم روحانا ولا الجسدان  
فكُلُّ نعيم في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان  
ويتحققُ صدوانا خفوقاً كأنما مِمِ القلب قلبُ في الجوانح ثان

ولعل ليلي المجنون هي ليلي شوقي اقيها في الشرق أو الغرب، فما نظن أنه خلا  
من حب عنيف فاتك، لأن أشعاره تصور عاشقاً لفي الحب وخبر الفراق،  
وأحسن بهذا لكل جارحة من جوارحه كما أحسه العباسيون والأمويون قبلهم،  
فاستطاع أن يقف لشعرهم لا عن تقليد بل عن إحساس وشعور وفهم وذوق،  
ويرع في وصف الفرام في الصبا والشباب فرم في المسرحية مشهدًا رائعاً نظن  
أنه بلغ فيه الدرة تصويراً وتعبيرًا حين قال:

هـذـه الرـبـوة كـانـت مـلـعـبـاً لـشـبـائـنا وـكـانـت مـرـقـعاً  
كـمـ بـنـيـنا مـن حـصـاـها أـرـبـعاً وـأـنـثـيـنا فـحـونـا أـلـرـبـعاً  
وـخـطـطـنـا فـي نـقا الرـمـل فـلـم تـخـفـظ الرـبـيع وـلـا الرـمـل وـعـيـ

لم تل ليلي بعيري طفلة لم تردن عن أمس إلا أصبعا  
قد يهون العمر إلا ساعة وتنضيق الأرض إلا مواضعها

وهذه الأبيات تقع من موسيقى الشعر الغزلي وروعته وجماله يجتث تشهد لشوفي  
ببراعة الغزل فهي تنضح بالحب البريء وتصف الموى في أجمل صفحاته ،  
حين يرسم العاشق على الرمل ويحيط على الماء ويبني على الهواء ، فتحمل الريح  
أحلامه وقصوره إلى كل مهب وفي كل سبيل ، فإذا شب ذكر مكان من  
الصبا في أسي جميل ولوحة صادقة ، وحرقة يعرفها المحبون ، لأنها صورة الحب  
في الإنسانية . وهذا هو الشعر الإنساني الذي وفق شوفي إلى رسمه وبلغ الفاتحة  
فيه فلم يصح مع «موسى» : أن الأماني لا تبني على الرمال ولا تتمدد على الرياح .  
والنقاد يرون أن شوفي لم يلح على الغزل إلخاته على الأبواب الأخرى  
فلم يعالج منه لوصف حياته ومن حوله ومن عرفه ، ومن أحبه ، ولذلك جاء  
قليلًا بالنسبة إلى شعره في الألوان الأخرى ، ويرون أنه سكت لوقته من  
السلطان والمجتمع ، ولو قد فعل لكن له في الغزل ديوان كبير ، ولكنه  
صرف أكثره إلى المسرحية فوق فيه وبرع به ، ورفع فيه لواء مصره وعصره .  
على أننا نجد أنه صرّح بهذا الغزل حين تحمّل إلى لبنان ، ووقع في  
«بكفيا» على صيد جميل ، فجري وراءه وخادعه وخادعه حتى انتصر عليه ،  
ومشي الصيد إليه وليس أول جؤذر وقت عليه حيائله <sup>(١)</sup> :

قد جاء من سحر العيون فصادني وأتيت من سحر البيان فصادته  
لما ظفرت به على حرم الهدى لابن البتول وللصلة وهبته

(١) الشوفيات ٢ / ١٨٨ .

ولكنتنا لا ندرى بعد ذلك كم وهب وكم اصطاد ، وكم من الشباك أطلق وكم لمن ؟  
 حق إذا تعجبت بدأه ترك الشباك وألقى القبضار ، وعنف عن الغناء في الفزل ،  
 وجلس يرقب الصيد والصيادين ويذكر أيامه الحلوة في بسمة راضية وعيشة هازية ،  
 حق دلفت إليه الملائكة بين سحر الماظر وعطر المفاتن ، فاحتمله إلى جنан المعجم  
 حيث الحور والولدان الخالدون ، فرير العين بما كسب للشعر العربي ، ناعم  
 النفس بما وهب من صور وألوان ، عظيم الشهرة فيما خلد من وصف كان تاج  
 شعره ، ومن غزل كان موضع الغناء في مطاراتح أنسنا ونجوى نقوصنا ، حلّق  
 فيها كما حلّق الفحول من قدمائنا فاستحق الإعجاب والتكرير والذكر العطر ،  
 على مرّ الدهر وتقلب الأجيال .

### الدكتور سامي الدهان

.....

م (٥)

## نشر شوقي (\*)

أكان شوقي الشاعر الذي ملاً شعره مسماع الدنيا ، وخفقت له قلوب النساء ، ورد إلى الشعر العربي رونقه ويهاءه ، وجلا عنده . بعد البارودي وصبري - ظلمة عصور الانحطاط ، أكان شوقي هذا الذي فعل الأعجوب في الحياة الفنية الشعرية ، ناثراً من الناشرين الذي يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في صوام ، دالاً على مكانتهم بين حولهم ، مبيناً عما كان من تجدبهم في الأسلوب العربي أو تشققفهم له ، أو دفعه في مساربه الجديدة ؟

أغلبظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناشر في شيء من البسر . . لا لأنّه لم تكن له هذه القدرة على النثر الفني المتكتن من الصنة حتى لشكاد تكون فيه عفواً . . ولا لأنّ ثراه لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع . . لا شيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمرُ شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواقف التي نطمئن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقدير . . فنحن نحبها في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التحديد ، وإلى المفوية منه إلى التصنّع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المفني بأكثر من الانسجام مع اللفظ . . ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءً ، طلاقاً ، كهذه الأشرعة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا تستمع لها صلصلة ولا جبلة ، ولا تحس لها ضجيجاً ولا عجيجاً ، وإنما هي وصوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى المجداف ، وتحية المجداف إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطقي على صنعة الماء .

(\*) المكالمة التي ألقيت في مهرجان أحمد شوقي بالقاهرة ،



ذلك نحن نحب النثر اليوم ، وأنا توله عندنا هذا الاعجاب بهذا اللون من النثر المطلق ، وتكون فيما الميل إليه ، واستقر عندنا الآخر به بعد ذلك والالتزام والانصياع إليه والرضا به - أثراً لسلسلة طويلة متشابكة من العوامل والأسباب ... بعضها يعود إلى ثراثنا العربي النثري في القرون الأولى قبل أن تطفى الصناعة ، وبعضها يعود إلى طبيعة العصر وروحه العامة ، وبعضها يعود إلى غلبة الفكرة وتفهور الكلمة التي لا ترتبط بالفكرة ارتباطاً وثيقاً ، وبعضها يعود إلى عوامل أخرى اصطلاحت جميعاً على أن تكون عندنا ذوقاً جديداً ، ومقاييس جديدة ، وأصاليب تخضع لهذا الذوق وتنفي مع هذه المقاييس .

أبرز ما في ذلك أننا أدرنا ظهورنا للسجع .. بل أوشك أن أقول إننا كرهنا هذا السجع في كل ما يكون من صوره وألوانه .. وسواء كان السجع طريراً نديباً أم كان جائماً فاسحاً فنحن لا نؤخذ به ولا نطرب له إلا أن يكون ذلك عارضاً أو كالعارض . وعلى ذلك لا تكاد تتعاقب سجعنات في أسلوب كاتب من كتابنا ، أبرز كتابنا إن شئت ، حتى تتوقف وتشعر في نفوسنا التفرة من السجعة قبل أن يثور عندنا الإحساس ببعدها .. إننا حين قربنا السجعة في صفحة من الصفحات بنبأه عندها من الإحساس بانكار السجع كله أكثر مما ينبعث من الأطهئيات إليها .

ولقد مضى السجع في طريقه إلى أن تذكره وفرق منه في مرحلة الصحافة اليومية أولاً ، ثم في مرحلة الأدب الانشائي كله بعد ذلك في أي لباس بدا هذا الأدب الإنشائي .. ولم يبق للسجع إلا مجال الخطابة يختهي بها ويحفظ على نفسه بعض مكانته عند الخطباء الموقفين .. فما أضجعت الخطابة من نحو ، واتخذت سبيلها إلى التبسيط الذي يقرّبها من العامة ، وغلبت فيها حرارة المشكلة السياسية أو الاجتماعية على اللباس الفني ، كما نلاحظ في الأعوام الأخيرة ،

خسر السجع آخر معاشره التي التجأ إليها واحتى بها ، فلم يبق هنالك من ينشئ فيه أثراً فنياً جدلاً .

وحين نقول السجع لا يعني السجع وحده ، وإنما يعني كلّ هذه الطاقة من المحسنات البدعية التي توّاكب السجع في كثير من الأحيان : الطباق والمقابلة ومراعاة النظير والجناس والتورية وهذا الحشد من ألوان البدع في معناه الذي نعرفه به في كتاب البلاغة المحمدة . . . فقد ارتبطت هذه كلها بالسجع فكان لا يمكن - غالباً - إلا معها . . . فما فتها أذواقنا أو عافت أكثرها بصورها القدية مع ما عافت من أمر السجع سواء بسواء .

وفي هذا الانصراف عن المقيد إلى المطلق ، وعن المسجوع إلى المرسل ، نَمْثِلُ أكبر منعطف في طريق التراث الفني في حياتنا العربية المعاصرة . . . ومن المؤكد أن هذا الانعطاف كان من القوة ومن التأثير في ثرثنا الحديث وفي تذوقنا الحديث بحيث ذلك أن نفترض مطهتين أن أقوى نصي أدبي مُعجب من إنشاء أدباءنا المتميزين لو قدر له أن يصاغ سجعاً لانصرف الناس عنه ولفتشوا عن غيره ، ولقالوا في أنفسهم مُسِرِّين وفي ألسنتهم جاهرين : إنه السجع . . . كأنما يركزون في هذه الجملة كل أثقال عصور الاتصالات بلبسونها هذا النص ، ويحملونه كل ركاكت الفظ ونقر المعنى الذي نعرفه في إنتاجنا الأدبي خلال أكثر فترات الضعف والتردد .

ومن هذا ، فيما أحب ، كان أعظم الغبن الذي لحق ثر شوقي . . . وإذا كانت مواضعات مصر ومقاييسه هي التي ألفت على ثر شوقي ، أعني على النثر المسجوع ، هذه الظلالم الكثيفة التي تحول بيننا وبين أن نتذوقه ، وبيننا وبين أن نستجيب له ، وبيننا وبين أن نتفاعل معه . . . إذا كان هنالك هذا السبب الظاهري الذي لا سلطان لشوفي عليه . . . فثمة سبب آخر كان شوفي نفسه هو صرده وهو مصدره . . . هو فيه المبدأ وهو فيه النهاية ، وأعني به شهر شوقي . . .

ومن المؤكّد أنه لو لم يكن هنالك الديوان<sup>٦</sup> والشاعر<sup>٧</sup> الإنسان<sup>٨</sup> الذي  
غنى روائع التشيد وبارع النظم . . . وكان هنالك شوقي الذي تحدث عن الحياة  
والآنس واليوم والفتى وعن الأُمومة والقلب ، وعن الشهادة والصلوة والزكاة  
والحج ، وعن القناة والجندى المجهول ، وعن الشمس والظى - لو كان هنالك  
شوقي هذا خسب لكان له في حساب الحياة الأُدبية شيء آخر . . .  
ولكن شوقي الشاعر غطى على شوقي الناشر ، كما كسف عصر<sup>٩</sup> شوقي  
المطلق المرصل شمس السجع الذى كانت متوجهة .

و كذلك نرى أننا نستطيع أن نقول في الشعر : هذا عصر شوقي .. في  
كثير من الأطهان .. ولكننا لا نملك بحالٍ أن نقول في النثر : هذا عصر  
شوقي .. فلننشر أصواته الآخرون : طه حسين والعقاد والمازني والرافعي والزيات  
ومن في طبقتهم في إقليمهم والأقاليم الأخرى ..

\* \* \*

على هدي من هذه الحقائق الأولى نستطيع أن نتحدث عن ثغر شوقي ،  
وأن نتساءل ماذا كان من أمر هذا النثر وما صبّله فيه ؟ ما هي مسالكه التي  
اختذها وألوانه التي تسرّب بها ؟ . . . أهناك وراء هذا النثر مذهب معين  
يتجه إليه شوقي ويبشر به أم كان الأمر لا يخضع لغاية ولا يضفي في مذهب ؟ . . .  
أهناك مراحل مرّ بها هذا النثر ؟ وماذا كانت دوافع شوقي إليه وعناصره في  
تكوينه وأصوليه في بنائه وموضوعاته التي صبّها فيه ؟ .

وليس في وصفنا أن نفرض كل آثار شوقي التثوية ، فبعض هذه الآثار يعود إلى مطالع حياته ، وتلك خطىً قد يُعني بها مؤرخو حياة الأديب وراصدو مسالكه . . ولكننا نزيد اليوم أن نكتفي بالإشارة إليها دون الوقوف عندها . . ونعني بها هذه الآثار التي كتبها أو ترجمها في صدر حياته : لadias - عذراء الهند - دل وتهان - وبعض هذه الآثار هي التي توج اتجاهه الثوري وتعبر عنه في أكمل صوره وتلك هي التي سنتوقف عندها ونعني بها «أميرة الأندلس» وأسوق الذهب . . غير أن أميرة الأندلس عمل مسرحي خاص فيه شوقي من ثراه المسجوع إلى النثر المطلق فليس لها إلا هذه الدلالة الضخمة على تطور ثر شوقي ولذلك لن نقف عندها إلا من هذا النحو .

وقد كان لا بدًّ لهذا البحث ، كي يأخذ أبوابه آفاقه ، ويسير في أصدق اتجاهاته ، أن يظفر بشيء من رسائل شوقي الخاصة فيها كتب إلى خلص أصدقائه في الشؤون العامة أو في شؤونه الخاصة ، ولكننا لاتزال في دراسة الأدب من هذه الفاية على بعد . . لأننا لم نتعمد أن نجمع كل آثار أدبائنا ، ولم نتمكن بعد من النظر إليهم - من خلال آثارهم الخاصة - في غير الصورة التي أرادوا أن يظهروا بها للناس في آثارهم العامة التي نشروها .

\* \* \*

ما الذي نجده في أسواق الذهب ، أبرز آثار شوقي التثوية ؟  
حين قدم شوقي لكتابه هذا أشار إلى كتابين آخرين : أحدهما أطواب الذهب لازمخشري والآخر أطباق الذهب للأصنهاني فقال : «فهذه فصول من النثر ما زعمت أنها غرر زياد ، أو فقر الفصيح من إياد . . ولا توهمت حين أنشأتها أني صنعت أطواب الذهب لازمخشري ، أو طبعت أطباق الذهب

للاصفهاني ، وإن سميت هذا الكتاب بما يشبه اسميهما ، ووسنمه بما يقرب في الحسن من وسميهما »

هذه الجملة التي جاءت في مقدمة أسوق الذهب دفعت بعض الذين كتبوا عن شوفي إلى القول بأنه جرى في كتابه على نقط أسوق الذهب وأطباق الذهب .. أو أن عمله في الأسواق بتطابق مع المقامات وأنه يذهب فيه مذهب الزمخشري من حيث الوعظ والارشاد <sup>(١)</sup> .

فهل ذهب شوفي مذهب الزمخشري والأصفهاني ، وهل جرى على نقط الأطباق والأطواق ؟ أكان عمله بتطابق مع المقامات ؟

قد نستطيع أن نختار الذين قالوا بهذا إذا نحن تناولنا الأمور تناولاً عاماً ، ووقفنا لا نتجاوز الشكل إلى ما وراءه .. إن الأطباق والأطواق قائمة في مظهرها الخارجي على السبع .. وكذلك أسوق شوفي .. غير أن هذا وحده لا يتيح لنا أن نفرق في المقارنة حتى نصل إلى حد المطابقة بين هذه الأعمال الثلاثة ..

وصحبى أن شوفي أشار إلى الأصفهاني والزمخشري ، ولكننا يجب أن لا ننسى أنه أشار كذلك إلى زيد بن أبيه وقس بن ساعدة الإبادى ، وأنه صرد هذه الأمياء كلها لا على أساس فني ، بمعنى أنه لم يقصد إلى أن يقيم هذه المقارنة أو المطابقة بين صنيعه وبين صنيع هؤلاء الذين تححدث عنهم .. وإنما قصد إلى شيء من الزيادة الفنية خسب حين ممئى ضرر زيد وفقر الفصيبح من إباد .. إنه في الواقع كان في نطاق تعداده هو إلى ذكر طائفة من

(١) اظر ما كتبه الملامة المرحوم الأستاذ محمد كردعلي في كتاب ذكرى الشاعرين

« الأستاذ أحمد عبيد - ج ٢ ص ٤٣٦ » ، وأشاره الأستاذ الدكتور

شوفي ضيف في كتابه الرابع عن شوفي ص ٢٩٢ « الطبعة الثانية » .

الأئمّاء اللامعة في النثر العربي ، بعضها إسلامي وبعضها من القرون المتأخرة -  
أقرب منه إلى أي شيء آخر .

وإذن فليس هنالك هذا النط المشترك - إن شئنا الدقة - بين الأصوات  
وبين الأطواب والأطباقي . . وليس هنالك هذه الرغبة في تقليد أثر بعينه . .  
إن لكل من هذين بناءه وأساسه ووجهه التي يخالف بهما عن وجهة الآخر  
وبنائه وأساسه .

ولذلك ، أعني بهذه المقارنة بين شوقي وبين الزمخشري والأصفهاني فضل  
حدث نذكره الكتاب عن نثر شوقي فلتتجاوذه إلى ما وراءه متسائلين  
- في سبيل التعرف الأصيل على أسلوب شوقي - عن الدوافع التي دفعت بالشاعر  
أن يقول هذا النثر المسجوع .

### بواعث السجع

في ذهن كلّ الذين يقرأون نثر شوقي تحوك هذه الأسئلة المختلفة :  
لم يلجأ شوقي إلى هذا النثر وقد تُميّزه بالشهر وتقديره فيه سائر طبقات  
المحدثين ؟ ما الذي كان وراء هذا الطريق الذي شقه من بواعث ؟ لم يكن له  
في المجال الشعري ما يسد كلّ ظماء الفنِّ ؟ . . أكان يحسن أن تُمة دفقة  
من نفسه في حاجة إلى أن تبدو للناس في غير القالب الشعري الذي ارتضاه  
صبيلاً ومضى فيه وصقله أروع صقل في تاريخنا الأدبي الحديث ؟ . . لم يكن  
يميزني شوقياً أن بقال عنه انه أمير الشعراء ، وأن بقال بمحق عن عصره في  
التاريخ الأدبي إنّه عصر شوقي ؟ أكان هنالك دوافع خاصة تدفعه إلى هذه  
المزاوجة بين الشعر وبين النثر ؟ .

وقفت طويلاً عند هذه الأسئلة التي كانت تجلجل في صدرني وأنا أجالج

ثُو شوفي ، ولكفي لم أجده الجواب الذي أطمئن إليه وأرتضيه . . وأحسب أنه  
ما لم يتحقق للذين عاصروا شوقياً وخالفوه أن يتتحدثوا عن كلّ ما عرّفوا من  
سيرته أو خبروا من سيرته أو شهدوا من تشابك الملائق في حياته أن يقولوا  
هذا الذي عرفوا أو خبروا أو شهدوا وأن يكشفوا عن كل وجوه هذه  
السيرة والسيرية والملائق . فان الحديث المحدثين اليوم وغداً ان ينكشف عن  
شيء وإنما يمظلل بدور حبيس الحدس والتضليل .

وصرد ذلك إلى ما نعرف جميعاً من أصوات شوقي . . . كان شوقي للناس كما يكون البحر إذ نراه هادئاً الصفحة على حين يضطرم داخله بالوج، ويثور بالحركة، ويغلي بالانفعال . . . والمواجة التي تضطرب في داخله لم يكن شوقي ليكتبها وإنما كان يتبع لها أن تتحرك هنا وهناك ذات اليمين وذات الشمال . . ولكن ما أفل ما أتاح لها أن تنطلق فنلاً سطح هذا البحر الذي يراه الناس فيأخذهم ابساطه الماء، وانطلاقه بعيد ووسوسته الناعمة - ضجيجاً وصخباً وحركة . . . . .

ويبدو كأنه في حكم المؤكد أن شوقي كان لا يخرج على الناس إلا بالجانب الحليم العاقل من ذاته العاقلة وذاته الثائرة . . . إن نفس شوقي جوهر واحد للذين يلتمسونها من هذا السطح الظاهري فقد أصططاع أن يخفى جواهره الأخرى .

وكان في سلوكه الاجتماعي كان كذلك في سلوكه الفني . . فالذين  
عاصروا شوفياً يجهرون على أن سلوكه الاجتماعي كان غاية في الالين والدهماتة ،  
والرفقة والسلامة . . وما نحسب أن إنساناً ، بله أن يكون شاعراً ، شهد  
كل أحداث الوطن العربي والإسلامي ، ومدّ بده إلى ما وراء الأفق الإنساني  
فاقتطف هذا الشهراً خالداً ، ما نحسب أن إنساناً هذا شأنه كان حليماً خالصاً  
ورفة خالصة . . فنون كثيرة كان كذلك ثورة داخلية عارمة بمعانها ، وبتكليف  
جهات ، وتناول من عقله ، وتأخذ نفسه إنها لا مهيجاً أو محزناً . . غير أن شovic

الذى استطاع أن يخلص صلوكة الاجتماعى من القنب والطيش والجاهلية وفلتان القول ، وأن يصفى حقد الناس بحمله ، وطول لسانهم بهذيب لسانه ، وتطاولهم إلى أن ينالوا منه بمحاولته أن يصلح الجهم نيله ، هو شوقى الذى استطاع كذلك فى صلوكة الفنى أن يجعل كل انفعالاته الداخلية صنيماً فنياً معجبًا تقطبه الحكمة على حين كانت حروف هذه الحكمة تشتعل أطرافها بالقلق كأشتعل أطراف الشموع بالنور .

ومن هنا تهدى التعرف إلى سر هذا المنعطف الثري في طريق شوقي الشاعر . . وليس لنا بعد هذا إلا سلسلة من الافتراضات .

فخن نستطيع أن نرى في صنيعه هذا امتداداً لما استقر ، تقريراً ، في ثواننا الأدبي القديم من الجم بين الشعر والنثر عند كثيرين . . حتى الذين عرفناهم شعراً كان لهم ثغر لم يصلنا منه شيء ، وأبو الفرج في الأغاني يحدثنـا أن بشاراً كان صاحب منشور ومندوخ ورسائل . . . ويبدو أن جهراً من أدبـنا على مدى تاريخـنا الأدبي الطويل حرموا على أن يجمعوا بين هذين القـابـين . . وكأنـما استقر عند شوقي أن من تمام التميز في الأدب العربي أن يماشـي موكبـ الشعر عنده موكبـ من النثر ، وأن تحـفـه من حوله ، من يـبيـه وشمـالـه آلةـ الشـعـر وربـاتـ النـثـر . . . وذاكـ كلـه - فيها أحـسـب - استقرارـ للـتـقـالـيدـ الأـدـيـةـ الـعـرـبـيـةـ . . وما من شـاعـرـ كـشـوـقـيـ استطـاعـ أن يـمـدـ خـيوـطـ هـذـهـ التـقـالـيدـ منـ نـحـوـ ، وـأـنـ يـوجـهـهاـ وجـهـةـ جـدـبـدةـ منـ نـحـوـ آخرـ ، وـأـنـ يـقـيمـ هـذـاـ التـوازنـ بـيـنـ الـقـدـيمـ وـالـجـدـبـدـ منـ نـحـوـ ثـالـثـ . . . بلـ لـعـلـ حـيـاتـهـ مـسـيـرـةـ وـانـتـاجـاـ ، ليـسـ إـلـاـ هـذـاـ الجـمـ المـتوـازـنـ . . وقد لا يكونـ هـذـاـ التـقـالـيدـ الأـدـيـةـ هوـ الذـيـ دـفـعـ شـوـقـيـ فيـ هـذـاـ السـبـيلـ . . قد يـكـونـ فيـ وـاقـعـ حـيـاتـهـ حـيـاتـهـ الدـاخـلـيـةـ الـقـيـاسـيـةـ الـقـيـاسـيـةـ . . هـذـاـ الدـافـعـ . . أـنـ رـاهـمـ عـيـرـواـ شـوـقـيـ ذاتـ يومـ بـنـقـصـ زـادـهـ الـلـفـوـيـ فـأـرـادـ هـذـهـ

الحالات تمثيلاً لفناه في هذا النحو ؟ .. أتراهم غيروه بالقصور في التشر  
فرد عليهم مقاومهم ؟ .. أكان هنالك من حبيب إلى شوفي السجع ففي  
فيه ؟ .. من بدرى ؟ ولهما على كل حال شهد نطور النثر نحو الانطلاق ،  
ولحظ أن هذا التطور مفرون بالكره للسجع والانحراف عنه والبيب عليه  
فأراد أن يعيد لهذا اللون الأدبي ألفه ، وأن يرد عليه حرمته ، وأن  
يجهل منه هذه القصائد المنشورة ، وأن يخرج به عن نطاقه التقليدي وعن  
موضوعاته التقليدية في المقامات أو ما في حكمها . فوسع صاحبها ، ونوع  
موضوعاته ، وأراد أن ينسع لكل هواتف النفس ، وأصوات المجتمع ،  
ومشاكل العصر .

ويبدو أن هذا هو الذي كان .. فقد كتب شوفي نفسه في «أسواق  
الذهب» يكشف عن صنيعه ، ويبررها ، ويعرض لهذا السجع الذي صبَّ  
فيه بعض انتاجه الأدبي ، ويبين عن مكانته وفيته ، ويقول عنه إنه يقف  
على الطرف الآخر من الشعر ليلتقي به لقاء لونين فتّيin مماثلين «السجع  
شعر العربية الثاني» .

وفي هذه القطعة التي كتبها شوفي نلمع قصة السجع في العصر الحاضر  
كلها . كيف كان ، وكيف دال ، وما الذي رُبِّي به .. ولكنها قصة  
وجزة سركرة وقف شوفي عند خطوطها الكبرى .. أبان عن مكانة  
السجع ، ثم تحدث عن دوره في الأدب ، ثم بدأ يصور إنسكار الناس في  
عصره له ويقول إن صرداً ذلك إلى الخلط بين السجع المشرق والسبع المظلم ،  
بين ما سمّاه الجبل المقفرد وما سمّاه القبح المرذول .. وهو على كل حال  
يريد أن يكون السجع منطويًا على فكرة ، متصلًا برأي ، بعيدًا عن  
الخشوا والثرثرة :

«السجع شعر العربية الثاني ، وقواف صرفة ريفية خصت بها الفصحى ، يستريح إليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المفنون خياله . . . . وقد ظلم العربية رجال قبّعوا السجع وعدوه عيباً فيها ، وخلطوا الجميل المقفرد بالقبيح المرذول منه بوضع عنواناً لكتاب ، أو دلالة على باب ، أو حشوأ في رسائل السياسة ، أو ثرثرة في المقالات العلية . . . . »

وتحت في تبرير شوفي للسجع شيئاً من أسماءه ، كان فيها بعض التعبير عن الدوافع التي حدثت به إلى اصطناعه والأخذ به ، وهو الحفاظ الديني والحفظ اللغوـي . . . . وإن يرى أن القرآن الكريم جاؤـه إلى هذه الفوـاصل <sup>(١)</sup> وما كان أحـلامـها ، وفي الحديثـ الشـرـيفـ من هـذاـ اللـونـ مـثـلـ ماـ فيـ سـجـعـ الـهـامـ منـ حـلاـوةـ ، وـ فـيـ كـلـامـ السـلـفـ الصـالـحـ مـنـ الـمـأـثـورـ الـخـالـدـ ، فـاـ بـنـفـعـ النـاشـيـةـ أـنـ تـغـلـيـ عنـهـ أـوـ تـشـكـرـ لـهـ : «فـيـانـشـ العـرـبـيـةـ ، انـ لـفـتـكـمـ لـسـرـيـةـ مـثـرـيـةـ ، وـ لـنـ يـضـيرـهـ عـائـبـ يـذـكـرـ حـلاـوةـ الـفـوـاـصـلـ يـفـيـ الـكـتـابـ الـكـرـيمـ ، وـ لـاـ سـجـعـ الـهـامـ فيـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ ، وـ لـاـ كـلـ مـأـثـورـ خـالـدـ مـنـ كـلـامـ السـلـفـ الصـالـحـ» .

### الموضوعات

لم تكن الموعظة والزهد الفرض الأمامي عند شوفي ، ولم تكن الحكمة والمثل كذلك من هدفه الأول وان أشار إليها وأشاد بها في مقدمة الأسوق «الحمد لله الذي علّم بالقلم ، وأهـمـ نوابـ الكلـمـ وـ جـمـلـ الـأـمـالـ وـ الـحـكـمـ ، أـحـسـنـ آـدـابـ الـأـمـمـ» على كثرة ما تقع له الحكمة . . . واضح

(١) كان شوفي شديد البراعة حين استعمل هذا التعبير في مخطوطة عنوانها : السجع . . . لم يشاً أن يسمى ما في القرآن سجعاً ارتداهـ بهـ هـنـ أـصـلـوـنـ البـشـرـ منـ خـوـ ، وـ تـزـيـهـاـ لـهـ عـماـ نـزـهـ عـنـ ذـمـهـ حينـ اتـهـ بـأـنـ قـوـلـ كـهـانـ . . .

أن شوقي لم يقصد كذلك إلى موضوع واحد - أو موضوعات متقاربة - يمثله أو يعبر عنه عدد من الشخصيات على مثال ما أنشأ بدبيع الزمات والحريري في القرن الرابع والخامس والمويلحي والمازجي في العصر الحاضر مقاماتهم . . وإنما نوع شوقي بين موضوعاته تنوعاً كبيراً ، وكان في أسواق الذهب ، مثله في الشويقيات ، يتراوح بين الموضوعات الذاتية والموضوعات الاجتماعية في ألوانها المختلفة . . ويطالع الإنسان في كتابه صوراً من المدعى المسموي إلى حدث عن الزهرة ، ووصف للشمس وحدث عن الطلاق ، ووقفة طويلة عند الحياة ووقفة قصيرة عند الموت . . إن آفاق شوقي في الأسواق من التنوع ومن الامتداد في هذه الوجهة أو تلك بحيث تدفعنا إلى القول بأنه لم يكن يقصد إلى الأإنشاء من حيث هو إنشاء بقدر ما كان يقصد إلى التعبير عمّا حوله وعمّا في نفسه .

على أن هذه الموضوعات لم تتوّب وفاف شكل معين ، فلم تفرد الموضوعات ذات الصبغة المعينة في قسم خاص وإنما جاءت ، شأنها في ذلك شأن الشويقيات ، متماكرة متماكرة .

وليس هذه الموضوعات جديدة كلها ، وليس كذلك قديمة كلها . . بعضها من هذه الموضوعات الإنسانية المشتركة التي لا ينفي فيها القول ، وبعضها من هذه الموضوعات الطارئة التي توحي بها الساعة وإن كان شوقي «على ما نعرف من أمره في الشعر » أقدر الناس على أن يستخلص من الحادثة الطارئة المعنى الثابت ، وأن يتصدر من البارقة الخاطفة الضوء المبدد .

وقد وافق شوقي في تجديد موضوعاته التالية توفيقاً بارعاً . . تجاوز النطاق التقليدي أو الذي آل أن يكون تقليدياً في اختبار الموضوع ، فاستمدّ موضوعاته من كلّ ما حوله : من الدين ، ومن المجتمع ، ومن



السياسة ٦ ومن صراع الفكر ، ومن هذه القضايا التي كانت تثيرها روح العصر ٠٠٠ فتحدث عن الشهادة والصلوة والصيام والزكاة والحج ، وعن العدل والظلم وشاهد الزور ، وشهادة الدراسة وشهادة الحياة ، وعن الأهرام والبحر المتوسط والجندي المجهول ، وعن الطبي والأسد والشمس ، وأشار إلى الوطن والوطنية ، والاشراكية والشيوعية ، والحرية والاستقلال .

ولكن يجب أن نستدرك ٠٠ شوقي حين طرق هذه الأشياء كلها إنما طرقها ليصنع منها عملاً فنياً لا يهم الجماهير أو يشرحها ٠٠٠ إن بناء الأثر الفني هو الذي كان يستند بكل قوته ؛ ومن هنا مصدر أكبر الفرق بينه وبين الذين عاصروه من الناشرين المرسلين ٠

### العناصر

وإذا كانت موضوعات شوقي في هذا النوع فما هي العناصر التي كانت تدخل في تركيب مقالات شوقي وفي إقامة بنائها .

#### العنصر التاريخي :

نستطيع أن نلحظ بوضوح أن ثقافة شوقي التاريخية تؤلف عنصراً أساسياً في تكوين موضوعاته ٠٠ بل إن هذه الثقافة التاريخية هي التي كانت تطبع بعض مقالاته أن يطول ٠٠٠ حيث يكون التاريخ يهدى نفس شوقي ٦ كان التاريخ نبعة يرتوي منها ويتزود ما وسمه الارتواه والتزوّد .

ونحن نظرر بهذا العنصر التاريخي في شكلين :

أحد هما هذا الشكل الاستعراضي الذي يضفي فيه شوقي مع مراحل الزمن ، كما فعل في قطعة الفتاة وفي الجندي المجهول إذ ينشئ المشاهد ويعرض الصور . والآخر هذا الشكل الموجز الذي يكتفي فيه بعض الأقسام فيذكر بعض

الأشخاص أو بلفت إلى بعض الأمكنة ، أو يبقى بعض الأسماء ، ليكون  
هذه الأسماء والأمكنة والأشخاص دور الإيحاء والإثارة .

وهذا الاحتفاء بالفنون التأريخية في ثغر شوقي ليس بداعاً جديداً . . فنحن إذاً كنا نزاه أو نلحظ في ثغر شوقي فقد لمحناه ذلك من قبل في شعره . . وإن ركيزة أساسية من ركائز العمل الفني عند شوقي الشاعر وشوقي الناشر .

عنصر الغوي :

وأراغ الأثر الفي في قالب السجع بقتضي بطبيعته مادة لغوية ثرة . .  
ونحن لا نستطيع أن نتصور ثراً مسجواً لا يكون لوزارة اللغة ووفرة مفرداتها  
أنيق كثير فيه .

وإذا كان هذا صحيحاً فنحن لا نحتاج أن نقف وقفة طويلة عند هذا الفنر الذي يدخل في عمل شوقي الشري . . غير أنها لا تملك السكت عن ملاحظة أن شوقي استطاع أن يجاري الفحول في استخدام المادة اللغوية واستئثارها . . إن مقالاته في أسواق الذهب كشفت عن مقدراته اللغوية البارعة . . وإذا كان هذا شيئاً طبيعياً من أمثال الحريري وبديع الزمان والزغشري واليازجي من الذين نشأوا في رحاب المعاجم العربية واتصلوا بالثقافة اللغوية اتصالاً مستمراً دائماً - فإنه من الأمر المخالق الذي يلفت النظر حقاً أن استطاع شوقي - وبليته - هي بليته التي تتمازج فيها العناصر الأعممية وتتغلب فيها اللغات الأجنبية: التركية والفرنسية - أن يستعمل على هذه البيئة من نحو وأن يمسك بزمام اللغة العربية وأن يسخرها كيف يشاء ، فتلين له بين يديه وتطاوعه في نثره في انطلاق واسعـة وهي من عقوبة كثير ، وأن يضرب في هذه اللغة يطلب ما يقتضيه السجع فلا يفوته اللفظ وإنما يسلّس له كما يربده في نطاق الصنيع الغني الذي أخذ نفسه به .



إنه ليس شيئاً عاديًّا أن يمتلك شوقي كلَّ هذه القدرة اللغوية التي دلَّ عليها ثغره بأكثُر مما دلَّ عليها شعره نتيجة لتبصره الشخصي ومطالعاته الخاصة وحياته المرهف، دون أن يكون واحداً من الذين نشأوا في رحاب الأزهر أو درسوا على ألسانته أو كانوا قريبين من معاقل الفصحي.

#### المنصر التأملي :

وتتأملات شوقي عنصر ثالث من عناصر مقالاته . . . وإذا كان بعض هذه المقالات كما يقول هو «من شؤون المجتمع وأحواله»، وصفات الإنسان وأفعاله، أو ماهية علاقة بأشياء الزمن ورجاله - ص ٤» فإن بعضها كذلك كما يقول «قد نبع من القلب وهو عند استجمام عفوه، وطلع في الذهن وهو عند قام صحوه وصفوه» . . .

وليس معنى هذا المنصر التأملي في بعض هذه المقالات أنها تبتعد عن الدافع الاجتماعي أو الباعث النفسي، فما إلى ذلك قصدت . . . وإنما أردت أن حظها من التأمل الفكرى واستقلائه أكثر من حظها من مشاهدة الواقع واستمداده . . إن الكثرة الكثيرة من مقالات الزمخشري تعود إلى هذا التأمل، ولكن بعضها كالحدث عن الوطن صرداً التأمل فيه إلى باعث نفسي، وبعضها يعود إلى دافع من الحياة . . . ومقالات شوقي يرجع بعضها إلى هذا المنصر التأملي كافي حدوثه عن البيان، والسان، والممال، والحياة، والموت وما إلى ذلك .

#### المنصر الواقعي :

ومع ذلك فإن الجانب الآخر أكبر من مقالات شوقي يرتد في أصله الذي نجده عنه أو في تفاصيله التي ينشئ فيها، إلى هذا المنصر الواقعي من حياة الشاعر أو مما يشاهد في مجتمعه مما يفرج به أو يشகِّع منه، مما يذكره أو مما يقنه . . ولو رحنا نستقصي هذا المنصر من مواضعه شوقي لطال بنا الطريق، ذلك أنك

نحده في أكثر المقالات . . . وقد يكون هو الذي يولد بعض معانٍ أو يلوّن الحديث عنه . . . في قطعه عن « الجندي المجهول » نستطيع أن نلحظ بوضوح كيف انعكس بعض العنصر الواقع في حياة شوقي أو مجتمعه على هذه القطعة فولد فيها بعض معانٍها . . . إن شوقي يشهد كيف يسير الناس في الجنائز ، وينالون وهم يشيرون الأموات ، من الأموات والآحياء على السواء ، وينالون في الأعراض والحرمات وهم يرون عاقبة الحياة . . . إن هذه الصورة الاجتماعية المنفرة ولدت عند شوقي في حديثه عن الجندي المجهول هذه الفكرة : ( . . . إلا هذا الجندي المجهول ، فقد خلت جنازته من المامن والماضي ، والقاطع والقاضي ، فقل مت لم يعرفه الناس : طوبى لك ، ما أنت بالك ، وما أنت كفتك ومر بالك - ص ٢٤ ) .

شوقي كذلك يشهد في مجتمعه كيف يكون تجني الشيع والآحزاب ، وكيف يتسلح غير ذي مجد بأذى ذوي المجد ، وكيف يحاول الفاشلون من الأبناء أن يستغلوا سمعة آبائهم . . . فإذا ذلك كلّه ينعكس كذلك في مقالاته وبولده عنده هذا المعنى الذي صاغه في الجمل التالية : ( . . . ذهب رحمه الله لا عن ولد يرميأنا بجنازيل أبيه ، ولا أخ يصعب علينا أكفان أخيه ، وكفانا تجني الشيعة ، وإدلال الصناعة ، وكل حرباء يتسلق الناس شجرأ إلى الشمس ، بعدها على منا كجهنم من المهد إلى الرمس - ص ٢٥ ) .

## الأسلوب

حين تحدث عن الآثار الفنية التي أنشئت في قالب السجع يغلب على أذهاننا معنيان اثنان : أحدهما هذه المحسنات البدوية المختلفة التي توّاكب السجع من مثل الجناس والطباف والتوربة ومراعاة النظير وما إلى ذلك . . . والآخر هذا القمر المفوني الذي تلحه في كثير من الآثار المسجوعة ، وهذا التعلق للجانب ( ٦ )

اللفظي الذي يخرج الأثر الفني عن هدفه الأول إلى شيء من الترثية أو الحشو كما عبر عن ذلك شوقي نفسه .

أتفيد مثل هذا عند شوقي حين نقرأ أسوق الذهب ؟ وهل استطاع أن يتجنب العيوب التي رمي بها السجع أو التي أضفت عليه ؟ وما بلغ من أصره في هذا السبيل ؟

من الحق أن نتباهى كل شيء إلى أن شوقي استطاع أن ينجو مما سماه الترثية ، وارتفع بأثره الأدبي عن مستوى الآثار المسجوعة التي مسيطرة في بعض فترات الانحطاط . وبوجه خاص استطاع أن يسود المعنى ، وأن لا يضطط الفكرة ، وأن يجعل نقطة انطلاقه التعبير عمما في نفسه ، لا مجرد التعبير . إن كثيرين من الذين كتبوا سجعًا لم تكن تعيش في أذهانهم فكرة معينة ، وإنما كانت تعيش في ذاكرتهم ثروة لغوية خصبة تتبع لهم هذا السجع وما يتصل به من محسنات . فلما أرادوا هذه الثروة اللغوية أن يبدوا ، ولهذه القدرة أن تتضخم للناس ، أخذوا ينشئون . يعنى أن الدافع الأول - أغلبظن - كان يمكن في الرغبة في استعمال هذه الثروة والإبانة عنها ، وكان يتمثل بعد ذلك في هذا الأثر الأدبي أو ذاك . إن نقطة الانطلاق كانت في كثير من المرات اللغة نفسها . ولكن شوقي لم يكن كذلك ، فلم تكن الرغبة في الإدلال بقوته اللغوية - فيها يبدو حتماً - مصدر هذا العمل الفني ، وإنما كان هناك فكرة معينة تطيف بذهنه ، أو تأمل يسيطر عليه ، أو انفعال يخامر فؤاده ويضرره ، فإذا هو يعبر عنه هذا التعبير المسجوع ، تماماً كما كان يعبر عن هذه الأشياء بالشعر .

ولكي نؤكد هذه الحقيقة بكلني أن نذكر ما فعله الأصفهاني في أطباق الذهب . إن مقاماته كانت صرحاً لفنانه اللغوي . ذلك لأنها نعمت عنده الفكرة فأفكاره هي أفكار الزمخشري ، ونعمت عنده الاتقان ، فانه بالله يأتي طارئاً ،

باتي متأخرًا لا ينبع من ذاته وإنما يأتيه من قراءة الزمخشري عن طريق المدوي ، ولا نكاد نجد عنده إلا هذه التوسعة اللغوية - إن صحت النسخة - لما قاله الزمخشري .

وأمل شبيئاً من هذا أو هذا كله هو الذي فعله اليازجي في مقاماته «مجمع البحرين» فقد كانت عرضًا لبراعته اللغوية في أكثر المرات ، وفي مقامة كالملائمة مثلاً نجد أنه استعرض الأفعال التي تدل على معانٍ القطع والأفعال التي تدل على معانٍ الكسر والفرق الدقيقة بينها ثم نظمها .

ومهما يكن من أمر فنحن لا نستطيع أن ننفي - حتى في الآثار التقليدية الصرفة - وجود الفكرة وجود الأفعال أحياناً . . غير أنها تفرق بين فكرة وفكرة واقعًا بالدرجة أولاً والأصالة والتقديم ثانياً . فالزمخشري أعدى الأصحابي بواقعه ، ولكن من المؤكد أن الأصحابي على نوع من الأفعال ، هو على الأقل افعال الرغبة في إنجاز الأثر الفني ، وافتتح له بعض الجدد في المعنى ، هو على الأقل الشرح والموضحة . ولتكننا في تقويم الأثر الفني لا ننظر إلى وجود هذا العنصر أو ذاك وإنما نلتفت إلى درجة من نحو كما نلتف إلى أصالة ومكانة من نحو آخر : أكان عنصرًا أصيلاً دافعاً أم كان عنصرًا ثابوتاً لاحقاً؟ . . أكان له دور الإثارة والتقطيع أم كان له دور التقليد والمتابهة . ومن هنا نؤكد ما لاحظناه من أن شوقي وضع الرغبة في إنشاء أثر فني بكل ما يحتاج إليه هذا الأثر من فكر واقعًا وصنع ، قبل أن يضع الرغبة في إظهار البراعة اللغوية . . على حين كانت البراعة اللغوية موجهة أول في بعض الآثار المسجوبة الأخرى .

ومن هنا يصح لنا أن نلاحظ أن شوقي كان بنظر بيضيه إلى السماء أو الطبيعة أو النفس أو المجتمع ثم بنظر إلى المعلم أو بنثال المعلم على لسانه . أما بعض

الذين سلكوا السبع فقد كانوا ، أغلب الظن ، بنظرون الى المعجم اللغوي ،  
ولا يتذكرون لغولهم وأحلامهم وأهوائهم دورها أن تنهض بهمّتها في انشاء  
الاُثر الفي .

واذن فقد وفق شوقي في انشال السبع من وعدهه التي رُدّي فيها حين بدأ  
انطلاقه فيه من الفكرة . . . ولم تكن الفكرة أو الحادثة أو الشيء الذي يراه  
بعينيه ليصده ، بحال ، لتصيد اللفاظ اللغوية التي يمكن أن تدور في ذلك  
هذه الحادثة أو هذا الموصوف ولكنها كانت تعتبر عنها واقتناعاً معاً ، لا انتلاعاً  
مع التعبير الجاهز أو التعبير المختلط .

ولهذا فنحن نجد أن لفاظات شوقي عنوانين : الاَمد - اَجمال - الذكري -  
الاُهرام - الطلاق . . . ولكننا لا نجد لفاظات الزمخشري عنواناً وبالنالي  
لا نجد عنواناً كذلك لفاظات الاُصفهاني . . وفي مقامات الحريري لا يبني العنوان  
دائماً . . وعنوانين «مجمع البحرين» غربية جداً لأنها مصطلحة اصطناعاً واضحاً  
(المقامة المصرية - الرشيدية - الفراتية - الحموية) وهي لا تدل على شيء  
ما وراءها ، ولذلك لما صنعوا فرس هذه المقامات كتبوا العنوان وكتبوا الى  
جانبه ما تضمنه المقامة . . ان العنوان الصعب يعبر عن الحادثة أو الفكرة  
التي أراد الكاتب أن يتحدث عنها لا الحادثة المفتعلة التي أراد الكاتب أن يجمع  
حول نواتها اللفاظ اللغوية المختلفة .

والحق أنتا ، في سلسلة الآثار المسجوعة في الأدب العربي ، نستطيع أن  
نلح هذه الأنواع المختلفة : آثار تقوم على تقلب اللفظ - وآثار تقوم على تقلب  
الحادثة - وآثار تقوم على تقلب الفكرة مع رعاية مقام اللفظ .  
في الأولى تضليل الفكرة وتختفت ، وتبعد من وراء ضباب ، وبسيطر

اللفظ بكل ما يتصل به من جناس وطباق ومراعاة نظير . . . كما في بعض مقامات اليازجي .

وفي الثانية تحاول الحادثة أن تخفف من سيطرة الكلمة ولكنها توفق أحياناً في مواجهتها أو طرافقها شأن بعض مقامات البديع والحريري ، وتفشل أحياناً في رتابتها وتكرار شخصها وضيق فهم وتناولهم التناول الظاهري .

وفي الثالثة تسيطر الفكرة ولكنها لا تنجذب بجمال اللفظ ، وتبدو الفاصلة وكأنها جاءت لتهلكن لما يحسن به المنشئ أو الذي يحول في ذهنه . وأغلب الظن أن سبع شوقي كان من هذا النوع .

• • •

ولم يوفق شوقي في أن ينجو بالسبعين من الفقر في الفكرة والتفاهة في المعنى ، وإنما وفق كذلك في أن ينجو من سيطرة المحسن اللفظية التي توأكمبه . إن الطباق والجناس بأنواعهما يشغلان حيزاً كبيراً في الآثار الأدبية المجموعة ، وبقصد إليها في بعضها قصدآ ، ويقوله المعنى الصغير حينما منها ، وقد يلفتان الحديث عن مجراه . . . وما أكثر ما كانت هذه الأشياء تختبئ أجهلاباً بفضح لقارئ دون رب أنه اجتلاب مفتعل . . .

أما شوقي فالذي تيسر له من ذلك يبني عن أنه لم يكن مقصوداً إليه كل القصد وبصورة خاصة ما يسميه البدعيون مراعاة النظير . . . وأحسب أن الذي جاء عنده من الطباق والجناس إنما كان أثراً من آثار نشان السبع نفسه . فالكلمة المجموعة تستدعي لفظة أخرى قد لا تشاركتها في الحرف الأخير خسب ، ولكنها تشاركتها في أكثر من حرف في قوله هذا الجنس الناقص . . . وإنما حين نقرأ مثلاً حدثه عن اليوم «ص ٧٢» وعن الغد «ص ٧٣» نجد أبرز القطع التي تجمع منها هذه الناصر البدعية .

وما نفي شوقي من قدرِ من التكلف في اصطناع هذا البديع الفظي ، ولتكننا نفي عن سجنه أن يكون قد غرق في المحسنات فضلَت به المحسنات عن معناه . إن وجود هذه المحسنات التي توأكب السجع أمر لا مفر منه عند اصطناع هذا الأسلوب . ولكن كثرتها وغلبتها هي التي تقيم المخالفة بين أثر وأثر : تجعل من أحدهما أثراً مقبولاً أو محبوباً ، ومن الآخر أثراً ممبوحاً أو مرفوضاً .

ان شوقي أراد من السجع كما قال حلادة الفواصل وهدب الحمام بأكثرهما أراد إلى القيد والتکلف والالتزام .

• • •

على أن شوقي لم يلتزم هذا السجع دائمًا ، ولعل من الغريب أن نلاحظ أنه في الأقسام الأخيرة من أسواق الذهب انحرف عن التزام السجع . بل انه حتى في القطعة التي كتبها للدفاع عن السجع في الأسواق تحرر من هذا القيد وبذا أشدَّ ميلاً إلى الأسلوب المرسل وإن كان التزم الأزدواج وتوافر الفواصل . إن هذا الفلل كان بدأبة طريق جديدة في نثر شوقي . كان بدأبة الطريق إلى النثر المطلق الذي بدا في أميرة الأندلس .

وكذلك ينضح أن نثر شوقي جرى مع شعره في طريقين متوازيين : كان شوقي أول الأُمر شديد الصلة بالقديم وكان نثره شديد الارتباط بالسجع . فلما مضى شعره في موضوعاته وأصالحه حرّاً خالصاً من قيود القصر ، انطلق كذلك نثره حرّاً خالصاً في أميرة الأندلس .

وهما يكن من تقديرنا لهذا النثر فلستنا بذلك أن نقول الذي قاله الأَمناد المرحوم شكيّب أرسلان من أن نثر شوقي قتل شعره أو فتك به فلبس في

الحياة الأدبية هذا . . لكننا نميل إلى القول إن آلة الشعر التي قامت عن ميامنه « كما قال الشيخ بشاره الخوري في رثائه » قد اضبدت به فلم تترك لربات النثر التي قامت عن ميامره أن تستقل بهذا الشاعر الملموم . . شدته إلى موسيقاه ، موسيقى الخليل ، فلما نفاحت عنه بعض الأحيان شدَّه النثر إلى أساليبه وفواصله .

ان نثر شوقي في مثل منزلة الشعر . . بل انه شعر اذا نحن التزمنا تعبيده . .  
إنه شعره الثاني (١) .

### الركور شكري فيصل

أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق

— ٢٠٠٢ —

(١) يرجو صاحب البحث كل الذين يملكون بعض النصوص او الرسائل من نثر شوقي ، مما لم يطبع ، أن يتفضلوا بهدايته اليها أو اطلاعه عليها .



معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

نلل الى العربية الأستاذة مرشد خاطر وأحمد جدي الخطاط

ومعه صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من الجامعة السورية)

- 1 -

لأنزال كلية الطب في الجامعة السورية هي المدرسة الطبية الوحيدة التي تدرس الطب باللغة العربية في العالم العربي قاطبةً ، وإن صبّتها في هذا المضمار ، لذة قصيرة من الزمن ، مدرستنا القهر العيني في مصر والجامعة الأميركية في بيروت . فقد بدأ بتدريس الطب بالعربية في دمشق منذ إعادة افتتاح مدرسة الطب فيها (٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩١٩) <sup>(١)</sup> بعد اتخاذ لغة الضاد لغة التعليم في تلك المدرسة .

(١) لقد تم في التاريخ المذكور إعادة افتتاح مدرسة الطب باسم المدرسة الطبية العربية، وكانت مدرسة الطب المئوية التي يعود تأسيسها إلى سنة ١٩٠٣، والتي كانت التركيبة لغة التدريس فيها، وكان معظم أسمائها من الأتراك عدا أستاذين كانوا من أبناء البلاد العربية أحدهما المرحوم الأستاذ فيشيل شامندي الذي عُيّد إليه بتدريس الطب الشرعي و Ferdinand الطب وفن الدعاوة، وكان بين مساعدتي الأستاذ الأتراك عدد غير قليل من أبناء سوريا، خلفوا أسمائهم في التدريس في المدرسة الجديدة، ثم بُدُلَّ اسم المدرسة الطبية العربية فصار اسمها المهد الطبي العربي، وبديل صورة أخرى تأسس كلية الطب.

- 11 -



وبعود فضل التدريس بالعربية الى أولئك الأساتذة الذين وسدت اليهم كرامي التدريس (ومعظمهم من تخرج من احدى مدراس الطب العثمانيتين في دمشق او في اسطنبول) . وكانت دراستهم بالتركية قد مهدت أمامهم السبيل الى التدريس بالعربية ، لأن المصطلحات الطبية في اللغة التركية معظمها عربية . وليس من الصعب رد الألفاظ التي شوهتها او حرفتها الصياغة التركية الى وضعها العربي الصحيح ، وانبرى ثلاثة من أساتذة مدرسة الطب الى ايجاد المصطلحات الطبية العربية ، والى ارشاد زملائهم الى الألفاظ الصحيحة ، فكان لهم الفضل في هذا المضمار ؛ وهم الأستاذ صرشد خاطر ( وهو من درس الطب بالفرنسية ، وتخرج من الجامعة المسوغية في بيروت ) ، وأحمد حمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخانى . فهو لواء الثلاثة بعدهم رجال الطبيعة في هذا الميدان <sup>(١)</sup> ، بضاف اليهم الأستاذ عبد الوهاب القنواتي الذي أخذ على عاتقه وضع المصطلحات الكيميائية . واصطearan بقية الزملاء بمنبرة أولئك فكانوا جميعاً المرجع الأول ، ونلا هذه الطبقة رجال الطبقتين الثانية والثالثة ، وكل منهم جهد في رفع شأن اللغة واجداد المصطلحات في الفرع الذي اضطلع بأعباء التدريس فيه . وبعد الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكي ( وهو من رجال الطبقة الثانية ) من الجعلين في هذه الحلبة ، إذ ما كاد ينهي دراسته ، ويجوز شهادة العيادة حتى رأينا

(١) هذا وإن الأمانة لنفسي بأن نفيه بذلك المرحوم الدكتور حكمة المرادي الذي انبرى الى كتابة سلسلة من المقالات نشرها في مجلة (الصحة المعاصرة) الأسبوعية التي كانت تصدرها رئاسة ادارة الصحة في دمشق ، مقترناً قبول عشرات من المصطلحات الطبية العربية مقابل المصطلحات الفرنسية ، وقد استعمل معظمها أساتذة كلية الطب كالغزّب والقلّاب والقلوب والأمر واللى والنفي والوتن والماش والخاصنة والهبة والشري والنشر الحدة والزجير والزخار والذجة والخناق والقلام والسلمة والرهن والمعنى والسبادر والشفع والداغنة والخلب والإبقاء ( عن العملية القيصرية ) والكتفار والإباء ( عن لحد الشهوة ) والدواد وأوفاء الدم والصادة والراق وغيرها .



له المقالات المتتابعة في مجلة المهد الطبي العربي<sup>(١)</sup> ثم رأبناه بشرع في وضع كتابه الذي صنفه «مصطلحات علية» ، وقد أعاد طبعه خمس مرات على ما أعلم . هذا وإن الامانة تقتضي أيضاً بأن لا ننحط حق أولئك العطاء والرداد الأول من أساسيات النصر العربي عندما كانت العربية لغة التدريس في الطب ، ولا أولئك المؤلفين الأجلاء الذين درسوا الطب بالعربية في الجامعة الأميركيّة في بيروت<sup>(٢)</sup> .

وأنهى في مصر سنة ١٩٣٢ مجمع اللغة العربية الملكي ، وصار اسمه بعد الثورة مجمع اللغة العربية ، وأنبعط باحدى جوانه النظر في المصطلحات العلية

(١) لم تمر بحانة الصحة الممومية الأسبوعية التي ألمت بها طويلاً ، إذ لم يصدر منها سوى ٢٦ عدداً ، وكل عدد منها ثالثي صفحات ، ثم جمل المدد الواحد مت عشرة صفحة . بعد أن تولى رئاسة تحريرها الأستاذ مرشد خاطر . وصدرت بعدها في أول سنة ١٩٢٤ مجلة طيبة شهرية هي مجلة المهد الطبي العربي ، بإشراف الأستاذ خاطر وانقطعت عن الصدور بعد سنة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المجلة ثيراً يهتدى به ، وميداناً فسيحاً لنبارى فيه أفلام الفوبيين والأطباء من سوريا ولبنان والمرافق ، سواء في المصطلحات المذهبية أو في الموضوعات الطبية المحلية والمستحدثات المستجدة في بلاد الغرب .

(٢) لم يقع لكتاب هذه السطور الإطلاع على ما ألفه هؤلاء ولا أولئك ، إلا أنني أجلت الطرف عرضاً في أحد الكتب التي وجدتها في خزانة كتبى ، وهو المرور بالفصائح الواضح في صناعة الجراح من تأليف وترجمة الدكتور جورج بوسن أستاذ الجراحة في المدرسة اليونانية في بيروت وقد طبع سنة ١٨٧٣ ، ووجدت لغته صحيحة لا غبار عليها . وقد سبقنا في استعمال الكثير من المصطلحات الطبية كآلة الفم والأمة والأدرة والartery والارتشاح والتآمر والامتصاص وأمر البول والإطراف والملتحمة والرغمي وبرباءام والتلبيح وتلدين الدماغ والجمجمة والجهر والهصر وهي الدق والعشّم والدشبذ والسبات والسممة والسلاق والشترة والمقبرة والمجاش والمجهش والفتح والفتح والفرقة والذمة والفالنج والفالانير والقدم المرجاه والذداء والذداع والوكاء والرخاء والبللة المائية والكهنة واليهود والنسيج الخلوي والورقة والورك وغيرها .

ومن بينها المصطلحات الطبية لعرضها على مجلس الجمع واقرارها ، فأقر الجمع جملة قرارات تناولت الطريقة الواجب اتباعها في وضع المصطلحات العلية مما لا يتسع المجال لسرده .

وقد شرع الجمع في وضع المصطلحات في بادئ الأمر وفق الأسس التي أقرها دون أن يلتفت إلى ما فصله أستاذ كلية الطب في دمشق . وثابر هؤلاء أيضاً على الطريقة التي اختطوها لأنفسهم (ولا أقول اختطها كل منهم لنفسه) دون أن يكون هناك ما يجمع أو يوجد بين جهود الطرفين . وبدت بوادر التقارب مؤخراً فرأينا بعض لجان الجمع تنظر بعين الاعتبار إلى ما سبق لأستاذ كلية الطب وضعه وإدخاله في صيغة اللغة الطبية المتداولة في سوريا وفي معظم البلاد العربية درسًا واستعمالاً . ومع ذلك لا يزال ثمة خلاف بين لا بين الفريقين المذكورين خصوصاً ، بل بين أستاذ كلية الطب أنفسهم ، فنرى للفظ الفرنجية الواحد بعض كلمات عربية بين معرّب ومشتق ومنحوت . وكل واحد من واخفي تلك الكلمات أو من المقتصرتين لها يتثبت برأيه ولا يجد عنه قيد أدنى .

واستبشر خيراً كل من يهمه الأمر عندما طرق مسمعه أن لجنة من خيرة أستاذ كلية الطب وأطوطم باعاً في وضع المصطلحات الطبية قد تألفت وأخذت على عانقها مهمة وضع معجم شامل يهدف إلى توحيد المصطلحات ، وبكون صرجمة يعتمد عليه ، وهذا هو قد صدر المعجم فهل تتحققت به الآمال ؟ .

إنه لسفر ضخم عدد صفحاته نقارب الألف ، وقد طبع طبعاً متقدماً في مطبعة الجامعة السورية . وهو منقول إلى العربية عن معجم ١٠٠ لـ كلايرفييل الكبير اللغات (فرنسي انكليزي ألماني لاتيني ) ، فتكون العربية اللغة الخامسة فيه . والترجمة كانت عن طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٣ ، ورقت كلامه بأرقام متسللة فكان لكل كلمة عربية رقم مماثل لرقم الكلمة الفرنسية ، وقد بلغ مجموع الكلمات ١٤٥٣٤ كلمة .

إن إفهام الأستاذة خاطر والخياط والكواكي على هذا العمل الجليل ، وما أدوه في تحقيقه من خدمة لأبناء الضاد عامة وللطب والأطباء خاصة سيسجل لهم بداد الفخر والإجلال . وليس مع الزملاء الأكارم بعد هذا بأن أبدى ملاحظاتي عليه :

### ١ - المعجم الأصلي المترجم :

لا بعد هذا المعجم كاملاً من حيث عدد مفرداته . فإذا ما قيس بالمعاجم الطبية الأخرى كمعجم ( Blakiston's ) مثلاً نجد أن الطبعة الثانية من هذا المعجم الآخر ( وقد صدرت سنة ١٩٥٦ ) قد زادت على الطبعة الأولى بقدر ١٢٠٠٠ لفظة ، ونجد أنه جرى فيها تبديل ٨٠٠ لفظة من ألفاظ الطبعة الأولى . فأين هذا من مجمنا الذي بلغ مجموع مفرداته ١٤٥٣٤ لفظة فقط . ولاحظ كاتب هذه السطور وهو يطالع في الصيف الماضي كتابين صدران حديثاً أحدهما انكلزي وهو ( The Person Behind the Disease ) أي الشخص وراء المرض مؤلفه ( J. Bauer ) ، وأخر فرنسي وهو ( La douleur et les douleurs ) أي الألم والآلام مؤلفه الأستاذ ( Alajouanine ) أن عشرات وإن لم أقل مئات من الألفاظ الجديدة خلا منها مجمنا الطبي .

### ٢ - ترتيب المعجم :

لقد جعلت اللجنة ترتيب المعجم - وهو على الحروف الفرنسية - من اليدين إلى البسار على غرار ما يكون في المعاجم العربية . والأفضل أن يكون الترتيب من البسار إلى اليمن تسهيلاً للبحث عن اللفظة الفرنسية ، وهو ما درج عليه زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية ، وودت أيضاً لو نسبت اللجنة على منوال هذا المعجم الزراعي الكبير بائبات الألفاظ العربية ، مرتبة على الحروف المحمائية العربية ، في صفحات ملحقة بالمعجم . وهو عمل سهل ما دام

يوجد لكل لفظة من الألفاظ رقم خاص يمكن رسمه في جانب اللفظ العربي ، فيدل على اللفظ الفرنسي الذي يقابلها ، وتصبح فائدة المعجم بذلك مضاعفة . وهذا ما درج عليه مؤلف المعجم الأصلي في الألفاظ اللاتينية .

### ٣ - الأسلوب التبعي :

لقد ذكرت الجنة في المقدمة الأسلوب الذي اتبعته ، فقالت إنها تتحرى المفهوم الصحيح لكل كلمة من كلمات المعجم باقتاء الكلمة العربية الصحيحة ، من ترجمة سابقة صحيحة ، أو وضع ترجمة صحيحة عند فقد ذلك ، مستعينة ببعض طرق الاشتقاق المقررة لأنواء الآلات والأمكنة . وإن كانت الكلمة مصدرأً أعمل ترجمتها بالفعل الماضي لذلك الفعل ؛ ودرجت على اتخاذ وزن فعل الدلالة على المرض ( كفَيل ورقص لداء الفيل وداء الرقص ) ؛ وخصصت وزن استعمال بالكلمات التي يقصد منها الاستئثار ( كالاستئثار ) ، وزنت فَول وفُولة ترجمة الكلمات المنتحية بالكافسة ( Able ) و ( Apté ) ، وزن فُعال للداء في حشو<sup>(١)</sup> أو عضو ككِباد وعصاب وفُلاب وما إلى ذلك ، وقالت الجنة إنها تضع كلمة أقرب ما تكون من معناها الصحيح لكل كلمة لم تهدى إلى ترجمة صحيحة لها كالمحة والفوعة ، وإنها لم تعمد إلى التعريب إلا فيما ندر ، وكذلك الاشتقاق من تلك المعرفات ، وإنها اضطررت إلى التحث في بعض الكلمات للحاجة الملحة إليه عند استعمال النسبة والإضافة إلى تلك الكلمات كالكرياء مخوته من الكرياء الحمراء وجمعها كريارات ، ومثل كريضة للكرياء البيضاء وجمعها كرييات أو كريبات . واستدركت الجنة بعد

(١) كذا ورد في المقدمة ولا أظنه إلا غلطًا مطبعاً لم يتبه إلى تصويبه . وهو حتى أو حشا . فقد جاء في المسانيد حشو الفطن لأنه يحتوي به الفُرْش وغيرها ، والمعنى ما دون الحباب مما في البطن كله من الكبد والطحال والنخ .

ذلك بقوتها وكثيراً ما جلأنا إلى وضع هذه الكلمات المخوّفة مصادفة للكلمات قبل نجيتها، تاركين الخيار فيها للباحث، حتى إذا ما استأنس بها أخذ باستعمالها. وتركّت الجنة أكثر الأسماء والمصطلحات الكيميائية على حالها غالباً، كما أنها حرصت في أكثر ما أثبتته من كلمات عربية على شكلها على أصح وجوهها بحسب ما اغتررت عليه في كتب اللغة المؤثرة عنها.

إلا أن عمل الجنة الذي هو حريٌ بكل تقدير واعجاب بوزنه بعض الانسجام في انتقاء المصطلحات بعيداً عن التمسك بالأراء الفردية السابقة. فلم يكل من الأصحاب الثلاثة طريقة في النقل، وله الفاظه الخاصة في المصطلحات العلمية أو الطبية، منها ما نشر على حدة وأعيد طبعه صرات (الكتاكي)، ومنها ما نشر على حدة نفلاً عمما جاء في آخر مصنفات المؤلف (الخطاط)، ومنها ما أثبت في احدى مجلدات مجلة المعهد الطبي العربي أو استعمله المؤلف في مقالاته الضافية في المجلة المذكورة أو في مؤلفاته العديدة (خاطر). وكان ثمة خلاف على بعض تلك المصطلحات. فهل صوّي الخلاف عليها، وهل وُحدت طرائق النقل المختلفة، وصُهرت في هذا المعجم المشترك الجديد؟

إن ما يظهر لمنصفع كلمات المعجم أن كلّاً من الأصحاب الثلاثة قد التزم نهجه القديم الذي درج عليه بناء المعجم جامعاً لطريقه كلّ منهم لا موحداً لها. وعلى ذلك يلح القاريء التمسك بالنجت في كلمات هي في غنى عنه، ويرى كلمات قد اجتنبت على حين أنها أصلح من سواها، ويجد كلمات لم يسبق لغيرها أن استعملها، ولم يجارد في استعمالها أحد من زميليه ولا من غيرهما. وكذلك يلح الإصرار على إثبات كلمات لا تفي بالمعنى المترجم، لأنّ واصحها سبق له أن استعملها. وهذا كم بعض الأمثلة: لقد جاء في مقدمة المعجم، كما تكرر في مقدمه، استعمال كُربارات، وكُربِيات («خوتين من كُربَات حمر وكربات يض») في صيغة الجمْع، وكُربَيرة

وَكُرِبْضَةٌ فِي صِفَةِ الْمَفْرِدِ ، أَوْ لَسْنَا فِي غَنِّيٍّ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلَامَاتِ الْمُسْتَعِدَةِ لِلْمُسْتَبْدَلِ بِهَا كَلَامَاتٌ لَمْ تَعْدْ مُجْهَوَّلَةً لَا شَدَّ ، وَإِنْ أَجَازَتِ الْجِنَّةُ عَدُهَا صِرَادَةً لِلْكَلَامَاتِ الدَّارِجَةِ تَارِكَةً لِلْطَّالِبِ الْخَيَارِ بِاسْتِعْمَالِ احْدَاهَا؟<sup>(١)</sup> وَمَعَ هَذَا فَقَدْ تَجَاوَزَتِ الْجِنَّةُ عَنِ النَّحْتِ فِي تَرْجِمَةِ بَعْضِ الْمَصْطَلَحَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْمُخْوَتَةِ ، مُؤْثِرَةً تَرْجِمَهَا بِكَلَمَيْنِ غَيْرِ قَصِيرَتَيْنِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مُثَلًاً أَمْهَاءً بَعْضِ الْجَرَائِيمِ كَالْكَوْرَاتِ الْمَقْدِيَّةِ (Streptocoques) وَالْكَوْرَاتِ الْمَنْقُودِيَّةِ (Streptococci) وَغَيْرَهَا .

وَعُودُنَا إِلَىْسَنَادِ خَاطِرٍ فِي كِبِّهِ الْمَدِيدَةِ الَّتِي نَشَرَهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَ كَلَامَةُ الْعَفُونَةِ فِي تَرْجِمَةِ (Infection) ؟ فَإِذَا بِالْجِنَّةِ تَقْرَئُ كَلَامَةً خَتَّاجَ<sup>(٢)</sup> عَوْضًا عَنْهَا ، وَمُشَتَّقَةً مِنْهَا كَلَامَاتٌ مُخْجَجٌ وَمُخْمُوجٌ وَالْخَمَاجُ . وَعَفُونَةٌ كَلَامَةٌ شَائِعَةٌ وَصَحِيحَةٌ وَرَدَتْ فِي كَفَبِ الْطَّبِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيَّةِ مِنْهَا قَانُونُ أَبْنِ سِينَا عَنْدَ بَحْثِهِ عَنِ الْحَمِّياتِ الْعَفُونَةِ ، وَمِنْهَا كَامِلُ الصَّنَاعَةِ لِلْمَجْوِسِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي ذِكْرِهِ لِلْحَمِّياتِ الْعَفُونَيةِ (دَلَائِلُ الْحَمِّياتِ

(١) سبق لِكَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ أَنْ أَبْدَى مَلَاحِظَاتَهُ عَلَى النَّحْتِ فِي تَفْرِيْضِهِ كِتَابَ عِلْمِ السَّوْمَمِ لِلْأَسْقَافِ الْكَوَاكِيِّ (الْجَزْءُ الثَّانِي مِنَ الْمَجْدِ الْمَلَائِكِيِّ مِنْ جَمِيعِ الْجَمِيعِ الْمَلَقِيِّ الْمَرْجِيِّ صِ ٣٢٠) .

(٢) فِي الْإِنْسَانِ الْخَمَاجَ بِفَضْلِ الْمَيْمَنِ الْفَتَورِ مِنْ سَرَّاضَةِ أَوْ تَمَبِّ ، وَيَاهِيَةِ . وَأَصْبَحَ فَلَانَ خَمِيجًا وَخَمِيجًا أَيْ فَلَارَا ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَتَخَمِيجَ النَّهَمِ يَخَمِيجَ خَمِيجًا أَرْوَحَ وَأَنْتَ . وَفِي الْإِنْسَانِ أَيْضًا عَذَنِينِ الشَّيْءِ يَعْفَنَ عَذَنَنَا وَعَفُونَةً ، فَهُوَ حَقِيقَتُنِيْنِ يَبْيَنُنِيْنِ الْعَفُونَةَ ، وَتَمَفِّنْ : فَسَيَدَ مِنْ تَمَدُّوَةٍ وَغَيْرَهَا فَفَقَدَتْ عَنْدَهُ مَهِيهَ .

(٣) وَهُوَ عَلَيْ بْنِ الْمَبَاسِ الْمَجْوِسِيِّ مِنَ الْأَهْمَارَ . وَكَانَ طَبِيبًا مُجِيدًا مُتَمَيِّزًا فِي صَنَاعَةِ الْطَّبِ ، وَهُوَ الَّذِي صَنَفَ الْكِتَابَ الْمُشَهُورَ بِالْمَلَكِيِّ ، صَنَفَهُ لِلْمَلِكِ عَضْدِ الدُّولَةِ فَنَاخِرُوْ بْنُ رَكْنِ الدُّوَلَةِ أَنِي عَلَيْ حَسَنِ بْنِ بُوْيِهِ الْدِيلِيِّ . وَهُوَ كِتَابُ جَلِيلٍ يَشَتَّلُ عَلَى أَجْزَاءِ الصَّنَاعَةِ الطَّبِيَّةِ عَلَيْهَا وَعَمِلَهَا ( طَبَقَاتُ الْأَطْبَابِ ) .

وَفِي أَخْبَارِ الْحَكَمَاءِ : عَلَيْ بْنِ الْمَبَاسِ الْمَجْوِسِيِّ طَبِيبٌ فَلَامِلٌ كَامِلٌ فَارَسِيِّ الْأَصْلِ يَعْرُفُ بِاَبِنِ الْمَجْوِسِيِّ ، قَرَأً عَلَى شِعْبَنِيْنِ فَارَسِيِّ يَعْرُفُ بِاَبِنِ مَاهِرِ ، وَطَالِعَ وَهُوَ وَاجْتَهَدَ لِنَفْسِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى نَصَائِيْنِ الْمَقْدِمَيْنِ ، وَصَنَفَ لِلْمَلِكِ عَضْدِ الدُّولَةِ فَنَاخِرُوْ بْنِ بُوْيِهِ كَماشَهُ الْمَسْمَى بِالْمَلَكِيِّ ، وَهُوَ كِتَابُ جَلِيلٍ وَكَماشَ نَبِيلٍ اشْتَهَلَ عَلَى عِلْمِ الْطَّبِ وَعَمِلَهُ حَسَنُ التَّرَيْبَ مَالَ النَّاسَ إِلَيْهِ فِي وَقْتِهِ وَلَرْمَوْ دَرْسَهِ إِلَى أَنْ ظَاهَرَ كِتَابُ الْمَاقَوْنَ لَابْنِ سِينَا فَأَلَوَا إِلَيْهِ وَتَرَكُوا الْمَلَكِيِّ بِمَشِ التَّرَكِ . وَالْمَلَكِيِّ فِي الْعَمَلِ أَبْلَغَ ، وَالْمَاقَوْنَ فِي الْعَلَمِ أَبْلَغَ .



الفنية وأسبابها وعلاجها )<sup>(١)</sup> . وذكر في مكان آخر حمى المفونة وحمى العفن . أقول هذا وإن اختلف مدلول مصطلح زمننا هذا عنه لدى القدماء . وقد درج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة انتقام وان كانت دون كلمة عفونة . وهي لم يستعملها قدماء العرب ، إلا أن مدلولها في المعجمات لا يكاد يختلف كثيراً عن (النجج) وهي أسهل لفظاً وأخف وقماً في السمع وكانت شائعة في المهد الشهاني . وأخذنا الآن أكثر رواجاً لهذا المعنى من الكلمات الأخرى . ولم يتع لكلمة نجج . وقد استعملها الأستاذ خياط منذ أكثر من خمس وعشرين سنة . أن تتجاوز امتحان الزمن . وقل من تداولوها من تلاميذه . وطفت عليها كل من الكفين السالفتين ، ولا أدرى هل يكتب لها البقاء بعد أن أثبتهما مجمع المصطلحات الطبية أم لا ؟

وعندي أنه لا يصح الاعتماد على كتب اللغة وحدتها في اتفاقه الألفاظ العلمية ، ولا أن تعيش منها ما دفن من الألفاظ ميتة لا يستسيغها عصرنا الحاضر ، أو يكون لها معان مبهمة أو متضادة ، أو تكون معرفة تعرضاً غير على النجج . وقد نبه زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي إلى ما تحويه معجمات اللغة الشهيرة من عيوب وأغلاط<sup>(٢)</sup> في الناحية العلمية ، كما أني المرحوم الدكتور أحمد أمين<sup>(٣)</sup> على ذكر بعض هذه العيوب وأسباب كثرة المتزادات في لفتنا . وهاكم على سبيل المثال

(١) الصفحة ٢٩٩ من الجزء الأول لكتاب كامل الصناعة طبع المطبعة الكبرى في القاهرة سنة ١٢٩٤ الميلادية .

(٢) مقدمة الطبعة الثانية من مجمع الألفاظ الوراعية ، وكذلك كتابه المسمى « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » .

(٣) أسباب تضخم المعجمات العربية ، وهي محاضرة ألقيت في جلسة افتتاح مؤتمر بحث في اللغة العربية في الدورة التاسعة عشرة ، ونشرت في الجزء التاسع من مجلة الجمع المذكور .

رأي أصحاب المجرات العربية في كثرة ورید<sup>(١)</sup> فالباحث لا يستطيع أن يستخرج منها فكرة معينة بعد تلاوة ما قيل فيها من المقاييس ، أما صاحب القانون فقد عرَّف الأوردة بالعروق الساكنة ، والمحومي بالعروق غير الضوارب مطلقاً العروق الضوارب على الشرايين ومثل هذه الموضوع في كتب اللغة وغيرها لا تدع مجالاً للشك في آنها لا تستطيع الاعتماد عليها وحدها في انتقاء الألفاظ

(١) في الإنسان : وقوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حِبْلِ الْوَرِيدِ قال أهل الفتاوى الوريد عرق تحت الإنسان ، وهو في المضد فليق ، وفي الترائع الأكمل ، وهو فيها تفرق من ظهر الكف الأشاجع ، وفي بطان الترائع الرواهش ، ويقال إنها أربعة عروق في الرأس فنها الننان ينحدران قدام الأذنين ، ومنها الوريدان في العنق . وقال أبو الهيثم الوريdan تحت الودجين ، والودجان عرقان غليظان عن يمين نفحة النهر ويسارها . قال : الوريدان ينبعان أبداً من الإنسان ، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها مجرى الحياة . والوريد من العروق ما جرى فيه النفاس ولم يجر فيه الدم ، والجدائل التي فيها الدماء كالأكمال والصافن وهي العروق التي تقصد . أبو زيد : في العنق الوريدان وهو عرقان بين الأوداج وبين البتين وهو من البمير الودجان وفيه الأوداج وهي ما أحاط بالحلقوم من العروق ، قال الأزهري والدول في الوريدين ما قال أبو الهيثم . غيره : والوريدان عرقان في العنق والجمع أوردة وورود ، ويقال في القصبات قد اتفخ وريده . الجوهري : حبل الوريدي عرق تزعم المرب أنه من الودجين ، قال : وهو وريدان مكتتقا صفت العنق مما يلي مقدمه غليظان . وفي حديث المغيرة متفق عليه الوريدي هو المركب الذي في صفة العنق ينفتح منه الفضب وهو وريدان . وفي القاموس الوريدان عرقان في العنق ، ج أوردة وورود ، ولم يخرج صاحب الناج عما أوردته النساء .

وفي المخصص : الوريدان عرقان مكتتقان لصفحتي العنق وفي مقدمة منصلان بالدوين يردان من الرأس إليه .

وفي أقرب الوارد : الوريدي عرق في العنق يقال له حبل الوريدي وهو وريدان ج أوردة وورود وبرود ، كبريد وبريد . ونبيل الوريدي هو الوداج ، وقيل يحيى ، وقال الفراء عرق بين الطلاؤم وبين الملباوين ، وهو ينبض أبداً فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم من بخاري النفس .

(٢) م

العلية ، لاضطراب الكبير من تلك الألفاظ ، ولعدم تحديد المهاجم مدلولاً لها . وسبق لأستاذنا خاطر أن استعمل كليات سهام وخراع وهرسَع ترجمة لـ ( Tabes ) و ( Rachitisme ) و ( Hystérie ) ، فلم تهدِّي الجنة النظر في هذه الكلمات ، ولا فيها كان على شاكلتها فأقرتها ، أما أنا فقد درجت على تهريب هذه الألفاظ الثلاثة بتايس ورخيطس وهستيريا للأسباب التالية : إن كلمة ( Tabes ) منهاها اللغوي الأصلي هو التبول والتلف . وحسناً فعلت لجنة جمع اللغة العربية بترجمتها بالضفي ، فهو أقرب إلى المعنى المقصود ، بينما كلمة سهام قد عني بها الأستاذ خاطر أحد مظاهر الداء المعروف ، وهو الألم الذي ينتاب العليل بالصلة المذكورة على هيئة طعن السهم ، وليس من أعراض الداء الملازمة بل يظهر حينما وبغيب أحياناً ، والأفضل أن ينحصر السهام <sup>(١)</sup> بأحد أشكال آلام الداء ، وهو المعروف بالألم السهي ( Douleur lancinante ) فقط . هذا وقد انسع نطاق مدلول الكلمة حتى إذا نظرنا في مادة ( Tabes ) في المعجمات الطبية الحديثة الموقَّل عليهما نرى أن لفظة تايس لم تهدِّي مقصورة على الداء العصبي الأصلي الذي مرده إلى الداء الأفرنجي والذي ينجم عن تصلب الحبلين الخلفيين للنخاع الشوكي ، بل قد أطلق التايس أيضاً على الحالات الآتية التي لا تمت بصلة إلى الداء الأفرنجي ولا إلى علة عصبية أو ألم اطلاقاً . واليسكم ما جاء في مجمع ( Blakiston ) : ( Diabetic tabes ) التهاب الأعصاب الخبيطة في السكريين ( Optic T. ) ضمور العصب البصري بالداء الأفرنجي ، ( Spastic T. ) التصلب المشترك للحبلين الجنبين والخلفيين من النخاع الشوكي الذي يحدث عدم الانظام وتوقفاً في الطرفين السفليين ، ( T. coxaria ) الضمور من جراء علة الورك ،

(١) الساوان في الناج السهام داء يأخذ الإبل يقال به مسروق وبه سهام .

( T. diuretica ) الداء السكري ، ( T. dorsalis ) وهو الداء الأصلي الذي ألمانا به آنفًا ، و ( T. ergotica ) انسهام دموي من استعمال الأرغوت « دابرة الشيل » ، و ( T. mesenterica ) الالتهاب السلي للمقد التفاووية المساريقية . وزاد ( Dorland ) في الطبعة العشرين من معجمه الطبي على ما نقدم : ( Interstitial T. ) تكشف الدبق العصبي البدئي من جراء كثافة عروق الحبلين الخلفيين ، و ( Peripheral T. ) التهاب الأعصاب المحيطية أو التايس الكاذب وغيرهما ، وحيال هذه الكثرة في استعمال كلمة تايس وعدم انحصار مدلولها على الألم وحده لا أرى مسوغًا لاستعمال سهام في ترجمتها لذلك درجت على ترجمتها وبخاصة لأن الكلمة المعرفة بخفيفه سهاماً ولفظاً .

ووافقت الجنة على كلمة خَرَع في ترجمة ( Rachitisme ) . وهو علة تبدو في الأحداث تماز بتشوه العظام ، وارتباك المضم ، ومردها إلى صوه التقذيبة والحرمان من أشعة الشمس ، ولا أظن أن العرب في بواديهم ، ولا في حواضرهم قد عرفوا هذه العلة ، وترجمت الجنة بجمع اللغة العربية اللفظة بكُساحة بينما أثبتت الجنة معيناً هذه الكلمة ترجمة للفظ ( Paraplégie ) الذي اعتدنا أن نترجمه بالشلل النصفي السفلي . ولم أعثر على أي نص لاستعمال الخَرَع لعلة تشبه ما تعنيه الكلمة الفرنسية <sup>(١)</sup> لهذا أرجح ترجمتها .

### ( للبحث صلة )      الدكتور حسني سبع

(١) في المان خَرَع وانخرع : استرخي وضفت ولان وضفت الخوار . والانخرع بين المفاصل وشدة خريع لينة ، الى أن قال : وانخرعت كتفه افة في اغلقت ، وانخرعت أعضاء البدن وتغيرت زالت عن موسمها .

أما الكساحة ، فهي الفحص الأكشن المقدم وهو من به داء يلده . وفي المان الكساح الرمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين . الأزهري : الكسح نقل في احدى الرجلين اذا مشى جراها جرا . وكسبح كسبحا وهو أكسح وكسبحان وكسبح ومكسح ، وقبل : الأكسح الأءرج والمقدم أيضًا .

أقول ولا يمد كسبحًا كل مصاب بالشلل النصفي السفلي .



## مختارات مما لم ينشر من شعر البحيري

لا يزال الكثير من أعلام الأدب العربي إلى اليوم في حاجة إلى دراسات مفصلة عنهم ؛ تثير تاريخ الأدب وتعين على فهم تياراته وتطورها خلال العصور؛ غير أن مثل هذه الدراسات تظل قصيرة اليد ضيقاً الأفق ما لم يسبقها نشر على نقدي لآثاره الأعلام ، وهذا هو الأساس القويم لكل دراسة عليه منهجية . ومن خير الأدب أن يدرك العالم العربي هذه الحقيقة ، فيتجه باهتمامه إلى نشر المخطوطات القديمة نشراً على حدثاً يستعير أساليب من سبقنا من المستشرقين في هذا المضمار ، وينهج نحوهم ، وكان أن ظهرت أكثر دواوين الشعراء الفحول في طبعات علمية أتفق ناشروها المحققون فيها من الجهد ما لا يمكن تجده ، ولكن البحيري لا يزال إلى اليوم يشكوا إهماله . .

لديوان البحيري ثلاثة طبعات :

- ١ - طبعة القدسية (الجوائب) عام ١٨٨٢ وهي أقدم الطبعات وأصحها ، وعليها المول إلى اليوم .
  - ٢ - طبعة القاهرة عام ١٩١١ وهي كثيرة التحريف والتصحيف وإن كانت أكمل من طبعة الجوائب ، ذلك أن فيها شعراً كثيراً ليس في تلك الطبعة .
  - ٣ - طبعة بيروت عام ١٩١١ أيضاً وهي طبعة مشكولة ، مشرح فيها الناشر بعض الألفاظ وحذف ما لم يرضه من الشعر الخلل بالأخلاق والأدب .
- وهذه الطبعات الثلاث - بالجملة - تجارية ، غابرة في السوق ، وهي - إلى ذلك - لا تحوى جميع إنتاج البحيري الشعري ، ذلك أن هناك جانبًا ضخماً من شعر



البحتري بقرب من ثلاثة آلاف بيت لما يزال مخطوطاً، وبعضه من جيد شعره، وأكثره بلقي أضواء نافعة على مراحيل كانت غامضة من حياة الشاعر وفه. وعندما كنت في باريس قبل ثانبي سنوات، وافتتحت جامعة السربون على أن يكون موضوع رسالتي الأولى المكتوراه البحث في حياة البحتري وفه، وعرضت آنذاك أن يكون موضوع الرسالة الثانية المكملة تهيئة طبعة علمية لديوان البحتري، وكادت الموافقة تتم لو لا أن أحد الأصدقاء المستشرقين العائدين من مصر أعلن أن طبعة نقدية علمية لديوان متصدرها دار المعارف في القاهرة في سلسلتها المعروفة (ذخائر العرب)، وأن ظهور الجزء الأول لن يتاخر أسابيع قليلة!

أما أنا فاخترت مخطوطة إندلسية لرسالة الثانية، وأما ديوان البحتري فقد صرأت الأسابيع والشهور والسنوات ولا زال تنتظر الطبعة الجديدة منه.

ومنذ أيام كنت أبسط لمالي الأستاذ الرئيس خليل صردم بك طرقاً من هذا الحديث، فأخبرني بأنه عنم صرة على طبع ديوان البحتري، كاماً محققاً، وببدأ العمل مدة ثم تركه عندما علم أن مصر تهأت لطبع الديوان، وانصرف إلى أعمال أخرى، ولكن الديوان الموعود لا يزال أملاً حلواً يعيش في قلوب المنتظرين . . .

وإلى أن يصدر الديوان، وينشر فيه مالم ير النور إلى اليوم من شعر البحتري، رأيت أن أقدم مختارات منه في مجلة الجمع العلمي العربي إلى القراء، ليسمعوا منها أنفاساً جديدة لشاعر كبير ملاً آذان الأجيال العربية إيقاعاً جميلاً وموسيقى ساحرة. وصنوا لي تقديم هذه المختارات إلى أن تفي مصر بها وعدت، وتحقق آمال المنتظرين.

\* \* \*

- ١ -

قال البختري<sup>(١)</sup> يدح أبا الجيش خمار ويه<sup>(٢)</sup> بنَ أَمْهَدَ بْنَ طَوْلُوتْ :

يَكَادُ هَذِلُنَا فِي الْحُبِّ يُفْرِينَا فَما جَاءَكَ فِي لَوْمِ الْحَبِّنَا  
نُلْعِي هَلِ الْوَجْدَ مِنْ ظُلْمٍ فَدَيْدَنَا<sup>(٣)</sup> وَجَدْ نُهَانِيهِ أَوْ لَاحْ يُعَنِّينَا

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها ٣٩ ، تقلنها من مخطوطه ديوان البختري بالكتبه الوطنية بباريس (رقم ٣٠٨٦) الورقة : ٣٩٨ و ٣٩٩ و ؟ وقد وردت بعض أبيات منها في الكتب المخطوطة والمطبوعة مما يؤكّد صحة نسبتها إلى البختري : فالكندي في كتاب الولاية وكتاب القضاة (طبعة بيروت ١٩٠٨) ص ٢٣٩ بذكر الآيات : ٢٤ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢ ، والشريف المرتضى بذكر في طيف الطيال (مخطوطة) الورقة ٤٧ ظالبيتين : ٣ و ٤ والمرادي في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦) ص : ٢٢٥ - ٢٢٦ بذكر الشطر الأول من المطلع والبيتين : ١٦ و ٢١ و ٦ و ابن عساكر في تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) الجزء ١٧ الورقة ٤٢٧ بوردالبيتين : ٢٤ و ٢٥ وكذلك بوردالبيتين في زبدة الحلب من تاريخ حلب (تحقيق الدكتور سامي الدهان) :

ج ١ ص ٨٣ .

(٢) خمار ويه (٥٢٨٢ - ٥٢٥٠) صاحب مصر ، ولها بعد وفاته أبيه واسع ملك الطولونية في أيامه من الفرات إلى بلاد النوبة ومات مقتولاً في دمشق (ابن خلkan - طبعة محيي الدين عبد الحميد : ٢٢ - ٢٠ / ٢ ) .

(٣) في الأصل : قد بدقنا ، والفضل في تصويب قراءتها لا صنادنا الرئيس خليل صردم بك .

إذا زَرُودٌ<sup>(١)</sup> دَنْتَ مِنْ أَصْرَافِهَا<sup>(٢)</sup> فَلَا حَالَةَ مِنْ زَوْرٍ<sup>(٣)</sup> يُواْفِيْنَا  
بِتَنَا جُنْوَحًا عَلَى كُتْبِ الْلَّوِي<sup>(٤)</sup> فَأَبَى خِيَالٌ<sup>(٥)</sup> ظَمِيَاءٌ<sup>(٦)</sup> إِلَّا أَنْ يُحَمِّيْنَا  
وَفِي زَرُودَ تَبَعِيمٌ<sup>(٧)</sup> لَيْسَ يُعْهِدُنَا تقاضِيًّا وَغَرِيمٌ<sup>(٨)</sup> لَيْسَ يَتَضَعِيْنَا  
مَنَازِلٌ لَمْ نُذْمِمْ عَهْدَ مُغَرَّمَنَا فِيهَا وَلَا ذَمْ يَوْمًا عَهْدُهَا فِينَا  
نَجَرَمْتُ<sup>(٩)</sup> عِنْدَهُ أَيَامُنَا حِجَاجًا مَمْدُودَةً، وَخَلَتْ<sup>(١٠)</sup> فِيهَا لِيَالِيْنَا

(١) زرود : رمالٌ بين المعلبية والخزيبة بطرق الحاج من الكوفة (ياقوت مججم البلدان طبعة بيروت ١٣٩ / ٣) .

(٢) جمع صرية وهي القطعة من الأرض الرملية أو الأرض المخصوص زرعها .

(٣) الطيف والخيال يرى في النوم .

(٤) كُتْبِ اللَّوِي والأصل كُتْب جمع كثيب وهو الشلل من الرمل ، وسكن الوسط لضرورة الوزن ، واللوى في الأصل منقطع الرمل ، وهو امام لواد من أودية بني سليم (مججم البلدان ٥ / ٣٣) .

(٥) في طيف الخيال : طيف ظمياء .

(٦) امام امرأة يذكره البختري في نسب قصيدة أخرى يدح بها خماروبيه : مسرى الطيف من ظمياء وهذا فرحة وأعلاه بمسرى طيف ظمياء من مسرى (الديوان -- طبعة مصر ١ / ١٢) .

(٧) التبعيم : الذي يتبعك بمحق يطالبك به .

(٨) الغريم : الدائن والمدينون ، والمراد هنا الثاني .

(٩) نجرمت الحجاج : انقضت الأعوام بقامتها ، والحوال المجرم : الثامن .

(١٠) في الأصل : دخانات .

إِنَّ الْفَرَانِيْ فَدَاهَا الْجِزْعُ مِنْ إِضْمَمٍ<sup>(١)</sup>  
 تَيَّمَّنَ قَلْبًا مُعْنَى اللَّبْ حَمْزَوْنَا  
 إِذَا قَسَّتْ غِلْظَةً كَبَادُهَا جَمَّاتْ  
 يَلْوُمُنَا فِي الْهَوَى مِنْ لَيْسَ يُرْضِيْنَا  
 وَمَا ظَنَّتْ هَوَى ظَمِيَّاءَ مُنْزَلَنَا  
 أَقْدَ بَعْثَتْ عَنَاقَ الْخَيلِ سَارِيَّةً<sup>(٢)</sup>  
 مُثْلَ الْقَطَاطِ الْجَرْنَ<sup>(٣)</sup> يَتَبَاهُنَ الْقَطَاطِ الْجَلْوَنَا  
 عَارِضَنَ أَبْنِيَّةَ فِي دِيرِ مَارُونَا<sup>(٤)</sup>

(١) وَادٌ بِجَيْالٍ ثَمَامَةٌ، وَهُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ الْمَدِينَةُ (مِعْجمُ الْبَلَادِ ١ / ٢١٤) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : شَارِبَةٌ وَأَمْلَ الصَّوَابِ مَا أَنْتَنَاهُ .

(٣) الْقَطَاطِ ضَرِبَانٌ : كُدْرِيٌّ وَجُونِيٌّ وَالْجَوْنُ : الْأَصْوَدُ .

(٤) دِيرٌ بِالْقَرْبِ مِنْ دِمْشَقٍ عَلَى تَلٍ مُشْرِفٍ عَلَى مَنَارَعَ وَرِيَاضَ حَسَنَةَ ، بِذَكْرِ يَافُوتِ  
 أَنَّهُ كَانَ دِيرًا كَبِيرًا عَامِرًا بِالرَّهَبَانِ ، وَيَنْقُلُ بَعْضُ شِعْرِ الصَّنُوبِرِيِّ فِي وَصْفِهِ (مِعْجمُ  
 الْبَلَادِ ٢ / ٥٣٣ - ٥٣٤) ، وَلَبِسُ فِي الْمَطْبُوعِ مِنَ الْدِيَارَاتِ لِلشَّابِشِيِّ شَيْءٌ عَنْ  
 هَذَا الدِيرِ وَكَانَ خَمَارُوبِهِ قَصْرٌ بِدِيرِ مَرْانَ ، وَبِذَكْرِ ابْنِ عَسَاكِرِ أَنَّ خَمَارُوبِهِ  
 «بَعْدَ نَزْوَلِهِ الْقَصْرِ وَفَدَ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ ، وَاتَّجَمَّعَتِ الْعَرَبُ ، وَقَصَدَهُ الشَّعْرَاءُ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ»  
 وَقَصَدَهُ الْبَحْتَرِيُّ الشَّاعِرُ فَأَلْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ . (انْظُرْ تَارِيخَ دِمْشَقَ - مُخْطُوطَةَ  
 الظَّاهِرِيَّةِ : ١٧ / ٤٢٢) وَفِي هَذَا الْقَصْرِ «قُتِلَ خَمَارُوبِهِ سَنَةُ ٢٨٢» (انْظُرْ تَهْذِيبَ  
 تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرِ لِبَدْرَانَ : ج٤ ص١٢٨) .

(٥) دِيرُ الْقَدِيسِ مَارُونَ : دِيرٌ كَانَ فِي مَدِينَةِ الرَّصْنَ ، أَوْ فِيهَا يَمْجَدُونَهُ عَلَى ضَفَّةِ الْعَاصِيِّ ،  
 بَيْنَ حَصْ وَحَمَاءَ ، وَهُوَ دِيرٌ مُشْهُورٌ يَقُولُ فِيهِ الْمَسْعُودِيُّ : «دِيرُ مَارُونَ بِنَيَانِ عَظِيمٍ  
 حَوْلَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةَ صَوْمَعَةٍ ، فِيهَا رَهَبَانٌ ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ آلاتِ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْجَوَهِرِ  
 شَيْءٌ عَظِيمٌ ، نَخْرَبُ هَذَا الدِيرَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الصَّوَامِعِ بِتَوَازِيرِ الْفَتَنِ» انْظُرْ مَقَالَةَ لِيُوسُفِ  
 إِلَيَّانِ سِرْكِبِسِ فِي مَجَلَّةِ الْمَفْتَنِ (الْمَجَلَّدُ ٣٣ ، السَّنَةُ ١٩٠٨ ص١١٣ - ١١٥) .

يُنشُّدُنَّ فِي إِرَمٍ<sup>(١)</sup> وَالْبَحْرُ فِي إِرَمٍ  
غَنِيَّ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ مَضْوِنَا  
يُلْقَى النَّدِيُّ مِنْهُ مَلْمُوسًا وَمُدَرَّكًا  
وَكَانَ يُعْتَدُ مَوْهُومًا وَمَظْنُونًا  
بَادِي بِأَنْفُسِهِ<sup>(٢)</sup> الْعَافِينَ مَزَّلْفُهُمْ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى الْأَشْقَاءِ<sup>(٤)</sup> فِيهَا وَالْقَرَابِينَا<sup>(٥)</sup>  
شَنَّا أَخْذَنَا احْتِكَامًا فِيهِ مَا شَيْنَا<sup>(٦)</sup>  
سَاهِنُونَ عَنْ كَرْمِ الْأَفْعَالِ لَا هِنَا  
تَكْفُنَا كَانَ عُذْرًا مِنْهُ يُكْفِنَا  
رَآهُ فِيهَا بَخِيلُ الْقَوْمِ مَفْبُونَا  
كَوَاكِبُ السَّعْدِ وَالْطَّيْرُ الْمِيَامِينَا  
بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَدَ الصَّيْنَا<sup>(٧)</sup>  
وَمُنْلِقِينَ مِنَ الْإِحْسَانِ يَنْجُوُهُمْ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَدَائِهِمْ تَرْزُّ عَارِفَةٌ  
وَغَابِنِ<sup>(٨)</sup> إِنْ شَرِيْ حَمَدًا بِقَرْغَبَةٍ  
مَظْفُرٌ لَمْ نَزَلْ نَلْقَى<sup>(٩)</sup> بِطَاعَتِهِ  
بِعُسْيٍ<sup>(١٠)</sup> قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَوْا

(١) إِرَم : اسم مدينة ، وُيرِيدُ بها البحترى دمشق ( معجم البلدان ١ / ١٥٥ ) .

(٢) في عبث الوليد : بِأَنْصَفَةِ .

(٣) زَلَفَ الشَّيْءَ : قَرْبَهُ وَالْمَهْنِيُّ أَنَّهُ بِقَرْبِ السَّائِلِينَ عَلَى إِخْوَتِهِ وَجَلِيلِهِ .

(٤) في الْأُصْلِ : الْأَشْقَاءِ ، والتوصيب عن ( عبث الوليد ) .

(٥) الْقَرَابِينَ : جمع قربان ، وهو جليس الملك ، ويرى المعرى أن البحترى واهم في نصب القرابين ، وحقق الخفاض ( عبث الوليد ٢٢٦ ) .

(٦) الْأُصْلِ : شَنَّا وَصَهَّلَتِ الْمِزَةَ .

(٧) في كتاب الولاة والقضاة : لَمْ يَزَلْ يَلْقَى .

(٨) في كتاب الولاة والقضاة جاء هذا البيت كما يأتي :

يُشَفِّي قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَوْا بالصَّيْنِ مِنْ بَعْدِهَا مَا اسْتَبَدَ الصَّيْنَا .

تشير يقظانَ ما انفكْت عزيمته تزيدُ أعداءه ذلاً وتوهيناً  
إني رأيت<sup>(١)</sup> جيشَ النصر مُنزلةً على جيشِ أبي الجيش بن طولونا  
يومَ النَّفَيَة<sup>(٢)</sup> إذ يشتبه<sup>(٣)</sup> بِكَرْتَه في الرَّوْعِ خمسين ألفاً أو يزيدونا  
والحربُ مُشَمَّلةٌ تَقْلِي مراجمُها حينما وبُضْرَمِ ذاكِ جهراً حينما  
يغدو الورى وهم غائرون<sup>(٤)</sup> سُرَادِيقَه صنفينِ من مُضمرِي خوفٍ وراجينا  
والناسُ دين أخي سبْقٍ يَبْيَنُ به وفاترينَ من الفاياتِ وإنينا

(١) في (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) : وقد رأيت ، وفي (تاريخ حلب) :  
وقد تدلتْ جوش ..

(٢) المراد ثنية العقاب وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق  
إلى حمص (معجم البلدان : ٢/٨٥) والبحترى يشير إلى المعركة التي جرت هناك  
سنة ٢٧٤ هـ بين خماروبه ومحمد بن ديدواذ بن أبي الساج المعروف بالأشين ، بعد  
أن نكث عهده (ابن العديم : ١/٨٢ - ٨٣ ، وانظر ابن الأثير - طبعة  
محسن ١٣٥٣ هـ - ٦/٦٣ في حوادث سنة ٢٧٥ هـ) وانتهت المعركة بهزيمة ابن أبي الساج  
وانصار خماروبه .

(٣) في (تاريخ حلب) :  
. . . . . ثني بكرته خمسين ألفاً رجالاً أو يزيدونا  
وفي (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) :  
. . . . . ثني بكرته في النَّقْعِ خمسين ألفاً أو يزيدونا  
(٤) جمع (غاش) جمع المذكر السالم ، وغاشية : أئاه وقصده .

كَمَا رأيْتَ التَّلَاثَاتَ <sup>(١)</sup> وَاطِئَةً مِنَ التَّخَلُّفِ أَعْقَابَ الْأَثَانِينَا <sup>(٢)</sup>  
 حَمَرَكَ اللَّهُ لِلْعَالَمِيَاءِ تَقْرُّهَا وَزَادَكَ اللَّهُ إِعْزَازًا وَتَمَكِّنَاهَا  
 مَا افْكَرْتَ الرُّومَ مِنْ هُمْ يُجْزِيُّهُمْ مَا ذَجَّا مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِهِمْ  
 مَذْ جَاءَتْ عَنْدَكَ العَزَّاءَ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَا  
 كَيْدًا وَتَبَدُّلًا إِنْ كَانُوا قَرِيبَيْنَا  
 مَا يَأْتُونَ النَّاسُ مِنْ أَخْبَارٍ صَفَّيْنَا <sup>(٤)</sup>  
 مِنْ ظَهَرٍ أَنْقَرَةَ <sup>(٥)</sup> الْقُصُوْيَ وَطَمِيْنَا <sup>(٦)</sup>

(١) جمع **الثلاثاء** ، والحق أن يقول **الثلاثيات** ، لأن **الثلاثاء** عندم - كما يقول المعربي في عبث الوليد ص ٢٢٦ - مؤنث ، ومحكي في اللسان عن ثعلب : مضت **الثلاثاء** بما فيها ، فأتت ، ولم يحك سيبويه حمراءات في جمع حمراء وقد حكاه **الكسائي** ، فيجوز على هذه الحكاية .

(٢) يقول المعربي : حكها بعض الناس في جمع **الاثنين** ، ومحكيت أيضًا (**الاثني**) بغير نون (انظر عبث الوليد ص ٢٢٦) .

(٣) **العزاء** : السنة الشديدة ، وقيل هي الشدة (اللسان) .

(٤) اشتطاطمهم : جورهم وبعدهم عن الحق .

(٥) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وفيه سُجْرَتْ الوقعة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ وقتل فيها سبعون ألفاً ، ودامت المعركة مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين وقعة . (مجمع البلدان ٣/١٤ وانظر الطبرى حوادث مني ٣٦ و ٣٧) .

(٦) **لؤلؤة** : قلعة قرب طرسوس ، غزاها المأمون وفتحها (مجمع البلدان ٥/٢٦) وفي سنة ٢٨٠ دخل **أحمد بن أبي طرسوس** للغزة من قبل **خماروبه بن احمد بن طولون** (ابن الأثير : ٦/٢٢) وفي سنة ٢٨١ دخلها **طفيج بن جف لفزو الصائفة** من قبل **خماروبه** فبلغ طرابزون (ابن الأثير : ٦/٢٨) .

(٧) **أنقرة** : مدينة في الشغور ، كان المعتصم قد فتحها وهو في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ هـ (مجمع البلدان ١/٢٢ وانظر حوادث سنة ٢٢٣ في الطبرى) .

(٨) **طمسن** : موضع سلاطين (مع المازن ٤/٤) .

فَأَسْلَمَ لِتَجْهِيدِهِمْ غَزْوَاً وَتُفْزِيْهُمْ جِيشًا<sup>(١)</sup> وَتُتَبَّعُهُمُ الْأَمْوَالَ هَارُونًا<sup>(٢)</sup>  
 أَمَّا الْحَسِينُ<sup>(٣)</sup> فَإِنَّ الْآكَلَ مُجْتَمِدًا . وَلَيْسَ قَائِمَهُ تَفْخِيمًا وَتَرْبِينَا  
 تَرْضِيْ بِهِ حِينَ لَا يُرْضِيْكَ مُذْبِرُهُمْ مَبَارِكًا صَادِقَ الْإِقْبَالِ مَيْمُونًا  
 أَدْى الْأَمَانَةَ فِي مَالِ الشَّامِ فَإِنَّ أَمِينَ الْفَيْبِ مَأْمُونًا  
 تَسْمُو إِلَى الرَّتْبَةِ الْعُلَيَا مَحَاسِنُهُ فَإِنَّ تَرِيْ وَسْطًا مِنْهَا وَلَا دُوْنًا

(١) يربد ابنته جياش بن خماروبه ، وقد ولـي مكان أبيه بعد قتلـه عام ٢٨٣ هـ وعنـله القواد بعد تـسعة أشهر من ولـابـته (ابن العـديم ١/٨٦ وابن الأـثير ٦/٨٢) .

(٢) هارون بن خماروبـه ، ولاـه الجـند ، بـعد عـزلـهم أخـاه جـيشـاً سـنة ٢٨٣ هـ وبـقتـلـه سـنة ٢٩٤ اـقرـض مـلك الطـولـونـية (ابن الأـثير ٦/١١٠) .

(٣) هو الحسين بن أحمد المادراني المعروف بأبي زنبور من رجال دولة خماروبـه ، يسمـيه الـبحـترـى وزـيرـاً (مـخطـوـظـة بـاريـس الـورـقة ١٢٨) وـالمـؤـرـخـون يـسمـونـ ابنـ أـخيـهـ : محمدـ بنـ عـلـيـ بنـ أـحمدـ المـادرـانـيـ وزـيرـاً خـمارـوبـهـ (تـارـيخـ بـغـدـادـ ٣٧/٣) ، ويـجـمـعـ الصـابـيـ بيـنـهـماـ وـيـذـكـرـ أـنـهـاـ «ـدـبـراـ أـمـورـ بـنـيـ طـولـونـ فـيـ الـمـالـ وـالـرـجـالـ ، وـلـهـاـ فـيـ الـكـتـابـةـ قـدـمـ وـبـالـقـدـبـرـ دـرـبـةـ»ـ (ـاـنـظـرـ تـارـيخـ الـوزـراءـ لـالـصـابـيـ طـبـعـةـ بـيـرـوـتـ صـ ٣٤٧ـ -ـ ٣٤٨ـ)ـ ،ـ وـالـأـشـبـهـ أـنـ يـكـونـ الحـسـينـ وزـيرـاً خـمارـوبـهـ مـكـلـفـاًـ بـقـدـبـرـ أـمـورـ دـوـلـتـهـ الـمـالـيـةـ فـيـ الشـامـ ،ـ وـالـبـحـترـىـ يـشـفـيـ عـلـىـ أـمـانـتـهـ فـيـ الـمـالـ الشـامـ وـحـرـصـهـ .ـ وـقـدـ لـعـ الـحـسـينـ دـورـاًـ فـيـ إـعادـةـ مـصـرـ إـلـىـ الـحـكـمـ الـعـبـاميـ (ـتـارـيخـ الـوزـراءـ لـالـصـابـيـ صـ ٩٢ـ)ـ وـأـصـبـحـ عـامـلاًـ عـلـىـ مـصـرـ فـيـ خـلـافـةـ الـمـقـنـدـرـ ،ـ وـأـشـيرـ عـلـىـ الـمـقـنـدـرـ أـنـ يـسـتوـزـرـهـ لـوـلـ مـعـارـضـةـ نـصـرـ الـحـاجـبـ (ـالـمـصـدرـ السـابـقـ ٣١٥ـ)ـ .ـ

### ملاحظات ونظرات في القصيدة :

١ - هذه القصيدة واحدة من أربع مدح بها البحتري، خماروبيه بن أحمد ابن طولون، وهي كلّها لا تزال إلى اليوم مخطوطة، إلا واحدة منها نجدها في طبعة القاهرة (ج ١ ص ١٢) ولم يلفت الباحثون إليها لورود اسم خماروبيه في التقديم لها مصححًا إلى (حمادوبيه)، ومن هنا ظلت فترة اتصال البحتري بالطولونيين محلولة لدى كل من بدرس الشاعر وفنه من ديوانه المطبوع، ولا تصل بده إلى المخطوطات الس الكاملة للديوان.

٢ - نظمت هذه القصيدة بعد سنة ٢٧٩ هـ، في المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر، ففي هذه السنة يرثي البحتري الموفق ويدين المعتصد بعد أن يويع بالخلافة بقصيدة لا تزال مخطوطة (مخطوطة الديوان بياريس الورقة ٣٩٥ ظ - ٣٩٦ و) ويسأل الشاعر فيها أبا العباس المعتصد أن يقدمه إلى خماروبيه بكتاب توصية منه:

أوجهي أنت إيماء وتقدير  
وكان النزاع بين العباسيين والطولونية قد انتهى باعتراف خماروبيه بسلطنة الخليفة المعتصد، وتزويمه من ابنه قطر الندى، وإرساله الهدايا المظيرة من مصر إليه (انظر الطبرى وابن الأثير : حوادث سنة ٢٧٩ هـ).

٣ - من حق البحتري أن خماروبيه لم يبلغه هباء الشاعر لأنّه أحمد ابن طولون، قبل أكثر من عشر سنوات، ذلك الهباء المذعزع، إذ يتهمه بأنه ابن صلاح، يعزى لأبوين: طلوب وبلبع :

إذا ما طلبنا خطبة النصف ردها علينا ابن خبث فاحش وفسوق  
وعاهر قد أدى إلى شر عاهر مشابه كلب في الكلاب عربق  
ليسلبَنَ أو طلوب يُعزى فقد حوت على اثنين: زوج منها وعشيق

( انظر الديوان — الجواب : ٢ / ٧٩ وانظر النجوم الزاهية لابن قدرى بردى : ٣ / ٣ ) ولو عرف خماروبي موقف البحترى هذا من أبيه لما وجد الشاعر لديه عطاءً ولا إِكرااماً .

٤— تُلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة متميزة :

- ١— النسبب : ويشغل الآيات ( ١ - ١١ ) وعلى الرغم من أنه غزل تقليدي فنبه حرارة قلب متقد لم تطفى شعلته شيئاً خلا جاوزت السبعين !
- ٢— مدح خماروبي : ويشغل الآيات ( ١٢ - ٣٥ ) وهو أهم أجزاء القصيدة ، وفيه يصف الشاعر إقباله على دمشق وبنشد الفن المضمون لدى بحر جواد بقرب السائرين المختدين ويحكى لهم في ماله ليأخذوا ما يشاؤون ، فهو يشتري الحمد بالعطاء ، وهو مظفر يهون الطامة شجاع غير هيب ، بذال من أعدائه مما يبعدوا ويزبدهم إذلاً وإضفافاً . ويمجد الشاعر انتصار مددوه في معركة ( ثانية العُقاب ) فالملائكة كانت تتوبد جيشه وتشد أزره ، فيمز ابن أبي الساج وخمسين ألفاً من رجاله أو يزيدون ، في حرب حامية تغلي صراجها ويضرم حمرها . ويصف البحترى أمل الناس في مددوه وهيبة بعضهم له ؟ فهم بين راج وخائف ، والناس يتفاوتون بالضم ، فنهم السابقوت إلى الفايات ومنهم المتخلفون الذين يحيطون في الأعقاب ، كما تجني أيام الثلاثاء في أعقاب أيام الاثنين . ثم يدعو الشاعر لمددوه بطول العمر والزيادة في الإعزاز والحمد والتكبير ، وبخده عن بطولاته في جهاده للروم عند ثغر اولوية ، ويسأل له دوام السلامة ليُصل ولديه جيشاً وهاروناً نازبين للروم ، بقودان كنائب الجهاد في الشغور .
- ٣— مدح وزير خماروبي الحسين بن أحمد : ويشغل بقية آيات القصيدة ( ٣٦ - ٣٩ ) ويصف الشاعر هنا أمانة الوزير في حفظ أموال الشام واجتيازه في إرضاء سيده خماروبي .

٥ - انتقل البحتري من النسب إلى المديح إنقاذاً ماجئاً ، ولم يحسن التخلص ، وغالباً ما يفعل البحتري ذلك في قصائده ، وقد أهمل الشاعر في مدح خماروته المعرض إلى رفعة النسب ، وقصر مدحه له على تمجيد كرمه وشجاعته ، وأهمل الحديث عن النسب يصل بالشاعر إلى والد خماروته ، أحد ابن طولون ، وموقف البحتري منه موقفه كما ذكرنا منذ قليل ! وأما الجمجم في المديح بين الأمير ووزيره فمن دأب البحتري أن يفعل ذلك في قصائد كثيرة من شعره ، ليملك قلباً الوزير (في بعض أماديه، المتوكلاً يمدح الفتح بن خاقان الديوان - الجوائب ١ / ٣ ، وبعرض مدح الوزير أبي صالح ابن يزداد في مدحه للمسطعين : ١ / ٧٥ ، ويمدح وصيفاً في مدحه للمهتم : ٢ / ٢٤٨ ) كما يمدح الوزير عبيد الله بن يحيى في مدحه للمقعد : ١٠٦ ) ولا ضير من الاشارة إلى ما ينتظره البحتري من وراء تمجيده لوزير مالية خماروته في الشام ، فهناك خراج أملأ كه الواصعة في منبع ، وقد حرص الشاعر طوال حياته على دفع الوزراء والكتاب إلى إسقاط خراجه أو جانب منه !

٦ - هذه القصيدة لا تتأخر عن الطبقة الجيدة من شعر البحتري ، وهي خير دليل على أن شاعرية البحتري ظلت إلى آخر مراحل حياته تمتاز بالقوة والخصب ، وبكيفها عند نقويم هذه القصيدة أن نذكر أنها هي المتوال الذي نسج عليه بحترى الأندلس ابن زيدون قصيدة التنوية في التشوق إلى ولادة بنت المستكفي (ديوان ابن زيدون - شرح كيلاني وخاتمة : ٤ - ٨ ) : أضحيت الفتانى بدبلاً من تدانيا وناب عن طيب لقيانا تجافينا وأن نذكر أن الشعراء سموون مهارضتها (ديوان ابن زيدون : ٤٠) إلى نونية شوقي في العصر الحديث : (الشوقيات ٢ / ١٢٢ - ١٣٢ ) : يا نائم الطلع أشباء عوادينا نشجي لواذبك ألم نامي لواذينا

( يتبع )  
رسالة الدكتور صالح الأستاذ

# كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (\*)

- ٥ -

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون (١) ، فإن الاستطقس البارد قد يكون من القلة في القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحرك كه الحار أو يجعله مثله . فيكون هذا تكوتاً (٢) لا امتزاجاً (٣) وقد يكون بحيث (٤) يحرك كل واحد منها صاحبها غير أنه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن <ذلك> أنواع من الامتزاج . فلذلك مني كان الأمر جارياً على النظام احتياج ضرورة إلى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير فضفورة يحتاج إلى مدبر . وفي هذا الصنف فبدخل الامتزاج الصناعي وهذا النوع من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممزوج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المزج المحرك

(\*) ذمة الفصل الثالث : « الفول في القوى الحساسة » المنشور في الجزء الرابع من مجلد الثالث والثلاثين (ص ٦٠٩ - ٦٣٢) من هذه المجلة .

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهي ولاهما مشتركة فيما مقتضادان ضرورة فلذلك كل واحد منها يحرك صاحبها وهو يتحرك ، فالفعل والانفعال لا يمكن حتى يناس ، وقد يمكن اختلاط وقد لا يمكن ، راجع أرسطو : De Gen. Cor. I. 6. 322 b 22; 10. 327 b 23 sq

(٢) المخطوطة : تكوت .

(٣) قد فرق ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب : « ان كل متكون فهو من استطقس أو من أكثر من استطقس ، فإن الاستطقس الواحد إذا يتكون عنه استطقس غيره كالنار تتولد منه سائر الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منها استطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك إذا نسق المجتمع بفساد قوة كل واحد منها أو فساد قوة أحدهما ، وأمّا إذا نسق التهابات وبذلت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها فورة مرتبطة متوسطة وذلك ما داما مختلطين فهنالك يحدث عنها موجود آخر بصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بضرر من التركيب وضرر من الاستعمال تبعهما ضرر من التكوثات .

(٤) المخطوطة : بحسب .

- ١٤ -



للمتزج على هذه الصفة إنما يوقف الممزوج في أحد المتقدّمات ، وإنما يصير الممزوج أشياء متوسطة بمحاسبة للإصطقات .

فاما المازج اذا كان الذي يزج به حرارة فانها ان كانت بمحاسبة حرارة الإصطقات فانه يكون عنده شيء شبيه بالطبع فيمعرض عنه الأجسام المعدنية <sup>(١)</sup> ، فإذا اتفقت المادة ملائمة <sup>(٢)</sup> لشيء المنطبع . وهذا الخواص من الامتزاج يشبه الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممزوج من الأرض وإلاه . في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الإصطقات كالنار والانطلاق <sup>(٣)</sup> ، كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأربع والطعوم والألوان المختلفة ، وبالجملة ، فالأسوال الجسمانية وهي التي توجد شابعة في الجسم ، وتنقسم باقتسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبع في هذه قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن الحركة المستديرة جسم معدني <sup>(٤)</sup> ، وبالجملة جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع مخصوصة بها فان <الأجسام> المعدنية لا توجد <إلا> عن المعدن . والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من بخار ودخان ينحصر فيه ليكائف ذلك الجزء من الأرض فينضج بالحرارة الموجودة في ذلك الجزء بعينه <sup>(٥)</sup> . ولذلك لا يمكنون في الموضع الثالثة المعدودة في كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلاً .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا (ورقة ١٥٢ الف) الخواص من التغير إنما توجد متباعدة الإصطقات <sup>(٦)</sup> . وكل هذه إنما صورة طبيعية أو اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود المحرك القريب .

(١) فارن أرساطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq.

(٢) الخطوطلة : الملائمة .

(٣) راجع نفس ورقة ١٥٢ ب : كالانطلاق والصبر على النار .

(٤) الخطوطلة : معدني .

(٥) فارن أرساطو : Arist : Meteo. IV. 10. 388 a 13 sq.

(٦) أرساطو : Arist. : Meteo. I. 379 b 5



إِمَّا الْمُؤْتَلِفُ مِنَ الْأَسْطُقْسَاتِ الَّذِي يَكُونُ الْمُحْرِكُ فِيهِ الْأَجْرَامُ السَّمَاوِيَّةُ . وَبِالْجَمِيلَةِ فَالْمُحْرِكُ فِيهَا يَتَحْرِكُ بِحِركةِ الْمَكَانِ فَيُعْرَضُ عَنْهُ الْاِلْتِقاءَ ، فَالْمُحْرِكُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ فِيهِ وَاحِدٌ وَهُوَ الْجَرْمُ الْمُسْتَدِيرُ لِمَا يَحْرِكُ بِالظَّبْعِ وَبِالذَّاتِ . وَإِمَّا فِي الْمَوْجُودِ عَنِ النَّضْجِ فَالْمُحْرِكُ الْقَرِيبُ فِيهِ هُوَ الْحَرَارَةُ الَّتِي يَهَا وَقَعَ النَّضْجُ ، وَالْبَعِيدُ هُوَ الْجَرْمُ الْمُتَحْرِكُ دُورًا . فَلَذِكَ يَوْجَدُ فِي الْمَوْجُودِ عَنِ النَّضْجِ الْمُحْرِكُ الْقَرِيبُ مِنَ الْأَسْطُقْسَاتِ ، إِمَّا وَاحِدٌ مِنْهَا ، وَهُوَ النَّارُ ، وَإِمَّا مُؤْتَلِفٌ مِنْ نَارٍ . وَهَذِهِ كُلُّهَا مَسْوَصَاتٍ ، إِمَّا أُولَئِكَ الْأَلْوَانُ ، وَإِمَّا ثَوَانٍ ، فَكَلَالًا طَوَالُ وَالْأَشْكَالُ وَصُورُ الْجَوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ . وَهَذِهِ كُلُّهَا أَشْيَاءٌ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَوْادِ ، وَإِذَا وَجَدَتْ فِي الْمَوْادِ صَارَتْ هِيَ الْمَوْادِ وَاحِدَةً بِالْعَدْدِ مُتَفَاعِلَةً بِالْقُوَّةِ عَلَى مَا قَلَّا فَقَبْلَ (١) . وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ أَنْ تَكُونَ حَسَنَةً . وَالْمَادَةُ الْأُولَى هِيَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ بِالْقُوَّةِ . وَكُلُّ مَا يَصِيرُ مَعَ الْمَادَةِ وَاحِدًا فَهُوَ لَهُ إِمَّا أُولَاءِ وَإِمَّا ثَانِيَاءِ وَإِمَّا ثَالِثَاءِ . وَالَّتِي لَهَا بِالذَّاتِ فَتِلْكَ الصُّورَ هِيَ جَوَاهِرٌ ضَرُورَةٌ لِأَنَّ صَائِرَ مَا يَوْجَدُ مِنْهَا فَاغْنَاهَا هِيَ تَابِعَةٌ لِصُورِ الْجَوَاهِرِ وَلَذِكَ احْتَاجَتْ عَنْدَ الْكَوْنِ إِلَى الْاسْتِحْدَالِ . فَإِنَّ الْمَادَةَ لَيْسَتْ شَيْئًا أَصْلًا بِالْفَعْلِ (٢) . وَالْمُتَغَيِّرُ فَهُوَ ضَرُورَةٌ مَوْجُودَةٌ بِالْفَعْلِ شَيْئًا مَا ، فَلَذِكَ كَانَ بِالضَّرُورَةِ عِنْدَمَا يَتَحْرِكُ مَوْجُودًا فَيُخْتَاجُ إِلَى الصُّورَةِ (٣) وَيَتَغَيِّرُ فِي الْعَرْضِ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِالصُّورَةِ الَّتِي <هِيَ> فِيهِ . وَيُعْرَضُ عَنْ ذَلِكَ التَّغَيِّرِ فِي الصُّورَةِ كَمَا يُعْرَضُ فِي الْحَرَكَةِ فِي الْمَكَانِ تَبَدُّلُ الْأَوْضَاعِ . فَإِنَّ الْحَرَكَةَ لَمْ تَكُنْ فِي الْوَضْعِ لَكِنْ عَرَضَ عَنْهَا الْوَضْعِ . وَلَوْ تَحْرِكَ فِي الصُّورَةِ لَكَانَتِ الْمَادَةُ هِيَ الْمُتَحْرِكَ بِذَاتِهَا (٤) فَكَانَتْ تَكُونُ شَيْئًا مَا . وَإِمَّا

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، ... . ويتغيران بالصورة ؛ اوصيتو : Arist. Met.. 9 IX. 1050 a 15 .

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر إلى الصورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : فالمادة في كل جسم يحتاج إلى .

(٣) فإن الصورة تتغير ضرورة بالمرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... لا أنها غير ضرورة ؛ ورقة ١٥٣ الف : فتتغير الصورة ذلك بالمرض .

(٤) فإن المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فإن المادة تتحرك بالعرض .

وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية أسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية<sup>(١)</sup> متعددة بها كما قلنا . وأمّا في النبات والحيوان فانها توجد فيها<sup>(٢)</sup> الأحوال الهيولانية<sup>(٣)</sup> التي للإسطقساً كالاحوال<sup>(٤)</sup> الهيولانية التي هي من نضج . وهذه الأحوال توجد<sup>(٥)</sup> المتشابه الأجزاء التي منها . وتوجد لها أحوالاً أخرى ليست الإسطقساً ولا من نضج يكعون عن الإسطقساً . وهي الخلقة وذلك بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن وجودها آلات .

والمحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من الحركات . وهذا ظاهر بأيسر (ورقة ١٥٢ ب) التأمل . وليس ذلك المحرك هو الحركة المستديرة وإن لم يحرك خلوأ عنها كما بين في ثامنة السماع<sup>(٦)</sup> . لكن إنما يطلب المحرك المتحرك الذافي الأخص وهو القرب .

(١) المخطوط : هيولا .

(٢) المخطوط : فيها .

(٣) والأحوال الهيولانية أشير إليها في آفوال أرسطو في مواضع :

Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the conection is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوط : لاحوال .

(٥) المخطوط : توجب ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع أن المحرك لا يخلو عن الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تنتهي ، وقال إنما حركة مستديرة ، راجع Phys. VIII. 8 . وقد أشار ابن باجة إلى هذه الحركة (المستديرة) المتصلة في شرحه للثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو في هذه المقالة الثامنة حين يقول : الا أن بعض هذه توجد في الحركة الساوية وهي الحركة بالعرض من غير . قارن أرسطو :

Arist., De Caelo. I. 2. 269 a 7 .

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آلة ، ولذلك تتبع هذه الأجسام الطموم والأريجع ومائر الأعراض اللاحقة عن النضج . وأما كيف تلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار الملوية<sup>(١)</sup> فهذه ضرورة تفيد الخلقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك<sup>(٢)</sup> فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون عقلا . لكن هذا القول أليق بـ تكون ذات الأنفس وقد تلخص في السابعة عشر من كتاب الحيوان<sup>(٣)</sup> .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تقترب به آلة التي<sup>(٤)</sup> بها يحرك مثل الحيوان المتناسل . وهذا يكون بزرا ، فإن البزر هو جسم مكون لدى النفس . وبين ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آلة التي بها يحرك في غيره . وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تشكرون من تلقائهما . والآلة التي مثل هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه ما ، إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك يحرك بتحريك الأسلقات ويخرج .

ولا يزال هذا الحال يحرك الأرض المترسبة بماه حقى اذا بلغت الجملة الى الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بهذه الحركة نبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحرك يتشاوفان . والنفس اذا كمل قبل صورة المترسخ فقبلها بالزاج الذي له .

(١) قارن أرساطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرساطو : Phys. VII. 3. 227 b 1 ; De An. I. 3. 407 a 33 . ايضاً ،

• De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9

(٤) الخصوصة : والتي .



والصورة التي تقبلها الممتزجات إِمَّا ان لا تحرّك شيئاً بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات . وهذه أيضاً تقدم في الهيولي ما يوجد فيها منها مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطلاق والصبر على النار . ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حرارة تخصه كنفس النبات . فان المادة متى قبلت صورة المسود حركت ذلك الجسم مما ، فيها هنا ضرورة قوى هيلانية بعضها بعيدة كقوية الاصطقطاسات . وببعضها قريبة كقوية الممتزج ، وقوية هذه إنما توجد أبداً مقترنة بالصورة ، فهي أبداً موضوعة . ولذلك ليس الذي نفسي مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص . وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت «صورة الخلة» . منها <ما> يوجد فيه الهيولي البعيدة كما بقال في الماء «الأخر» .

فأمّا القوة القريبة فليست <sup>(١)</sup> توجد خلواً من الصورة لأنّها موضوع أبداً ولا تفارق أصلاً . ولذلك يشبه (ورقة ١٥٣ الف) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أضداد ولا أعدام مقابلة لفافية العدم للملائكة . في أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلاً . فإن الممتزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك . وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولي قريبة وهي موجودة في الممتزج كالصورة للمزاج . ثم قبلت تلك الهيولي ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولي مفارقة تلك الصورة أصلاً كان أبداً المجموع منها كشيء واحد ، والهيولي إنما ظهر وجودها عند التغير . وكل هذه هي صور في هيولي يصير بها المجتمع شيئاً واحداً ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولي للصور الحادثة فيها <sup>(٢)</sup> فاما اذا كانت <sup>(٣)</sup> الصورة

(١) المخطوطة : قليس .

(٢) والاً فالمادة هي صورة مخضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر :

Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحوها من المفارقة فحينئذ تكون معايرة للهيفولي . فإن كانت هذه المعايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم إما فيها وإما في موضوع آخر <sup>(١)</sup> على ما تبين في ثامنة السماع <sup>(٢)</sup> . لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل تغير منقسم <sup>(٣)</sup> ، وهي غير ذات أجزاء <sup>(٤)</sup> ، وإنست بجسم . فلذلك <sup>(٥)</sup> بتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالمرض <sup>(٦)</sup> ، ويكون تغيرها في الآن كما يعرض لما هو مضاد . فإن آبـ إن لم يكن ضعفاً لرجـ دـ وكان أكبرـ ، فإنـ جـ دـ إذن إنما صار نصفـ ، وصار آبـ ضعفـاً من غير أن يتغير آبـ في نفسه ، بل يبقى على حالـه التي كان <عليـها> ، لكنـ بتغير من نسبة إلى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة <sup>(٧)</sup> فهو إما في الكم وإما في الكيف أو في الأين أو بتابع <sup>(٨)</sup> لأحد هذه . لكنـ مـقـ غـاـيـرـ الصـورـةـ المـادـةـ فـقـدـ وـجـدـتـ بـالـفـعـلـ تـلـكـ الصـورـةـ وـهـيـ مـخـاـزـةـ بـوـجـودـ يـخـصـهاـ <sup>(٩)</sup> ، وهيـ غـيرـ

(١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع - ...

(٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والغير مسيتبـهـ تـغـيرـ إذـ يـنـزـلـ هـذـاـ التـغـيرـ مـنـزـلـةـ التـغـيرـ المـفـروضـ . أـيـضاـ ورقة ٧٠ الف : ليـكـونـ قـبـلـ كـلـ تـغـيرـ مـفـروضـ تـغـيرـ يـتـقـدـمـ مـنـ ذـلـكـ النـوعـ . وـرـاجـعـ أـرـصـطـوـ : Phys. VIII. 2. 252 b 9 .

(٣) قال أرسطو : كلـ ماـ يـتـغـيرـ يـنـقـسـمـ . رـاجـعـ : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنـهاـ غـيرـ مـقـسـمةـ ...

(٥) المخطوطة : وكذلكـ .

(٦) أيضاـ ، ورقة ١٤٩ الف : ... كانـ لهاـ التـغـيرـ بـالـمـرـضـ : وـرـقةـ ١٥٢ـ الفـ : وـيـتـغـيرـ فيـ المـرـضـ .

(٧) أيضاـ ، ورقة ١٤٣ـ الفـ : كـاـ تـبـيـنـ ذـلـكـ فيـ الثـامـنـةـ النـعـ .

(٨) المخطوطة : مـانـعـ .

(٩) أيضاـ ، آخرـ ورقة ١٤٦ـ الفـ : مـنـحـازـ بـفـسـهـ النـعـ . وـرـقةـ ١٥٠ـ بـ : وجودـ الصـورـةـ التيـ يـخـصـهاـ ...

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة<sup>(١)</sup> لم ت تكون لون عن ذلك الحال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إما في الحس" والتخيل وذلك غير ممكن ، وإما في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ، لكن سببين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

في حين أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث . فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة وبكون حادثة ، لأن الحدوث إنما هو من قبل الهيولي ؟

فنقول : إن قولنا « هيولي » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ، فإن هيولي وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بذلك الصورة ويصيران (ورقة ١٥٣) شيئاً واحداً يستعمل الفعل الذي في طباع ذلك الموجود ان يفعله كما قبيل هذا . وقولنا هنا « هيولي » إنما يعني به قبول المعنى وهو الذي يمكن به الجسم الذي له مثل هذه القوة حساناً ، فإن القوة الهيولانية والقوة التي هي نفس ، كلامها يقبلان اللون ، واللون في هيولي هو صورة . وهو والإيولي شيء واحد ، لا وجود لذلك اللون محضةً أصلاً . واللون في القوة الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاه وصار شيئاً مشاراً اليه . ولذلك لم يمكن ان يقبل الهيولي المضادين كالبياض والسوداد المفاسيرين فانهما<sup>(٢)</sup> لو قبلتهما<sup>(٣)</sup> لكانا فيها مفاسيرين ، ولا تفاير بينهما أصلاً ، وهما مفاسيران ذاتا<sup>(٤)</sup> ، فانهما صورتان في ذات أحدهما ، أو كلامهما<sup>(٥)</sup> مفاسير إحداهما للأخرى ، فلذلك

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المخطوطة : فانهما .

(٣) المخطوطة : قبلهما .

(٤) المخطوطة : داما .

(٥) المخطوطة : كلامها .



لا يمكن وجودها<sup>(١)</sup> الا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ، وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعوا معًا في موضوع واحد . ولما كانا في القوة الحسائية موجودين مفارقين لم يتبع وجودهما معا ، وإنما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معا ، وليس إنما بوجдан معًا في الجنس ، وبالجملة في قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في البوولي في الأولان فقط . فإن الهواء الواحد يعنيه الكائن بين الأبيض والأسود معا ، وذلك أن صورهما ليست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل ينحو متوسط بين القبول البوولي وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى إنما تحدى بحسب الموضوع إلى الملكة وبذلك تمييز قوة قوة في ذاتها ، فالقوة الحسائية هي الاستعداد الذي في الحاسمة ، الذي يصير معنى ذلك المدرك . والفرق بين المعنى والصورة<sup>(٢)</sup> أن الصورة تصير مع البوولي شيئاً واحداً ولا يكون هناك مفارقة ، ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن المادة<sup>(٣)</sup> . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول<sup>(٤)</sup> قوة<sup>(٥)</sup> النفس يعني يجب أن يكون قبولاً له وهو معنى فالقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخطوطة : وجود ما .

(٢) وابن سينا يميز بين الصورة والمعنى فقال : (شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١) : وقد سيردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوجه معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال (شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩) : « يشبه أن يكون كل إدراك هوأخذ صورة المدرك ينحو من الأجزاء ، فإن كان الإدراك إدراكاً لشيء مادي فهوأخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما ، إلا أن أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متغيرة ، فإن الصورة المادية يعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ، فتارة يكون النزع عن المادة نزعاً مع تلك الملايق كلها أو بعضها ، وقارأة يكون النزع نزعاً كاملاً وذلك بأن يجرد المعنى عن المادة وعن الواقع التي لها من جهة المادة » .

(٤) المخطوطة : فنقول .

(٥) المخطوطة : قوى ، وبالهامش ، قوة .

ليس إدراك النفس إنفصالاً بوجهه . وأمّا هل يكون باتفاقي فسبعين بعد هذا . فالمتعلّق قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأنّ الحار بالقوة إذا صار حاراً بالفعل فلم يقبل معنى الكائن في المدرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل (١) . وإنما قبل حراً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود في أحدهما إلى الآخر بوجهه . وإنما النسبة التي بينها هي أن صورتها إذا تبردت كانت واحدة بالعدد . والاختلاف التي بين صورتها الشخصية - إن جاز أن يقال لشخص الحر صورة - فإنه لا تفاير بينها وبين (ورقة ٤٤ الف) الهيولي عندما يكون شخصاً ، وقد نصّ هذا في غير هذا الموضع (٢) . ولذلك حر أحدهما ليس معنى «حر» أن يكون مع الهيولي فيكون شخص [الحر] بعينه في النفس .

وما كان معنى الشيء هو الشيء ، وكان معنى الشيء هو ما موجوده بالفعل ، ولذلك إذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدركناه بذلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الهيولانية حادثة ، فانها إن لم تكن حادثة فهي آزلية . فإن كانت آزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة «زيد» قبل «زيد» ، وهذا الحار (٣) قبل هذا الحار . ولنرم أيضاً أن تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من الحالات الالزمة .

(١) أي الأشياء من المدرك ، لم ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من المدرك (راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة .) أو يريد ما قال : ان القوة المدركة ... تفعلن بالذات وأولاً ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً وبالعرض شيئاً آخر (راجع النص ، ورقة ، والقوة المدركة فانها تفعلن بالذات وأولاً ايج ) والمعنى ان الأشياء من المدرك ، وإلا لم يقل ابن باجة بهذه الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) الظاهر ان المصنف أشار الى ما قال ان المادة غير منحازة بالفعل عن الصور كما ان الصورة غير منحازة عن المادة بالفعل (النص ورقة ١٤٦ الف) .

(٣) المخلوطة : الحر .

وأيضاً في الأمور الدائمة أن الاحساسات حادة وهو مثيق عندما نتأمل أيسراً قابلً . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والإمكان والقوة على ما قبلها (١) ملازمان . وهذه القوة هي في هيولي ضرورة ، وهذه هيولي هي هيولي مثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانيا (٢) وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا تشير مع الادراك جسماً ، لأن الجسم إنما يكون مني كانت الصورة غير مفاجئة أصلاً ، وذلك أن تكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الادراكات فيقول : هل هي في هيولي التي لها مفاجئة لها . فإن كان ذلك فالهيولي موجودة بالفعل وليس هيولي . وكيف يتصل ما ليس بجسم بما هو جسم إلا بأن تكون صورة فيه . وإن لم يكن مفاجئة مما والأمر فيها مثل وجودها في هيولي لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الادراكات في موضوع ذلك بيتن . لأنه لو لم تكن في موضوع لما كانت كافية . وأما أنها الموضوع شيء واحد بذلك أنها كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فأنها لو كانت غير الموضوع جملة وكانت نوعاً أو عقلاً . ونبين ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ، لأن القول هنا هو في النفس وقوتها .

واما ان الصورة يلزم عمّا وضع أن تكون غير موجودة مفاجئة للهيولي

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فذلك دالازما الخ .

(٢) « الروحاني » عند المقلّدين منسوب إلى الروح ، ويدلّون به على الجواهر الساكنة المحرّكة لسواء ، وهذه ضرورة ليست أجساماً ، بل هي صور لأجسام ، وشكل هذه الألفاظ غير عريني وهي دخيلة في لسان المرب في الصنف الذي جاء على غير تباع عند نحوه المرب ، فإن المهمة عندم أن يقال روحي ... تدبير التوحد ، لشـرـ آمين ، ص ١٨ .

(٣) المخطوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها<sup>(١)</sup> تفريح وذلك أن الهيولي كذا قلنا قبل إنما هي موجودة بالنسبة إلى ما هي هيولي له . القوة على الإدراك هي قبول الصورة مخازنة بوجود مخصوصها . فيهولي الإدراك مطبوعة على قبول معانى المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك . فإن هذه <الصور> الهيولانية يتبين<sup>\*</sup> من أمرها أن لها في ذاتها وهي هيولانية هذه القوة ، وهذا التحرير هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة (ورقة ١٥٤ ب) وفي المنفعة كالصلابة واللين . وإن ما يحرك الحركة المنسوبة إلى الانفعال إنما يحركه أيضاً وهو في موضوع ويحرك هيولي أخرى من نوع الهيولي الذي هي فيه . ونسبتها إلى ذلك المعنى نسبة الهيولي التي في ذلك المحرك إلى الصورة بعضها في النوع . وهيولي الإدراك نسبتها إلى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولي باشتراك الاسم . وهيولي المدركات بقال لها هيولي بالتقديم وإنما بقال لهذه هيولي بالتأخير ، وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أولاً نوعان من التحرير لتصنيفين من الهيولي أحدهما<sup>(٢)</sup> للهيولي<sup>(٣)</sup> من نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولي الذي بها يكون محسوساً . وهذا التحرير هو الذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك<sup>(٤)</sup> إدراك الجسم الصغير والكبير واحد<sup>(٥)</sup> لا سيما التخيل ، وسبعين لم كان ذلك فيما بعد .

(١) المخطوطة : ممننا .

(٢) المخطوطة : أحدهما .

(٣) المخطوطة : الهيولي .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) وهذا ما سرده ابن وشد (كتاب النفس ، الأهواري ، ص ٧٤ وجدراباد ، ص ٦٩) : وتحص الصورة الحسية إنما منقسمة بانقسام الهيولي بالمعنى الذي به تقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها أن تقبل المتضادين مما . والصغير والكبير هلى حالة واحدة .

وإنما بفضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .  
فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم  
النفس وهي <sup>(١)</sup> صورة مزاج المفهوس . والجسم الممزوج الذي له هذه القوة  
هو مفهوس وحي .

ولما كان كل تكoton فهو امّا تغير او تابع لتغير على ما يبين في الصاع <sup>(٢)</sup>  
وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهو ينقسم <sup>(٣)</sup> ،  
وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم امّا بنفسها  
أو بتوسط مقترب .

والادراكات النفسانية جنسان — حس وتخيل . ولا يمكن أن تخيل مالم  
يمس . ولذلك <sup>(٤)</sup> لا يمكن أن تخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع التخيل لأنـه  
كلما دأبة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترب بالجسم فواجب ضرورة أن  
لا يكون حس دون تخيل ، إلا أن التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة  
الحس فالحس ضرورة جسم صورته القوة الحاسمة . فالحس بالجملة هو قوة الجسم  
يتفعل عن المحسوس بقتارن بكلـه كالقوة النفسانية التي <هي> فيه .  
ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس مخيلاً والحس مخيلاً <sup>(٥)</sup> . فلذلك  
الحر والبرد محسوسان بأنفسـها <sup>(٦)</sup> وأولاً . وأمّا الصلابة واللين والخشونة والملاسة  
فسبعين أمرـها في القول على القوة اللمسية ، وهذا هو القول في الحس بالجملة .

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة يبيّن معي « تابع لتغير » بالذات في الصاع ، ورقة ٢٩ ب :  
« ويكون للنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فادها » .

(٣) قارن أرساطو : Phys. VI. 4. 234 b 10 . Arist. :

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : مستحيلاً .

(٦) المخطوطة : بالنفسـها .

ولما<sup>(١)</sup> كان ليس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معاذة للحركات . ولما كان التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترسم (ورقة ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض . ولما كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وأمّا خاصة<sup>(٢)</sup> . فالخلاصة إنما تدرك بخاصة واحدة ، والمشتركة تدرك بالحواس التي يلتحقها ذلك الأمر المشترك . فذلك هو محسوس غير أول وهذا هو كالأطوال والأشكال . ولما كان المعنى يلتحقه أشياء أخرى بالمرض لذلك لا ترسم في الحاسة تلك الأشياء . هي محسوسة بالمرض كاللون فإنه يقترن به أنه في الكاتب . فلذلك يقال إن الكاتب مبصر بالمرض . في هذه ي flatt the animal's heat<sup>(٣)</sup> كثيراً . فأما وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان<sup>(٤)</sup> . فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخلاصة كما تبين ما انفع عندها الحاسة . والعام<sup>(٥)</sup> مالم ينفع عنه الحاسة . وإنما حصل بقوه عند حصول المعنى . ولذلك قيل إن المحسوسات المشتركة إنما يدركها الحس المشترك

(١) المخطوطة : وكذا .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. ابن رشد : كتاب النفس ص ٢٧ ، حيدرabad ص ٢٣ .

(٣) بالبامش : الحاس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq.

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تفعل عنها الحامضة . إنما هي لذلك القوة <لا> لأنها هي مقتنة بالحامضة بل من أجل أنها بالفعل . فان القوة اذا انفردت عن الحامضة كانت هي الحس المشترك . واما تنفرد عن الحامضة اذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحامضة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل <sup>(١)</sup> . ولذلك لا يمكن أن تخلي <sup>(٢)</sup> هذه القوة من المحسوسات جملة . لأنها موجودة في الجسم . واما الحال بأن توجد هذه مفارقة لا تفترن بجسم . وهذا هو أحد الحالات التي لزمهها الشك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحسن .

محمد صابر حسن المصوبي (يتبع)

— 20000 —

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : وجوده محركاً ظاهر بنده والمشترك هو الحامضة الخ .  
 (٢) الفطولة : خلوا .

# التعريف والتقدير

ديوان ابن الخطاطب

تحقيق الأستاذ الرئيس خليل صردم بك

طبعة المجمع العربي العربي، بدمشق ١٩٥٨ في ٣٤٨ صفحة + ٤٩ صفحة المقدمة ،

مع عشرة لوحات مصورة

سعى المجمع العربي العربي بدمشق ، منذ نشأته ، إلى حماية اللغة العربية ،  
والعمل لأوجه آثارها ، فكتب أعضاؤه في مجلاتهم مقالات ضافية في التبصير  
بها ، والتعريف بيلاغتها ، وتنقيح مفرداتها ، واختراع كلمات أو مشتقات  
ما يعرض على المجمع ، أصبحت كلها مرجع العيادة والدارسين . . وعمل  
الأعضاء كذلك على نشر الدخائر العربية في ميادين الشعر والفلسفة والتاريخ  
والأثار نشرًا يحمده العارفون ويشيدون بأيدي المجمع في السعي له على  
الأخلاص ووفاء .

ولرئيس المجمع العربي الأستاذ خليل صردم بك يد طولى في إخراج التراث  
العربي وتحقيقه ودراسته . فقد ألف رسائل في أدباء العرب وشعرائهم وحسن  
شعراء الشام بعنابته وحبه ، يربد أن يصور هذه الحلقة البارعة منذ القرن  
الرابع إلى سقوط الشعر في عصر الانحطاط ، ون يصل إلى تطور الشعر في  
هذه البلاد ، وأن يصف أعلامه ، لأن الدراسات المعاصرة لتاريخ الأدب  
ظلمت أكثر هؤلاء الشعراء ، فلم تزعم أثرهم ولم تتحدث عن دواوينهم ،  
وكاد شبابنا يجهلون كل شيء عن هذه الحقبة من أدباء ، وأصبح كثير منهم  
بتهم ثروتنا الفكرية والأدبية ، وينصرف عنها إلى غيرها من الأداب الغربية  
المنظمة المبوبة المبسورة .



وقد قام الأستاذ صدام بك بهذه المهمة ليسدّ هذه الفجوة ، في آنٍ وصبر ودقة ، فأجال النظر في الدواوين ، وأطال البحث في عرضها وضبطها ، والشقيقين لها بدرجات دقيقة مفصلة ، فأخرج دواوين علي بن الجهم وابن حيوس وابن الخطاط وابن عذين ، وهو في سبيل إخراج ابن القيسري . والدواوين الأربع الأخيرة حلقة متكاملة تمثل شعر الشام من أواخر القرن الرابع المجري إلى أواسط القرن السابع ، أي منذ (سنة ٣٩٤ هـ – إلى سنة ٦٣٠ هـ) خلال ما يزيد على قرنين .

وهؤلاء الشعراء أمسكوا بزمام الشعر في دمشق بعد الحمدانيين في حلب ، وأصبحت هذه الحاضرة العربية على وشك أن تعيده لهذه الربوع مجدها القديم في الأدب . فلما جاء ابن حيوس ( ٣٩٤ - ٤٧٣ ) ، وابن الخطاط ( ٤٠٠ - ٥١٧ ) ، وابن القيسري ( ٤٢٨ - ٤٥٨ ) ، وابن عذين ( ٥٤٩ - ٦٣٠ ) ، كما لمع ابن منير الطراطليسي والغزوي وابن الساعاتي . وحملوا الرأبة عن أساتذتهم وأسلوبياتهم إلى أبنائهم ، كما بفعل القادة في الحرب صعيماً وراء النصر والرفة والمجد . والأدباء النقاد شكرروا بد الأستاذ صردم بك في نشر ابن عذين وابن حيوس ، ورأوا في جمه المخطوطات من أطراف الأرض لها ، وصبروا الطويل في تصيد أخبارها ، وجمع أشعارها من المصادر المخطوطة والمطبوعة صبراً وصعيماً يسخنان الحمد والشاء . وصيغت كرون له هذه اليه الجديدة في إكمال هذه السلسلة ، والسير قدمًا بالنجازها في اخراجها في ديوان ابن الخطاط ، فقد أخذ ابن الخطاط عن ابن حيوس ، وخلفه في ميدان الشعر وسد مكانه ، وفاته في نواح كثيرة . وكان عليه أن يعمل له كما عمل للأستاذ ، فصبر وسمى خلال سنوات عددة ، حق إذا استكمل العدة ، استجلب نسخه المchorة من أطراف العالم ، فجمع النسخ من المغرب ومدربيه وكوبنهاغن ودمشق

والمدينة المنورة والقاهرة حق بلفت ثاني نسخ هامة ، فُقل جلتها عن الشاعر نفسه على يد تلميذه ابن القبسراني . فقد أملى عليه شعره واختاره له ، وأسقط منه ما أراد ، فكانه أشرف بنفسه على طبعه ونشره بين الناس لهذا العصر .

فديوان ابن الخطاط بلغ مرحلة من النسب والرواية والتواتر لم تتباهها إلا القلة من الدواوين ، أملأه الشاعر ورواه التلميذ وحققه المحقق على ما توالت ، بخاء على ثقة ودقة قلما يصل إليها كتاب أو ديوان إلا في الندرة بعد الندرة . وهذا نصر كبير في إخراج النصوص وتحقيقها ، يطمئن إليه الماء ، وبشق به الأدباء والرواة ، ويركتن إليه الدارson المؤرخون ، فكانه كما يقول الغربيون « طبعة نهائية » عن وثائق وخطوطات قيمة قدية ترقى إلى عهد الشاعر في القرن السادس ، لم يختلف عنها دس أو إضافة إلا ما كان من عمل النساخ والقراء ، وقد صوّر المحقق في حواشي الديوان هذا الاختلاف فيأمانة بالغة ، ليرسم ما طرأ على النسخ من أمور طفيفة ، لانكاد تؤثر في جوهر الشعر ، تقع للشاعر نفسه حين يستبدل حرفاً بحرف أو لفظاً بلفظ أو يستحسن تبديل كلمة بكلة ، كما تفعل حين نوافل أو نظم .

فالديوان على هذا صورة لما تركه الشاعر وأراده ، بل انه صورة فوق ما كان يحلم بها الشاعر من طباعة جميلة ، وترجمة واضحة ، وفهرسة قوية ، كانه شاعر معاصر في العرض والاخراج ، أضاف إليه المحقق مقدمة في العصر والرجل جهد فيها ما استطاع ، فوقف دون كثير من أمور حياته وعيشها لأنها بلغت إلى الديوان فحسب ، ولم يبلغ إلى ترجمة له بقلم تلميذه أو تمهيلق عليه أو شرح له وتفسير ، كما فعل ابن جني للمنبي ، وابن خالويه لأنبي فراس الحمداني ؟ بل إنه لم يصل إلى مكتوبات ابن الخطاط في النثر فقد ضاعت .

(٩) م



والشعر في الديوان لا ينير كل شيء، ولا يعين على المطالع كلها، والترجمون بهذه لم يفيضوا في أمر حياته، لأنهم كانوا يسعون إلى الإيجاز في ترجمون الأعلام في مطورو، وهم أن يجمعوا عدداً كبيراً من الترجم، ومن همها اليوم أن نسأل عن كل شيء من ترجم لهم ونعني بهم؟ وكل يسعى إلى ضبطه ويضي إلى غايةه. لهذا جهد الأستاذ الحق جهداً كبيراً، فاصنعت من الشعر، وأصلحت المصادر إلى حد بعيد ليخرج من ذلك بدراسة جليلة كانت كأحسن ما يستطيع محقق أن يفعل.

قص حياة ابن الخطاط منذ الصبا حتى الوفاة. عرفنا منها أن ابن الخطاط عاش صغيراً في باب الجاوية بدمشق، وكانت داره على مقربة من دار الأمير أبي الفتحان ابن حيوس. وكان عليه أن يتعلم صنعة أبيه، فيكون خطاطاً مثله. ولكن الأقدر لفت الغلام إلى حياة ابن حيوس، ودفعته إلى أن يعجب بوقته من السلطان والجاه والمالي، وأن يتخى في قراره نفسه أن يكون مثله وأن يقع من قومه موقعه، فأصبح الفقي بقرأ من شهر القدماء ويحفظ من أقوالهم وأخبارهم حتى انقلب عن صنعة أبيه إلى صنعة كانت تدر على أصحابها الألقاب والأموال والمناصب. وظل كذلك حتى أتقن صناعة الكتابة والنظم، وأصبح معيناً بها يسعى إلى وظيفة عند الأئماء. فلما قامت الفتن في دمشق، ووسمت فيها الحرائق والنهب وغلبت الجماعة هجر كثير من أهلها المدينة، وانشروا في الأرض، فأصبح عدد السكان بدمشق سنة ٤٦٩ ثلاثة آلاف نسمة، وبعد أن كانوا خمسة ألف. وهاجر الشعراء والكتاب فين هاجر، ففتح ابن حيوس إلى أمراء حلب، ونزل ابن الخطاط بجهة فحل كتاباً لأمير فيها وظل عاكفاً على الشعر بقرضه وبسيره بين الناس. ثم خطر له أن يزور جاره القديم ابن حيوس في حلب،

نافر إليه وعرض عليه شعره ، فأعجب به ، ووصله بماله ونصحه أن يقصد بني عمار في طرابلس الشام .

فلا يلقي بالغ السادسة والعشرين من سنّيه ، صافر إلى طرابلس عملاً بوصية جاره وأستاذه ، ولبث فيها عشر سنوات ، ب匪يد من خزانتها العاصمة وأساتذتها وعلمائها ، حتى تكون لسانه قوي بيانيه واسعه ، فعاد إلى دمشق وزلم وزيرها الأصفهاني ، وصيّبه إلى الري وخراسان ، وقتل راجعاً سنة ٤٨٧ وهو في السابعة والثلاثين . وظل في إنشاد الشعر ولازمة الرؤساء والأمراء بعيش بقلمه وشعره حتى مرض ، وقضى في السابعة والستين من عمره ، بدمشق ٥١٢ . ودفن في الأرض التي أحبها وتعلق بها ، وظل مشوقاً إليها في رحلاته ، وقد طارت شهرته وعلت مكانة ، وحلَّ من قومه محلَّ الفحول ، فكان شاهراً في مصره كما تمنى وأراد .

ولعلنا أسرفنا ولكننا أردنا أن نرسم هذه الخطوط الكبيرة عن المقدمة في حياة شاعر تنقل في البلاد ، فزار حماه وصور وحلب وطرابلس والري وخراسان . وعرف الناس وطريقهم ، وسمع الهجات واللغات ، ورأى ما رأى وسمع ما سمع ، بخلاف مكتوبات في النثر وقصائد في الشعر ، فلما إن الأولى خاعت وسللت الثانية ، فكانت من أجود الشعر ، تملك صاحبها ناصية الديباجة ، واستوى مع الفحول ، فحاكم في انتشاراته وكثرياته ، وبذكيراً منهم برقة وسلامته حتى قال فيه ابن عساكر : « ختم بابن الخطاط ديوان الشعر بدمشق » . وقد استطاع على اضطراب بلده وفاق عيشه ورقته حاله وتنقله في الأمصار وراء العيش أن يكون شاعراً مطبوعاً ، فصيّبه ، جزاً من غير إغراض ، عليه طلاوة الحسينين وحلوة الجيدين ، فله بين الشعراء مرتبة ، تعيّد إلى دمشق صوجان الشعر ، وتنافس مدرسة الحمدانيين في حلب ، بدل على ذلك قوله :

والمروء من شنٍ في الأيام غارته فبادر العيش باللذات وانهبا  
 من شاء<sup>(١)</sup> فليتخذ أيامه فرحاً  
 فليس يوم يمر دون إذا ذهبا  
 لم أقض من حبه قبل النوى أربا  
 هل الصبي غير محظوظ ظفرت به  
 إني لا أحسد من طاح الغرام به  
 وجاذبته حبال الشوق فانجذبها  
 والعجز أن أزرك الأوطار مقبلة حتى إذا أدبرت حاولتها طلبا  
 فهي أصدق بالجميل من الشعر المعاصر في سلاستها . وله في الديوان كثير من  
 المرقص المطرب لا يحصيه مقال في النقد منها طال .

ولو جمعت هذه الدراسة في ابن الخطاط إلى دراساته في ابن حيوس

(١) اختصار المفهق : « ما شاء » : فخالف صيغة لسخ ، ولعلنا نظر ب هذه الصيغة التقليدية أكثر من طررنا لما وضمن وفضل .

وابن عزّين وغيرهما ، وطبعت جمِيعُهَا في كتاب مستقل لـ «كانت تأريخاً للآدَب العربي في دمشق خلال تلك الحقبة» ؛ ثمَّ نُرِمَ الآدَب والعلماء والمؤرخين سبيلاً للبحث ، ونُسْدِتْ ثُغْرَةً كبيرةً في أدبنا العربي . فاذا جمعت إلى قربانها مما قد يُصنَع زملاؤه بالعراق ومصر لشِعراً لهم كانت كتاباً خاصاً في تاريخ أدبنا ، تُظْهِرُه على حقيقته ، وتُنْذِيرُ جوانبه الخفية ، وتهكُّمُ لاَدابنا بين آداب الأمم ؟ فقد وقفتُ أنا نفسي على دراسة عدد محدود من أدبائنا الفحول حتى ظنَّ الناس أنهم وحدُهم أدباؤنا وأن عصورنا الاُخْرَى عَصَمَتْ عن قول الشعر ، والغرب لا يقف عند شِكْسِبِير وغوغو ؟ وإنما يتقدّمُون إلَيْهِم ليصوّر المصور الأدبية كلها . وأظنُّ أننا شرعنَا نفعَ الدراساتنا كَفَلَ الغربيون لدراساتهم ، فانطلقَ جيلهم إلَى الجديد كَانْطَلَقَ جيلنا إلَى الجديد ، لأنَّ البناء الشافع بقوم على التواعد والامتنان ، والشجر الساق يعتمد على انتشار جذوره في الأرض ، وذلك بعيُنِ الدراسة الأدبية في جامعتنا ، حين يتم دور النشوء وتبلغُ إلَى دور الارتفاع والعمل الخصب الصالِح .

محمود محمد  
الدكتور سامي الرهان

### الشقاقة الإسلامية في الهند

«عوارف الموارف في أنواع العلوم والمعارف»

تأليف : السيد عبد الحفيظ الحسني «١٢٨٦ - ١٣٤٩»  
(من مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م)

هذا الكتاب النقيض غريب المادَّة ، واضح البيان ، ألهه العلامة الكبير السيد عبد الحفيظ الحسني ، والد صديقنا الأستاذ أبي الحسن السيد محمد علي الحسني الندووي الشهير ، وطبعه جمعتنا العلي العربي له ، ووقف على طبعه السيد رضوان الندووي ، من تلامذة الأستاذ أبي الحسن ، وفي طبعة الكتاب ترجمة



مؤلفه كتبها ابنه الأستاذ أبو الحسن ، وأوضح فيها حسبيه ونسبته ، وأساتذته ، وعلومه ، ومصنفاته الكثيرة ، وجاءت بعدها مقدمة المؤلف التي أوجز فيها بجمل هذا الكتاب ، وقد كان ألف قبله كتابين في موضوعه : (الأول) في ثانٍ مجلدات ، ذكر فيه حلة الأخبار ، ونقلة السير والأثار ، والفقهاء والحكماء ، وذوي التحلل والآراء من أهل الإسلام ، من ولد أو مات في أرض الهند (قبل التقسيم) ، (والثاني) في الجغرافية والتاريخ ، والخطط والأثار . وهذا الكتاب الذي عني المجمع بطبعه يقع في (٣٥٠) صفحة ، ولكنه - على اختصاره - بحث لا ينطلي ثيجه ، ولا تختص فوائده وفرائده ؟ فقد ذكر فيه أنواع العلوم والفنون ، والمعارف البشرية ، وذكر علماء الهند في كل منها من مصنفات من بعد أن مرد ما لغيرهم فيها ، وأودع مؤلفه هذا تاريخ نظام الدرس في الهند جيلاً بعد جيل ، وتاريخ الفنون الأدبية ، فتاريخ العلوم الشرعية الدينية ، ثم تاريخ الفنون النظرية كما لمنطق ، وعلى الطبيعيات والإلهيات ، والحكمة العملية ، والفنون الرياضية ، وفي الصناعة الطبية على اختلاف المصور ، إلى القرن الرابع عشر ، مع ذكر المصنفين ، وما عرف من تاريخ وفياتهم ، وكانت خاتمة هذا الكتاب الجليل في أسماء بعض الكتب العلمية المنقولة .

جمع المصنف رحمه الله كتابه هذا في أربعة أبواب ، الأول منها في علوم اللغة والأدب والتاريخ ، والثاني في العلوم الشرعية والدينية ، والثالث في العلوم المقلية والفنون النظرية ، والرابع في الشعر والشعراء من أهل الهند . وداخل كل باب فصول كثيرة ، وهو يختص كل فصل منها بعلم من تلك العلوم ، وبسمي الكتاب المؤلفة فيه قدماً وحدبها ، ويدرك مصنفات علماء الهند المسلمين (سنة وشيعة) وغير المسلمين ، وما ألف أو نترجم في اللغات العربية والفارسية والأوردو والإنكليزية ، وكثير من علمائهم يُولَّون بالإنكليزية أو يُنقلون عنها ، وينقلون عن الفرنسية أيضاً .

وكتابه هذا يفضل في توثيقه مثل ( كشف الظنون عن أسماء الكلب والفنون ) ، فإن مؤلف ( الكشف ) رحمة الله قد رتب علومه على حروف المجاء ، بحيث تذكر الألف مع الباء ، ثم مع الناء الخ ، فاضطر أن يذكر فصولاً بفرق فيها ما يحتجه أن يكون مجتمعاً . فقد ذكر في أول علوم القرآن مثلاً ( ص ١٢٠ ) علم إعجاز القرآن وإعرابه ، ثم أورد علماً كثيرة في حرف الألف مع الفين والفاء والكاف واللام ، كعلم الآلات الحرية والرصدية ، ثم عاد فذكر في حرف الناء علم التجويد ( ص ٤٠٥ ) وفي الناء مع الشين علم تشبيه القرآن واصنافاته ، ( ص ٢٨٦ ) وبينها فنون مختلفة .  
ـ بما يلاحظ - في عرض نماذج من الشعر الهندي في مختلف العصور - أبيات فيها من سؤال المخلوق ، ما لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه ، وما يحرم طلبه من غيره .  
ـ وبما يلاحظ في « تراجم القرآن الكريم » أنها كثيرة بالأوردو ، وقليلة بالإنكليزية ، « ومنها ما هو ترجمة حرفيّة » ص ١٦٩ .

ـ وأقول : إن المعمول أن تبلغ دعوة الإسلام إلى كل أمة بلغتها ، وتدرس الخصائص القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة القرآن ، ليتذوقوا إيجازه وإعجازه ، أما الترجمة الحرفيّة ، فهي متعددة في كثير من كلامه ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وكانت كتبت في مجلة المجتمع العلمي : إن العربية انتشرت - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا ، ودخلت أمم كثيرة في المروبة والإسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسته بلغته إلا هدى ورحمة ، وإنساناً و توفيقاً ، « نَأْخُتْ فِيهِ شَعُوبَ كَثِيرَةً » ، وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض ، وضياءً ونوراً لأهلها . . . ومؤلفات الأعجم في لغة العرب تبلغ الألوف الكثيرة ، وحسبك ما أورده المؤلف منها في كل علم وفت .

وقد رأينا في لاهور عام المؤتمر (سنة ١٩٥٧) وفي العاصمتين كراتشي ودلهي من علماء الهند الأجلاء من يلتزمون العربية الفصحى قوله وكتابة وخطابة ، وهي لفهم في بيومهم وبمحاجتهم .

ثم نقل المؤلف فصلاً في تاريخ التصوف ونشأته عن مقدمة ابن خلدون ، وأخر في تاريخ الفرق الإسلامية ، كالإمامية ، والجعفية ، والمعزلة ، والجسمة ، والقراطسة ، وفي المؤمنون ، وفتنة المعزلة ، وأبي الحسن الأشعري ومذهبه وأئمته ، والماتريدي ، وكل ذلك مأخوذ من كتاب «الخطط والأثار» المقريزي ، ثم مذهب الشيعة الإمامية ، وكيف ظهر وانتشر في الهند في القرن الثامن ، على بد الشیخ علی الجودري ، وكيف تشیع الملوك والأمراء ، وأکره عدداً من غير المسلمين علی التشیع ، حق قيل إن (٢٤) ألفاً من الهندادک تشیعوا ، ثم تسلسل ذلك في الدعاة والسلطانين والرعايا ، وتشیع نظام شاه (٥٩٤٤) على بد الشیخ طاهر بن الرضی المهدانی ، ولقنه الولاء والبراء ، وتشیع معه ثلاثة آلاف نفس من رجاله ، وأخرج أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة ، ووظف اللاعنین عليهم في جميع بلاد الدکن (ص : ٢١٧ - ٢١٨) . ثم تفرق الإمامية في بلاد الهند ، وجمع دعائهم الناس على الصوات الخمس ، ورضي ولاهتم في ذلك (في ١٣ ربـ سنة ١٢٠٠هـ) وكان آصف الدولة وأخلافه يبذلون المطابا وأقطعوا الأرض على التشیعین ، فتشیع کثیر من الناس طوعاً وكراهاً ، وكانت فتنة عظيمة ، ثم صنف الشیخ عبد العزیز بن ولی الله المحدث الدهلوی کتابه المشهور (تحفة اثنا عشرية) ، وصنف الشیعة في الرد عليه عدة كتب ، وتصدى أئمـة السنة لها ، وألفوا كتبـاً کثیرة في الرد عليها ، وفي «الثقة الإسلامية» أسماء هذه النقوـد والردود . ثم الكلام بين التصاری والاسلام ، وبين الاسلام والهندادک ، وبيانـة القادياني والردود عليهم ، ومذهب

البيجربين (الطبيعيين) ، والمراد بهم أتباع أحمد بن محمد الدهلوi المتوفى (سنة ١٣١٥هـ) ، والردد على تأويلاً لـ«العجبية الفريبة» ، ورسائل في السنة والبدعة ، والموحد والشرك .

ثم علم المناظر (ص ٢٧٢) الذي قال فيه المؤلف رحمة الله : (ومن يربد أن يقف على صنائع أهل الهند ، فله أن يذهب إلى آگر ، ودھلی ، وبقرا الكتابات في الجواجم والمقابر ، وأن يرى القباب والمنارات ، لا سيما في روضة (تاج كنج) (ضريح الناج محل) ببلدة آگر ، لعله يتغير منها ، ويطير عقله وبه من حسن الصنعة) . وأقول :

قد زرنا تلك الأماكن ، ورأينا ما يأخذ بالألياب ، وأنجينا بها كل الإعجاب . وهذه النبذة البسيرة لا تغني عن مراجعة هذا الكتاب ، الذي أثبت فيه مؤلفه فضلاً كبيراً لأهل الهند في كل علم ، لا سيما في علم الصحة والطب ، والكتب في أنواع الأمراض وعلاجها ، والاكتشافات الطبية لأهل الإسلام ، من وقف على هذا وغيره - بعد وقوفه على مثل الفهرست لابن النفیس ، وكشف الظنون ، وما زاده الآخرون كصديق حسن خان (والمؤلف بنقل عنما وعن غيرها) - يرب إلى متتصف القرن الرابع عشر للهجرة علوماً وكتباً واسعة ، وفصولاً مهمة بارعة ، وما ذكرته قليل من كثير ، ولا يغنى عن مطالعة هذا السفر الجليل ، فرحم الله المؤلف ، وأنبه عليه أجزل الثواب ، وجزى مجده العلمي الذي قام بطبعه خير الجزاء .

٦٠٠٦٠٦٠٦٠



ديوان السيد موسى الطالقاني ١٢٣٠ - ١٢٩٨ هـ

تحقيق واعتناء : محمد حسن آل طالقاني

مطبعة الفري الحديقة - النجف

الشعر مادة الأدب ، وديوان العرب ، فهو صرآة أخبارهم ، وبمحلى آثارهم ،  
ومحط رحاظهم ، وقد قال قائلهم :

إن لم تقل إن نظم الشعر مكرمة فأي مكرمة أبقيت للعرب  
بان الكرام فلا عين ولا أثر إلا أساطير قد سطّرن في الكتب  
وأمّا الآن ديوان الشاعر الناشر العلامة السيد موسى الطالقاني التجفي ،  
وديوانه هذا كبير الحجم ، مؤلف من (٤٣٤) صفحة بالقطع المتوسط ،  
ما عدا الفهارس المتنوعة ، وقد بلغت نحو أربعين صفحة ، منها تسع للمقدمة ،  
وها هي ذي : فهرس المواضيع ، والقوافي ، والأعلام ، والقبائل ، والأمر ،  
والبيوت ، والبلدان ، والأمكنة والبقاع . ومثلها فهارس الديوان ؛ وفي أوله  
تقريظ للعلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فكتبة إهداء من محققته  
وناشره الأستاذ الأديب السيد محمد حسن الطالقاني التجفي إلى أمياده الجماعة  
المؤرخ الجليل الشيخ آغا بزرگ الطهراني ، وقد زين كتبته بصورة شيخه ثم أتبعها  
بنشر صورته ، ووصفها بليتين من شعره .

وفي صدر الديوان وصف لأميرة الطالقاني ، وكلمات موجزة في تراجم أجداد  
ناشر الديوان منذ هاجر جدهم الأعلى من طالقان (بلدة في إيران) إلى النجف  
(من سنة ٩٣٥ إلى عصرنا ١٣٢٦هـ) ، وفيه نبذة من ترجمة السيد محمد حسن  
الطالقاني ، وهذه التراجم بقلم شيخه العلامة الطهراني ، وتلي ذلك حياة الشاعر  
الكبير السيد موسى بقلم الحق السيد محمد حسن ، مهد لها بكلمة في الشعر

والأدب في البقاع والبلدان ، وخص أدب العراق بما فيه من طيب الأرض ، وحسن المabit ، ونوه بفضل النجف في ذلك على غيره ، ثم أتى على ترجمة صاحب الديوان ، فذكر نسبه وأسرته ، ونشأته ، وأساتذته ، ومكانته العلمية ، ومنزاته الاجتماعية ، وأخلاقه وصفاته ، وشاعرية القوية ، وأثاره ، وأولاده وأحفاده ، وأقوال العلماء والأدباء فيه ، وختها بوصف النسخ التي قوبل بها الديوان ، وظروف نشره .

قسم ناشر الديوان هذه المجموعة الكبرى التي اشتملت على نحو ستة آلاف بيت ، والتي عانى في جمعها السيد الحسن ما عانى ، قسمها وزعها على المائج والمراثي ، والوجدازيات ، والتهاني ، والموسيقات ، والحماسات ، والتخميس والنشطير ، والمراسلات ، والإخوانيات ، وختها بالمفردات ، وفي هذه الأبواب كلها إبداع وامتناع ، وشعر يفيض رقة وشهورا ، ونفرأ وحمسة ، وشيمما وباها ، وعنة وعلاها ، وعلامة على كون مؤلفه من خول رجال الفريض ، فهو من شيوخ العلم الأجلاء .

وقد ازدان الديوان بما ذيله به ناشره من تعليقاته المفيدة ، وآرائه السديدة ، واستقدراً كانه العديدة ، وقد جاء بحمد الله كما قال : « كتاب تاريخ كا هو ديوان أدب ، حوى كثيراً من الترجم و السير ، والأمثال والحكم ، والشاهد والفوائد ، ومثل هذا اللون هو المطلوب لدى رجال البحث والتحقيق ، ومؤرخي الأدب ». وقد استفدنا من فوائد هذه التعليقات أضعاف ما استفدنا من الأصل ، لاسيما تاريخ الأصر العلمية في النجف ، وكثير من أعلامها ، وقد ذكر المراجع الخطيئة والمطبوعة منها ، وأشار إلى أجزائها ورقم صفحاتها ، وألمع إلى من سبق المؤلف إلى بعض المعاني البدعة في شعره ، وأورد الشواهد على ذلك من كتب الشعر والأدب والترجم .

وقد ذكر الأستاذ الناشر طائفه من أقوال العلماء، وآراء المؤلفين والأدباء في صاحب الديوان وشعره، وفضله وعلمه، وأقول: لا شك في أن شعره يشف عن سلامه ذوقه، وسموه روحه، وكرم عاطفته، وزاهدة قصده، وعفته وزهده بما في أبيدي الناس، فقد كان رحمة الله واسع الحال، موفور الحظ، غنيماً عمما في أبيدي الناس بما أسبغ المولى عليه من نعمه، فقد كان ملائكة نجيبه وضياعه، تدقق عليه من خيراتها ما يكفل له أطيب عيشة، كما ذكر في توجيهه: «ولذلك يجد معظم شعره الفزل الذي كان يؤمن به نفسه، ويفرح قلبه، ويبث أشواقه، ولم يكن ليفكر بالنظم في غيره، وقد خلق شاعراً بطبعه، لأنّه يكره مدح الناس»<sup>(١)</sup>.

وبنجد الجواب بعد هذا في المقدمة عن مدحه لقربب أو صديق، أو ذي شأن وسلطان، قال:

شهد المجد أنتي است هنت باع در الأشماء بالأشمان  
لا ولم أهده لغير حبيب ذي داد في السر والإعلان  
أو لريبي يرمي القلوب بطرف ناعس يوقف الموى بقطان  
بات رهن الحسان قلبي وباضي قلب بيته رهن الحسان

وقد استقرت قصائده الفزلية التي مكتبت بـ«الوجودانيات» مائة وأربعين صفحة من ديوانه، وحسبي أن أورد شواهد منها تدل على صائرتها، قال (ص ١٠٠) :

أمرتني ذات السوار ولا من ن لديها ولم أجد من فداء  
عقد زنارها يحل فوى الصبر (م) وي وهي - اي والهوى - أعضائي

وقال (ص ١٠٥) :

لقد أصبحت ذا كلف طروبا وكم منبت نفسي أن أتوبا

(١) ص ٥٧ من المقدمة.

ولاح الشبب وهو وقار غيري  
وطفل الشوق لا يرعى المشيا  
لعلى أن أحسن لها دبيبها  
قدع عنك التشك واصنفها  
عقاراً مثل خدّ الحب لونا  
أرى بين الضلوع لها طيبها  
لئن سبت العقول فكم أزلنا  
بها عنا الوساوس والكرهها  
وقال (ص ١٠٢) :

كافته عن الحراس ليلاً ذوائبه  
نبي إلى العشاق أرسل هاديا  
فسفك الدما والثديه والصدّ والجفا  
ألا فاسقني من صلسلـيل رضابه  
وكنت أرجو ألا أجـد في ديوان هذا الشاعر المبدع ما بنـأـي عن شـعـره  
القومي ، وقصدـه السـوي ، وكان لهـ في أبوابـ الـديـوانـ ما يـغـيـهـ عنـ وـصـفـهـ  
بنـتـ الـخـانـ وـالـخـانـ ، وـعنـ الفـوـانـيـ الخـرـذـ الـخـانـ ، وـوسـائـرـ ما يـغـرـيـ بـوضـفـهـ  
الـمـسـعـدـينـ منـ الشـبـانـ ، وـلـكـنـهاـ سـنـةـ كـثـيرـ مـنـ شـعـراءـ العـيـاءـ ، فـهـمـ يـنـهـونـ عنـ  
احـتـسـاءـ الصـبـاءـ فيـ كـتـبـهمـ الـدـيـنـيـةـ ، وـبـنـاؤـنـ عـنـهـاـ ، وـتـرـاهـ يـفـرـونـ بـهـاـ فيـ قـصـائـدـهـمـ  
وـمـقـطـوـعـاتـهـمـ الـشـعـرـيـةـ ، وـكـانـ لـهـ مـنـ مـاـشـاهـدـ الـكـوـنـ وـمـنـ آـيـاتـ نـعـالـيـ فيـ الـآـفـاقـ  
وـفـيـ الـأـنـفـسـ ، مـاـيـدـعـوـ النـاشـئـينـ إـلـىـ الـجـدـ فيـ الـعـمـلـ ، وـبـنـيـ مـقـلـدـيـ شـعـرـ الـجـاهـلـيـةـ  
عـنـ وـصـفـ الطـلـلـ ، وـلـوـقـوفـ «ـبـسـقـطـ اللـوـيـ بـيـنـ الدـخـولـ خـوـمـلـ» .

وبـلـاحـظـ فيـ أـمـرـ المـدـيـحـ وـالـاطـرـاءـ مـاـهـوـ أـدـخـلـ فيـ الـإـغـرـاءـ ، وـأـخـطـرـ فيـ  
بابـ الدـعـاءـ ، بـدـعـاءـ مـنـ لـاـ يـلـكـونـ لـاـنـفـسـهـمـ ضـرـأـ وـلـاـ نـفـهـ ، وـلـاـ مـوتـاـ وـلـاـ حـيـاةـ  
وـلـاـ نـشـورـاـ ، وـطـلـبـ مـاـلـاـ يـطـلـبـ إـلـاـ مـنـ الـقـيـ القـوـيـ الـقـادـرـ ، الـقـائلـ : «ـادـعـوـيـ  
اسـتـحـبـ لـكـمـ» «ـوـإـذـاـ سـأـلـكـ عـبـادـيـ عـنـيـ فـإـنـيـ قـرـيبـ أـجـيـبـ دـعـوةـ الدـاعـيـ إـذـاـ دـعـانـ»  
فـلـيـسـجـيـبـوـاـ لـيـ ، وـلـيـؤـمـنـواـ بـيـ لـعـلـمـ يـرـشـدـونـ» . وـهـذـهـ الـأـيـاتـ الـمـرـفـدةـ تـدـلـ  
عـلـىـ قـصـائـدـهـ ، وـعـلـىـ مـاـهـوـ فـيـ مـعـنـاهـاـ مـاـ اـسـتـشـدـ بـهـ مـنـ شـعـرـ غـيـرـهـ . قـالـ مـخـاطـبـاـ  
أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلامـ :

أنت الوجود وفيك قد وجد الورى ولأنَّ منظر رينا والمسمع

(ص ٩)

كُرْبَةُ الْمَتَّ مُبَالِغُهُ وعنهَا صدرِي يضيق  
ولأنَّ ياغوث الصرخ بكتشها عني حقيق

(ص ١٠)

وقال مستغيثًا بالمهدي المنتظر :

رام الزمات هوانِي واستصغر الدهر شاني  
فقلات مهلاً سأشكُو إلى إمام زمانِي

(ص ١٣)

وقال مخاطبًا الإمام مومي بن جعفر (ع م) :  
ـ تَعْنَتْ مِنْكَ أَنْ تُقْهِي دِيُونِي وَأَرْجُو أَنْ تُبْلِغَهَا مِنَاهَا

(ص ١٣)

لا تخف هول نكير في غداً منكر لا، ولا تخش عذاب الله يوم المشر

(ص ٦٢)

هو عين الله فيما والصراط المستقيم وهو لجنة والبران - في الحشر - قسم

(ص ٦٣)

لم يكن آدم لواله ونوح في الوجود لا، ولم تؤمر له إلا ملائكة يوماً بالسجود

(ص ٦٣)

لم يكن لولا علي ملك أو ملك لم تكن لواله ناري فلكلها والفالك

(ص ٦٣)

وصي المصطفى حقاً قسم النار والجنة.

(ص ٣٤١) أحد بيتهن عن اهلا الشافعي .

والجواب عن هذه الآيات الشعرية وما ماثلها في قوله تعالى خطاباً خاتماً رسالته وأفضل خلقه : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً » قل إني إن يجيرني

من الله أحد ، ولن أجده من دونه ملتحداً» . وقال سبحانه «أَمْ مَنْ يَحِبُّ الْمُضْطَرُ  
إِذَا دُعَاهُ وَيُكَسَّفُ السُّوْءُ» . وقال : «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» .  
وقال : «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لَيَبْلُو كُمْ أَبْكِمْ أَحْسَنَ عَمَلاً» . فَأَيْنَ تَقْعُدُ هَذِهِ  
الدُّعَاوَى الشُّعُورِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْفَطَعِيَّةِ الْمُبَوْتَةِ وَالْمُدَلَّةِ عَلَى مَعَانِيهَا  
وَأَيْنَ هَذَا الْأَغْتَرَارُ بِقُسْمَةِ الْجَنَّةِ وَالْمَارِ؟ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ  
إِيَّوْمَ الْقِيَامَةِ» . فَلَا تَظْلِمُ نَفْسَ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مُثْقَالَ حَبْيَةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَاهَا ،  
وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ» . وَمَا حَقُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْ يَهْيَأُوا الْعَامَةَ فِي مُثْلِ  
هَذِهِ الْأُمُورِ . وَلِمَخْوانِنَا الشِّعْيَةُ بِدَرْسَوْنَ تَارِيَخَ الْإِسْلَامِ وَصِيرَةَ الصَّحَابَةِ  
لَا سِيَّما أُمَّةُ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ تَنَاطَرُوا بَعْدَ وَفَاءِ  
الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي أُمُّ الْخِلَافَةِ ، وَفِي جَمْعِ الْقَرَائِبِ ، وَفِي الْمَعَارِكِ الدَّامِيَّةِ  
كَوْفَةَ الْأَجَمَلِ وَصِيفَيْنِ ، وَالنَّهْرَوَانِ وَالْحَرَّةِ ، وَتَنَاطَرُ الشَّيْخَانِ فِي قَتَالِ مَانِيِّ  
الزَّكَّا . وَفِي اْرْسَالِ جَيْشِ أَسَامِيَّةَ وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا بِسَيِّدِ الْخَلَقِ ، فِي هَذِهِ الشَّدَائِدِ ،  
وَلَا اسْتَغْفَرُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي حَيَاتِهِ ، وَكُلُّ هَذَا  
مَعْلُومٌ مِنَ الْدِينِ وَالْتَّارِيَخِ بِالْفَسْرُورَةِ ، وَمِنَ الْعُقْلِ وَالْحُسْنِ وَالْوَجْدَانِ بِالْبَدَاهَةِ ،  
فَيَجِبُ رَدُّ مَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ إِلَى الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ ، وَمَا عُرِفَ مِنْ سُنْنَةِ  
الصَّدَرِ الْأَوَّلِ . وَجَدِيرٌ بِالْعِلَمَاءِ الْعَالَمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، أَنْ يَتَخَذُوا شَذَرَاتِ  
مِنْ سِيرِ الْأُمَّةِ مَلَائِمَةً لِرُوحِ الْمُجَتَمِعِينَ ، مَفْذُوَّةً لِمَقْوِلِهِمْ ، بِاعْتِدَةٍ عَلَى حُسْنِ  
الْاسْتَعْوَادِ وَالْإِتَّبَاعِ .

جاء في سيرة السلطان أحمد شاه (ص ٣ - ٧ من الديوان) أنه هو الذي  
ذهب المثارات والقباب ، على ضرائح الأئمة ، ونهب أموال الأمة ، وأوغل  
في الفسق والفحور ، وكان الوالي من قبل الدولة العثمانية آنذاك مدحت باشا ،  
وهو خير من ولی العراق من آل عثمان (ص ٣٩) وبجمل له التاريخ كثيراً  
من الآثار . (قال) : وبؤخذ عليه اهتمامه الكبير وعزم الشديد على الاصناف  
على خزانة الامام علي عليه السلام وبيعها ، واصناف المال في مشاريعه ، وقد



أَخْفَقَ وَلَهُ الْحَمْدُ أَهْ . أَقُولُ : لَيْتِ الْأُوْمَامَ عَلَيْهَا كَانَ حَيَاً مَّا أَهْدِيَتْ لِيْهُ  
هَذِهِ الْخِزَانَةَ ، إِذَا لَرَأَيْتَهُ أَزْهَدَ الزَّهَادَ بِهَا فِيهَا ، وَأَسْرَعَهُمْ فِي لَاقِفَاهَا عَلَى مَسْقِفَاهَا ،  
فَوَهُوَ مَنْ يَكْنِزُونَ الْدَّهْبَ وَالْفَضْةَ .

وَفِي رَحْلَاتِنَا إِلَى الْعَرَاقِ فِي وَفَدِ عَلَمِي (فِي ١٨ / ٤ / ١٣٧٨ = ١١ / ١ / ١٩٥٨ )  
أَسْعَدَنَا التَّوْفِيقُ بِزِيَارَةِ أَهْمَاءِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَشَاهَدْنَا الْمَزَارَاتِ وَالْقَبَابِ  
وَالْأَسْرَحَةِ فِي كَربَلَاءِ وَالْكُوفَةِ وَالْحَلَةِ وَالْجَنَفِ ، وَكُلُّهَا مَطْلِيَّةٌ بِالْفَضْةِ الْخَالِصَةِ ،  
وَمَنْشَأَةٌ بِالْدَّهْبِ وَفِيهَا النَّفَائِسُ . وَمِنْ حَوْلِهَا الْفَقَراءُ وَالضَّعِيفَاءُ بِذِكْرِوْنَا بِقَوْلِ  
حَافَظَ اِبْرَاهِيمَ رَحْمَهُ اللَّهُ :

أَحْيَاوْنَا لَا يَرْزُقُنَا بِدَرْهَمٍ وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تَرْزُقُ الْأَمَوَاتِ  
مَنْ لِي بِحَظْ النَّائِمِينَ بِحَفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَجْمَارِهَا الصَّلَواتِ ?

اعْتَذَرَ النَّاشرُ الْكَرِيمُ عَمَّا وَقَعَ فِي الدِّيْوَانِ مِنْ أَغْلَاطِ مَطْبَعِيَّةٍ وَلَمَلَائِيَّةٍ وَفِي  
ضَبْطِ بَعْضِ حَرَكَاتِ الْأَعْرَابِ ، — عَلَى بَذْلِهِ فِي تَصْحِيحِهِ جَهْدًا مُضْنِيًّا بِلِمْسَهِ  
الْأَدْبَاءِ وَأَهْلِ الْفَنِ كَمَا قَالَ . وَالْحَقُّ أَنَا لَمْسَنَا الْأَمْرَيْنِ مَعًا : الْخَطَأُ الْكَثِيرُ  
فِي الْأَنْوَاعِ الْثَّلَاثَةِ الْأُولَى ، وَالْإِجَادَةُ فِي تَصْحِيحِ كَلَامِ الدِّيْوَانِ ثَرَأً وَشَعْرًا  
وَنَرْجُو أَنْ يَصْحَّحَ الْخَطَأُ كُلُّهُ فِي طَبْعَةِ ثَانِيَةٍ لَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَضِيفُ إِلَى جَدُولِ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ مَا يَأْتِي :

الصَّوَابُ	الصَّفَحةُ	السُّطْرُ	الْخَطَأُ
تَوْجِيدَاتٍ	٤٩ م	١٠	تَوْجِيدًا
الْمُقْبَس	٢٢		الْقَبَس
كَانَ . . . فَيْضٌ نَفْسِيٌّ	٥٢	٤	فَيْضٌ نَفْسِيٌّ

٢٠ فِي الْحَاضِرَةِ أوْ بِوْمِ ذِي مَسْبَةٍ «أَوْ لَمْطَهَامٌ فِي يَوْمٍ» الْآيَةُ  
وَفِي الْخَتَامِ نَشَكَرُ الْأَدْبَرَ الْكَبِيرَ الْأَسْنَادَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ حَسَنَ آلَ الطَّالِقَانِيَّ

عَلَى تَحْقِيقِهِ لَهُذَا الدِّيْوَانِ ، وَعَنْبَيْتَهُ بِنَسْرَهُ .

— — — — —

# آراء وأباء

أعضاء الجمع العامي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

## أرواح ضماد العلماء

١ - الرئيس: الأستاذ خليل صردم بك

١٠	الأستاذ عن الدين التنوخي	٢	الدكتور اسعد الحكيم
١١	= فارس الخوري	٣	الأمير جعفر الحسيني (أمين السر العام)
١٢	الشيخ محمد بهجة البيطار	٤	الدكتور جبيل صليبا
١٣	الدكتور محمد صلاح الدين البكرى كبي	٥	= حسني سبع
١٤	= محمد كامل عياد	٦	= حكمة هاشم
١٥	= مرشد خاطر	٧	= سامي المدهان
١٦	الأمير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)	٨	الأستاذ شفيق جبرى
١٧	الدكتور منير العجلانى	٩	= عارف النكدي

## أرواح ضماد المراسم

(ج.ع.م.إقليم الجنوبي)	(الجمهورية العربية المتحدة) الإقليم الشمالي
١١	الدكتور عبد الوهاب عنان
١٢	الدكتور منصور فهمي
١٣	الأمير يوسف كمال
١٤	الأستاذ أنس المقدمي لبنان
١٥	= بشاره الخوري
١٦	الشيخ صليمان ظاهر
١٧	الدكتور صبحي المحمصاني
١٨	= عمر فروخ
١٩	الأستاذ مارون عبود
٢٠	الأب اس. مررجي الدومنكي للهذهين
	الأستاذ عباس محمود العقاد



## أعضاء المجمع العلمي العربي المارسلون

٤٦	الاستاذ أصفر علي أصفر فيضي الهند	٢١	الاستاذ قدرى حافظ طوقان فلسطين
٤٧	= أبو الحسن علي الحسفي الندوى =	٢٢	= محمد الشريقي =
٤٨	= عبد العزيز الميني ياكسمان	٢٣	= احمد حامد الصراف العراق
٤٩	= يوسف البنوري =	٢٤	= الدكتور داود الجلاي
٥٠	الدكتور بلاشير (رجلين) فرنسة	٢٥	= الاستاذ صاطع الحصري
٥١	= كولان (جورج) =	٢٦	= طه الهاشمي =
٥٢	= لاوست (هنرى) =	٢٧	= عباس العزاوي =
٥٣	= ماسه (هنرى) =	٢٨	= الشيخ كاظم الدجبل
٥٤	= ماسينيون (لويس) =	٢٩	= الاستاذ كوركيس عواد
٥٥	= أربيري (أوج.) بريطانية	٣٠	= الشيخ محمد بهجة الاشري
٥٦	= جيب (هـ ١٠٠ رـ) =	٣١	= الاستاذ محمد رضا الشبيبي
٥٧	= غليموم (الفرد) =	٣٢	= الدكتور مصطفى جواد
٥٨	= ربتر (هليوت) المانية	٣٣	= الاستاذ منير القاضي
٥٩	= هارقان (ريشارد) =	٣٤	= الشيخ محمد نور الحسن السودان
٦٠	= ديدرنغ (سـ ٠) السويد	٣٥	= الاستاذ حمد الجامر المملكة العربية السعودية
٦١	الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة	٣٦	= خير الدين الزركلي =
٦٢	الاستاذ فيليب حق =	٣٧	= علي الفقيه حسن لبيبة
٦٣	= غومز (امييليو غارسيا) اسبانيا	٣٨	= حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٤	الدكتور اشتولز (كارل) النمسة	٣٩	= محمد الطاهر بن عاشور =
٦٥	الاستاذ موجيك (هانز) =	٤٠	= محمد البشير الابراهيم الجزائري
٦٦	= ماهلر (ادوارد) المجر	٤١	= عبد الحفيظ الكتاني صراكس
٦٧	= جبرائيلي (فرنشيسكو) ايطالية	٤٢	= عبد الله كنون =
٦٨	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة	٤٣	= علال الفاسي =
٦٩	الاستاذ بدرمن (جون) الدانمرك	٤٤	= احمد اتش تركية
٧٠	= كرميكو (بوخنااهنن) فنلاندة	٤٥	= الدكتور علي أصفر حكى ايران
٧١	= رشيد صليم الخوري البرازيل		

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م.، الأقليم الشمالي)

٢٣ الشیخ بدر الدین التصانی

٢٤ ≈ راغب الطباخ

٢٥ ≈ عبد الحمید الجابری

٢٦ ≈ عبد الحمید الکیمی

٢٧ ≈ محمد زین العابدین

٢٨ الکتور صالح فنیاز

٢٩ الشیخ سلیمان الـأـحمد

٣٠ الاستاذ ادوار مرسق

٣١ الشیخ صمید العرفی

٣٢ البطریر کماراغناطیوس افرام

(ج.ع.م.، الأقليم الجنوبي)

٣٣ الاستاذ مصطفی لطفی المفلوطي

٣٤ ≈ رفیق العظم

٣٥ ≈ احمد کمال

٣٦ ≈ احمد تیمور

٣٧ ≈ احمد زکی باشا

٣٨ الکتور یعقوب صروف

٣٩ السيد محمد رشید رضا

٤٠ الاستاذ حافظ ابراهیم

٤١ ≈ احمد شوقي

٤٢ الشیخ احمد الـاسکندری

٤٣ الاستاذ احمد خلیل داغر

٤٤ ≈ داود برکات

(ج.ع.م.، الأقليم الشمالي)

١ الشیخ طاهر الجزائري

٢ ≈ صلیم البخاری

٣ ≈ مسعود الكواکبی

٤ الاستاذ الياس قدمی

٥ ≈ أنس سلوم

٦ ≈ جبیل العظم

٧ ≈ صلیم عنوری

٨ ≈ عبد الله رعد

٩ ≈ رشید بقدونش

١٠ ≈ ادب التقی

١١ الشیخ عبد القادر المبارك

١٢ الاستاذ معروف الـأـرنـاءـوطـ

١٣ السيد محسن الأمین

١٤ الاستاذ الرئيس محمد کرد علی

١٥ ≈ محمد البزم

١٦ ≈ صلیم الجندي

١٧ الشیخ عبد القادر المغربي

١٨ الأب جرجس شلحت

١٩ ≈ جرجس منش

٢٠ الاستاذ قسطاکی الحصی

٢١ الشیخ كامل الفزی

٢٢ الاستاذ میناپل الصقال



٦٩	الشيخ ابراهيم المندى	لبنان	(ج.م.ا.الإقليم الجنوب)
٧٠	الاستاذ جرجي بني	=	٤٥ الدكтор امين المعلوف
٧١	الشيخ احمد رضا	=	٤٦ الاستاذ مصطفى صادق الراوهي
٧٢	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	=	٤٧ الشيخ عبد العزيز البشري
٧٣	فيليپ طرازي	=	٤٨ الدكтор احمد عيسى
٧٤	الشيخ فؤاد الخطيب	=	٤٩ الأمير عمر طوسون
٧٥	الدكتور نقولا فياض	=	٥٠ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٧٦	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين	٥١ الاستاذ انطون الجميل
٧٧	الاستاذ نخلة زريق	=	٥٢ خليل مطران
٧٨	الشيخ خليل الخالدي	=	٥٣ ابراهيم عبد القادر المازني
٧٩	الاستاذ عبد الله مخلص	=	٥٤ محمد لطفي جمعة
٨٠	محمد اسحاق النشاشبي	=	٥٥ الدكтор احمد امين
٨١	عادل زعير	=	٥٦ الاستاذ عبد الحميد العبادي
٨٢	محمود شكري الآلوسي العراقي	=	٥٧ الشيخ محمد الخضر حسين
٨٣	جميل صدقى الزهاوى	=	٥٨ الاستاذ حسن بيهى
٨٤	المعروف الرصافي	=	٥٩ الأب لويس شيخو
٨٥	طه الرواوى	=	٦٠ الشيخ عبد الله البستاني
٨٦	الاب انتساس ماري الكرملي	=	٦١ الاستاذ جبر ضومط
٨٧	الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر	=	٦٢ عبد الباسط فتح الله
٨٨	الاستاذ محمد الحجوى	مراكم	٦٣ الشيخ عبد الرحمن سلام
٨٩	ذكي مغامن	تركية	٦٤ مصطفى الغلايني
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجانى	ايران	٦٥ الاستاذ عمر الفاخوري
٩١	الاستاذ عباس إقبال	=	٦٦ بولص الخولي
٩٢	الحكيم محمد أجمل خان	المند	٦٧ امين الريhani
٩٣	الاستاذ قران (جربل)	فرنسا	٦٨ الأمير شيكيب ارسلان

## أعضاء المجتمع العربي الراحلون

١٤٩

٩٤	الاستاذ هوار (كليجان)	فرنسة
٩٥	= بوafa (لوصيان)	=
٩٦	= مالنجو	=
٩٧	= كي (أ.و.)	=
٩٨	= باسه (رينه)	=
٩٩	= ميشو بللير	=
١٠٠	= مارسيه (وليم)	=
١٠١	= دوصو (ربنه)	=
١٠٢	= مرجليوث (د.س.) بريطانية	=
١٠٣	= بفن	=
١٠٤	= براون (ادوارد)	=
١٠٥	= كريشكو (فريتز)	=
١٠٦	= هومل المانية	=
١٠٧	= صاخاو (ادوارد)	=
١٠٨	= هوروفيتز (يوسف)	=
١٠٩	= هارقان (مارتين)	=
١١٠	= ميفوخ (أوجين)	=
١١١	= بروكين (كارل)	=
١١٢	« غولدصير (اغنطيوس) المغربي	
١١٣	« ماكنونالد (د.ب.) الولايات المتحدة	
١١٤	الاستاذ زفلد (ارنست) الولايات المتحدة	
١١٥	= مارطون (جورج)	=
١١٦	= كراتشوفسكي (أ.) الاتحاد السوفيافي	=
١١٧	= برتلز (ابنيكين)	=
١١٨	الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية	
١١٩	= لويس (دافيد) البرتغال	
١٢٠	= جويندي (اغنازيو) ايطالية	
١٢١	= فالينو (كارلو)	=
١٢٢	= غرينيني (أوجينيو)	=
١٢٣	= موته (ادوارد) سويسرية	
١٢٤	= هسن (ج. ج.)	=
١٢٥	= كوفالسكي (ت.) بولونية	
١٢٦	= موزل (الوا) تشكونسلوفاكية	
١٢٧	= هورغانيه (صنوك) هولاندة	
١٢٨	= اراندوك (ك.)	=
١٢٩	= هوتسما (م. ت.)	=
١٣٠	= بوهل (ف. م. ب.) الدانمارك	
١٣١	= اشتروب (ج.)	=
١٣٢	= صبرصين (ك. ف.) السويد	
١٣٣	= سعيد ابو مجرة البرازيل	

٣٢٩٩٣٥

### انتخاب عضو جديد

انتخب الجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٥٨ برئاسة الأستاذ الرئيس السيد خليل صردم باك الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً في الجمع العلمي العربي مكان المرحوم الرئيس محمد كرد علي .

وقد صدر عن رئاسة الجمهورية قرار بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣٧٨ و ٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٨ رقمه ١٥٤١ لسنة ١٩٥٨ يقر هذا الانتخاب .

### سيدي الزميل<sup>(١)</sup>

يطيب لي أن أستقبلك اليوم في مجتمعنا لا للتعريف بك ، بل لأقول لك ما أمسكته عنك وطوبته زماناً طويلاً على قرب الدار ، وكثرة الاتصال بيني وبينك . وما حداني على التصديق لاستقبالك إلا ما ألمته من تشوفك إلى معرفة ما يقال فيك . فماذا أقول ، وأنت تعلم أنَّ ما أشعر به من الميل إليك ، على قربك ونأيك ، أشعرني بمحظتي كثير الارتباك ، في وصف شمائلك ومرابيك ، هذا مع ما أجد في نفسي من انعقاد اللسان ، وجود الخاطر ، وذهاب البساط . ولكنني سأحاول أن أفي لك بما لم أفر به حتى الآن ، على أن يكون لك الفضل على فيها سمعتَ لي به من حرية القول ، على النحو الذي سرت عليه في كلامك على مؤرخ الشام ، أستاذنا ورئيسنا المرحوم محمد كرد علي . لقد كان رحمة الله أجل الناس في زمانه ، وأكرمه في وفاته ، وأعلمهم بتراثنا العربي القديم ، فإذا كان المجتمع قد دعاك اليوم إلى المكان الذي خلا بوفاته ، فهو إنما يدعو مؤرخاً فيلسوفاً إلى احتلال كرمي كاتب كبير ، وعالم مؤرخ . كان مولدك يا سيدي ، فيما أخبرني عن نفسك في مدينة طرابلس الغرب ، وكان والدك الشيخ (علي عياد) أول من مال من أمركم إلى العلم ، فأنجب نفسه في تحصيله حتى بلغ منه مناه . أما والدتك فكانت من بني المسعودي ، وهم بيت مشهور من أهل طرابلس الغرب ، أدباء وفقهاء ، يتوارثون الفضل كباراً عن كبار ، وتاليماً عن غابر ، وقد سمّاك أبوك (كاملًا) على اسم صديقه (كامل الأسد) تيمناً بها ، يشير إليه هذا الاسم من تقدم وارتفاعه . ولعل ذلك أن يكون من أسباب اطلاقه اسم (التقي) على الجريدة التي أصدرها وفتنه

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور جبل صليبا في جلسة استقبال المضو العامل الجديد الدكتور محمد كامل عياد في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٨ .



المدعوة الى ما كان يرغب فيه من تقدم واصلاح ، على التحو الذي سار عليه رجال الدولة المئانية في الامانة بعد اعلان الدستور . فلما أغار الابطاليون على طرابلس الغرب اضطر والدك الى المركب الى (استانبول) على ظهر باخرة ألمانية ، ففيته الدولة العثمانية حاكماً على (صربيون) ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في (حلب) ، ولم يزل يتقلب في مناصب القضاة بعد جلاء الأتراك عن سوريا حتى أصبح عضواً في محكمة التمييز في دمشق .

إن هذه الاشارة السريعة الى حياة والدك تكفي لا يبراز ما تهاقب على نشأتك من أحداث ، وما طرأ على حياتك في زمن حدائقك من تغير ، فقد تلقيت علومك الابتدائية في مدارس طرابلس الغرب ، ثم رحلت مع والدك الى (استانبول) ، فانتسبت الى المدرسة الرشدية في مدينة (بورصة) ، ثم الى المدرسة السلطانية في مدينة (حلب) ، ورأى والدك بعد ذلك أن يوصلك الى المدرسة الصالحية التي أنشأها الأتراك في مدينة (القدس) لا يعداد الدعاة ، فانتسبت اليها وذوّجت رأسك بالعامة خلال أربعة أشهر ، ثم جلوت عن القدس مع من جلا عنها في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وعادت الى المدرسة السلطانية في حلب لاقامة دراستك الثانوية ، فلما حزت شهادتها تذكرت الباخرة الألمانية التي تلقيك مع والدك الى استانبول ، فرحلت الى المانيا ، ودخلت جامعة بولن ، فما من علم اجتماعي او فلسي إلا وقد أخذت منه هناك بأوفر نصيب ، وحصلت منه على أعلى ذروة .

سألتك صرّةً عن العلم الذي كنت تقبل اليه في المدرسة الثانوية فقلت لي : العلم الرياضي ، فلم أجده سبباً لخوّلتك عن هذا العلم الى الفلسفة إلا ما يجيده بعض علماء النفس من علاقة بين الاستمداد للرياضيات ، والاستمداد للفلسفة . وربما كان من نقاط حباتك أن تهوي بعد ذلك دراسة التاريخ ، لأن موضوع التاريخ الحوادث الجزئية ، وموضوع الفلسفة الحقائق الكلية . وكم من فيلسوف

أنكر دراسة التاريخ لاعتقاده أنَّ العلوم التي تستند إلى الذاكرة لا تبلغ من الضبط العلميٌّ ما تبلغه علوم العقل . ولكنك يا صديقي لم تقنع من دراسة التاريخ بوصف الواقعات وذكر الأعداد ، والجيوش والمعارك ، بل تعمقت في بواطن الأمور ، وبجست عن العوامل الطبيعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة في التطور ، شأنك في ذلك شأن فلسفة التاريخ الذين يبحثون عن القوانين الكلية المحيطة بالحوادث الجزئية .

ويسرني أن أقول لك الآن إنَّ كتاب فلسفة ابن خلدون الذي ألفته بالألمانية ، قد تضمن الكثير من فلسفة التاريخ التي أخذت بها فيما بعد . فقد ذكرت في هذا الكتاب أنَّ ابن خلدون أراد أن يربط علم التاريخ بعلم الاجتماع ، فحدد موضوع هذا العلم ، وطريقة بحثه ، وبين أنَّ الحوادث التاريخية والاجتماعية خاضعة لمبدأ السببية ، ثم تصدَّتَ بعد ذلك ببحث فلسفة ابن خلدون في التاريخ والمجتمع والتطور ، فأشرت إلى العوامل المؤثرة في التاريخ ، وإلى أسس الحياة الاجتماعية ، فذكرت منها الميل الفريزي إلى الاجتماع ، والميل إلى التقليد ، وختَّمتَ بجشك هذا بالكلام على المنظارات الاجتماعية كالأسرة والقبيلة والدولة وغيرها . ولعلك أردت من بحث فلسفة ابن خلدون الاجتماعية أن ترضي من حاجات نفسك حاجتين ، وأن تتحقق بذلك غايتي : الأولى هي ميلك إلى تحليل الواقعات التاريخية بالعوامل المؤثرة فيها ، والثانية هي اعترافك بقوميتك ورغباتك في تعريف قراء الألمانية بأساطير الفكر العربي . وقد تمَّ لك هذا فكان كتابك في الألمانية عمدة المنشررين ، ومرجحاً من مراجع العيادة والباحثين . وبشهادة القدر بعد إنتهاء دراستك في ألمانيا أن تعود إلى سوريا في أشد أيام الاستعمار فسورة ، وأكثرها ظلاماً واضطراها ، فتحاول أن تعمل في الصحافة ، فتجد الصحافة مقيدة ، وتحاول أن تخترط في سلك الموظفين ، فتجد الأبواب موصدة في وجه الذين تلقوا علومهم في ألمانيا ، ولكنَّ حاجتك إلى كسب الرزق

بعد إحالة والدك على التقاعد اضطررت إلى طرق أبواب التعليم في شروط قاصية، فلما فتحت أمامك أبواب المدارس الثانوية أظهرت من البراعة في التعليم ما دل على استعدادك القديم له . لقد كنت تفتقد إذ ذاك أنك صاحب رسالة ، وأن خير وسيلة لأدبية رسالتك تعليم النشء وتنقيف أبناء الشعب ، ولا أزال أذكر حتى الآن اجتاعنا في مدرسة التجهيز في دمشق ، يوم كنا نعقد الحلقات للمذاكرة والمساورة ، ونتداول الكتب والمحلاط للمطالعة والمناقشة ، ونتبادل وجوه النظر في المناهج التربوية ، والأحداث السياسية والاجتماعية .

ليس في صفاتك يا سيدى ، صفة أدقّ على سجنتك من حبك للتعليم ، إنك تحب تعليم الصغار كما تحب تعليم الكبار ، ولم أر بين إخوانى المعلمين من أحب تلاميذه أكثر منك ، إنك تحبهم لبراءتهم وطهارتهم وصفتهم وقلة تجاربهم ، وهم يحبونك لعلك وإخلاصك وجرأتك وتفانيك في خدمتهم ، أنت معلم وصرب معًا ، لم تزل تعليم أبناء هذا الجيل حتى أصبحت لهم والدًا ، وإن كان الله لم ين عليك بعد بولدى من صلبيك ، فقد كان لك من أبناء هذا الجيل طلاب كثيرون أحبوك كما يحب الأولاد والديهم ، لقد علمت الفلسفة والتربية والتاريخ في مدارس دمشق الثانوية ، وفي دار المعلمين العالية في بغداد ، وفي كلية التربية والآداب في جامعة دمشق خلال ربع قرن ، فخرّج على يديك الكثيرون من قادة هذا الجيل ، وإذا كان يسرك الآن أن يسير بعض هؤلاء التلاميذ على خطسك ويتحققوا ما دعوت اليه كل أيام حياتك من مبادئ سامية ، فإنه ليحزنك أن ينكر بعضهم تعليمك وإرشادك ، ويضع في دولاب التطور عصاً تمنعه من الدوران . ومها يكن من أمره فإن تبعة ذلك لا تقع عليك ، لأن السحاب الذي يجود بالغيث على الأرض لا يسأل عن إرباتها الشوك والحنظل ، وأن كذلك لا تسأل عما يتصف به بعض هؤلاء من فطانة بتراء ، وكياضة خرقاء .

وهل أنت يا سيدى إلا من عنصر أولئك العلماء، الذين قرروا العلم بالعمل، عملت العلم وعلنته ثم ألفت فيه عدة تصنيف، اشتهر كت معي في تأليف أحد كتب المنطق، وفي نشر بعض النصوص الفلسفية، واشتهر كت مع الدكتور جورج حداد، والدكتور نظيم الوصلي في تأليف بعض كتب التاريخ المدارس الثانوية، وانفردت بتأليف كتاب الأخلاق، وبرجمة رسالة عنوانها كتاب التاريخ والتفاصي الدولي، ولكل تصانيف أخرى لم تطبع بعد، ككتاب تاريخ اليونان، وتاريخ التربية وغيرها، وإذا ذكرت الآن هذه التصانيف، ذكرت معها ما كان من حرصك على جمعها للطلاب، فأنت لم تؤلف كتبك لطلب الشهرة والمثالية، ولا لعقد الرياسة بين الناس، أو مد الجاه عندهم، بل أفقها لتقر عينك باهتفاع الطلاب بها، وكأنني بك تقول في نفسك إن العلماء لا يدركون السعادة إلا بنشر العلم، فان احتاجوا إلى العلم في خاصة أنفسهم فهذا من فضل الله، وان احتاجوا إليه للناس فهذا خير وأبقى، ولو علمت أن الناس لا يكتنفهم الانتفاع بكتبك، لكساد سوق العلم، لأحرقها لقلة جدواها كما فعل أبو حيان قبلك، ولكنك تعتقد لحسن الحظ أن الحقيقة يجب أن تذاع بين الناس، وأن من كان قابضا على الحقيقة، ولم يحصل على نشرها لم يكن عالماً حقيقاً، فلا غرو اذا عملت على نشر الحقيقة بتعليم الطلاب وتأليف الكتب لهم، ولو لا اضطراب حياتك وكثرة العوائق المحيطة بك لأنجزت من التصانيف ما يعجز الكثيرون عن إنجازه، ولكنك يا سيدى لم تجد في المجتمع الذي تعيش فيه أي مسجع لك على بلوغ غاياتك، فقاومت ما استطعت المقاومة، وجاءت ما استطاعت الجهاد، رأيت مرة أن تلتحق بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، لتوسيع نطاق عملك، فلم تلق فيها ما هو مؤمل منها، فأورثك ذلك بأسما من الإصلاح، حبب إليك المزلة والبعد عن الناس، قلت لي في كتاب بعثت إلي به من القاهرة: «ليس عندي من جديد أذكره

عن حياتي هنا ، فقد طابت لي المزلة التي وجدت نفسي فيها ، ولذلك تراني أتحاشى كل ما يمكن أن يفسدنا » ، ولكن أني للك أن تلقي عصا الترحال وترسّخ إلى عننك » وفي نفسك ما فيها من حب العمل والنضال والصلاح ، ألم تهد بعد ذلك إلى دمشق لتابعة نضالك في الحقل الاجتماعي ؟ ألم تستأنف محاضراتك ومقالاتك التي كنا نتّشوّق إليها في زمان عننك ؟ وهل لرجل مثلك أن يشعر بأعراض المجتمع ولا يحمل على شفائه منها ؟ لقد دعوت كل أيام حياتك إلى حرية الفكر ، والمعدل الاجتماعي ، ودعوت إلى السلام والصدافة ، ودافعت عن النظام الديموقراطي ، وناديت بالاشتراكية والتعاون ، فكنت في كل ما دعوت إليه إماماً يقتدي به ، ويرتدي بهديه .

لم أر قط بين أفرانك من أحب الكتب والعلوم أكثر منك ، فإنه لم يقع بين يديك كتاب إلا استوفيت قراءته كائناً ما كان ، وما دخلتُ عليك صرة إلا رأيتها تنظر في كتاب أو تقرأ مجلّة أو صحيفة يومية . وسبب ذلك أنك تحب الاطلاع على كل ما يكتب في زماننا من آراء ، وما ينشر فيه من مذاهب ، وما يحدث فيه من واقعات ، وقد وهبك الله ميلاً إلى استطلاع الأخبار ، واستقصاء الحقائق والآثار ، لأنك مؤرخ وصحافي مما . وهذا الميل إلى الصحافة يوضع لنا الكثير من مراحل حياتك ، فقد عملت في جريدة الشرق ، باشراف رئيسنا المرحوم محمد كرد علي ، وزملائنا المرحومين الأمير شكيّب أرسلان ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والشيخ بدر الدين النعسانى ، وعملت بعد ذلك في جريدة (العرب) التي أصدرها الأستاذ ساجي السراج في حلب ، ثم سافرت إلى طرابلس الغرب ، فأصدرت باسم والدك جريدة اللواء الطرابلسي ، ثم أصدرت في ألمانيا مع بعض الزملاء مجلّة الحامة ، وجريدة اللواء الإسلامي ، فنشرت فيها عدة مقالات فلسفية واجتماعية وسياسية ، وكنت خلال إقامتك في ألمانيا تواصل جريدة (المفتيس) ، فلما عدت إلى صوربة أصمت

في تحرير جريدة فن العرب وجريدة الأيام ، فكانت فيها من أحسن المحررين والمתרגمين ، ثم أصدرت معي ومع الزميل عن الدين التنوخي ، وبعض الزملاء مجلة المعلمين والمعلمات ، واشتهر كرت معي ومع أستاذنا الرئيس خايم صردم بك والدكتور كاظم الداغستاني في إصدار مجلة الثقافة ، وأهمت مع بعض الأدباء في إصدار مجلة الطبيعة في دمشق ، ومجلة الطريق في بيروت ، وكمنت في مجلة المعلم الجديد ، ومجلة المعلم العربي عددة مقالات تربوية ، وتوليت بعد ذلك تحرير مجلة كلية التربية ، ولا تزال حتى الآن تنشر في صحف دمشق اليومية والأسبوعية آراءك الاجتماعية والسياسية ، فهذا كله يدل على أنك خلقت صحافياً ومعلماً ، لم تقتصر على نشر أفكارك بواسطة التعليم في المدارس ، بل عملت أيضاً على نشرها بواسطة الصحافة .

أنت يا سيدى متمعن المحاضرة ، إلا أنك لا تتصدى للارتجال ، فلا تتكم في موضوع إلا إذا هيأته ، وهذا فيما أعتقد خير من ارتجال الكلام بغير ترتيب ، وإن كلامك في محاضراتك كثير الحلاوة ، مفعم بالطلاوة ، لأنك تفرد بمواضيع لا يتناولها غيرك ، فتحمل معانيك قرينة من الأذهان بما تضمنها إياه من النوادر اللطيفة ، والاشارات الطريفة ، ولا يكاد أحد يراك في كلامك جافاً ، جامد الفكر ، وإنما أنت في جميع محاضراتك مستوف فنون القول ، كأنك موج لجة ، أو سهل مخدر . لقد حوت محاضراتك من أصناف العلم أحسنها ، ومن فنون الثقافة أجودها ، وإذا كان من الصعب على الآن أن أذكر جميع الموضوعات التي حضرت فيها ، فإنه لن يفوتي ذكر محاضراتك التي أقيمتها في جمعية المقاصد الخيرية والجامعة الاميركية في بيروت ، ودار الكتب الوطنية في حلب ، عن الإنسان الحديث ، ومستقبل الثقافة ، ورسالة الجامعة .

قلت في محاضرك عن الإنسان الحديث : « إنه محصول تطور تاريخي طويل ، فقد تقلب عليه حوادث كثيرة واجتاز مراحل عديدة » وذهب أرض

لأزمات متعددة، وكان من أثر ذلك أن كثُرت عناصر شخصيته وتضارب وأصبحت تقسيمه كما شاهدتها اليوم في متنهي التعقيد والاضطراب».

فالإنسان الحديث في نظرك هو الإنسان الذي يحاول أن يخضع الواقع لسيطرة العقل، وهو مختلف عن الإنسان القديم باتجاهه الديني المطلق، وبضممه أفكاره وعواطفه وأفعاله في الحياة الواقعية، وكأنني بك عندما تصف هذا الإنسان وتبين تطوره ما تدعونا إلى النسج على منواله، لأنك تقول إننا لا نستطيع أن نبني لأنفسنا حضارةً مسلمةً إلا إذا عرفنا الإنسان الحديث حق المعرفة، ودرستنا تطوره الفكري ومنازعه العلمية. ومع ذلك تجد في أفعال هذا الإنسان ما يدعو إلى الخجل والاشمئزاز، وما يثير الشفقة والخوف، فما زلت تعتقد أن الأزمة التي تواجهها الحضارة الحديثة ستفتحي لامحالة، كالطفل الذي يحيط به المراهقة، فيما هي أزمة حادة، ثم ينتقل بعدها إلى حالة الاستقرار والطمأنينة.

فأنت ترى إذن أنَّ الحضارة الحديثة تقوم على العلم والبحث العلمي، وأنَّ العلم الحديث المستند إلى المشاهدة والتجربة والتأمل العقلي، هو السبب في الازدهار الاقتصادي، والتقدم الاجتماعي. وإذا كان هنالك، في الحياة الحديثة مشكلات، فإن هذه المشكلات لم تنشأ عن طبيعة الإنسان وأنانيته، بل نشأت عن فساد الأوضاع الاجتماعية التي لا تلائم طرق التفكير العلمي الحديث، ولا طرق الاتصال المصرية.

وقلت في محاضرتك عن مسقبل الثقافة: «لاحظ العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر ما يمتاز به الحضارة الغربية من وسائل القوة المادية، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا مقاومة الاستعمار الغربي إلا باصطدام الوسائل ذاتها. من هنا قامت الدعوة في البلاد العربية إلى ضرورة اقتباس الثقافة الحديثة، لأنها أساس



النهاية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية» (ص ٥) وقلت أيضاً: «إنَّ الحضارة الحداثة هي التي تسيطر اليوم على العالم، ولا سبيل لِأَيْ شعبٍ أن يحافظ على كيانه دون بحارة هذه الحضارة» (ص ٣٢). وقلت أخيراً: «هناك فئة تسمى نفسها بالعقلنة، ت يريد أن يقتصر الاقتباس على محسنات الحضارة الغربية، وعلى ذلك النواحي من ثقافتها التي تتلامس مع خصائصنا وتقالييدنا وعاداتنا. ونقطة الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات والتقاليد والعادات التي تختص بها والتي يجب أن نحافظ عليها، ثم الاختلاف حول المعيار الذي يميز المحسن من المساوي». لقد اجتاحت حضارة الغرب بلادنا بصناعتها وأنظمتها ومذاهبها، ولم يستطع المشكلة الآن أن تبحث وتناقش في هذا التطور، هل هو خير أم شر، وأن تقابله بالاسئمان أو الاستهجان، ولكنَّ المشكلة هي أنَّ نعلم ماذا يجب أن نعمل للسيطرة على الأوضاع الجديدة، وجوابك على ذلك أنَّ من واجبنا في الظروف الحاضرة أن نعمل على زيادة الانتاج، وتنمية الثروة العامة، وتلبية حاجات الحضارة، وهذا كلُّه يحتاج إلى الأخذ بأسباب العلم الحديث وطرق مجده. إننا نفاخر ونمزِّ بــما اتصف به الثقافة العربية في عهود ازدهارها من المرونة، والقدرة على التكيف، وانساع الآفاق، وبحارة التطور، فلماذا لا تنسج اليوم على متوالِ أجدادنا في اقتباس الحضارات والثقافات الأجنبية. لقد سارع أجدادنا إلى الاقتباس عن جميع الأمم على أوسع مقياس، ومن واجبنا في العصر الحاضر أن نعمل على اقتباس الثقافات الأجنبية كما فعل أجدادنا في الماضي، وأهم ما يحتاج إليه من هذه الثقافات التفكير العلمي، والنظر العقلي، لا التفكير الصوفي أو الروحي الذي يريده لنا المستعمرون، ولا يكفي في نظرك أن تبني النخبة الممتازة في بلادنا ثقافة الغرب وحضارته، بل ينبغي كذلك أن تنشر هذه الثقافة في الجاهير الكادحة



من عمال وفلاحين ، لأنَّه لا فائدة من تجهيز الفلاحين بالآلات الزراعية إذا هم لم يتعلموا قبل ذلك كيف يحسنون استخدامها ويحافظون عليها .

وليس ما قلته يا صديقي عن اقتباس الثقافة الفريدة بخافر على الناس ، ولكنَّ أكثرهم لا يحتررون على التصريح به كما فعلت . ومع ذلك قدمو إلى الأخذ بثقافة الغرب ، وأسباب حضارته ، فانك لا تهمل ثراثنا الثقافي القديم . إنَّ محاسن هذا التراث بادية لعينيك ، بارزة في دروسك ومحاضراتك ، ولكنك لا تزبد أن تأخذ منها إلا الأعمدة القوية ، والمعانير المتينة الصالحة للبناء الجديد .

وما قلته في كلامك على رسالة الجامعة : «ليس البحث العلمي مجرد فعالية فكرية مستقلة عن الزمان والمكان ، والدراسة الجامعية تظل عقيمةً وتتصبج عيناً ثقيلاً إذا هي لم تجهز الشباب بالوسائل الازمة لفهم العالم الذي يعيشون فيه ، وتفسير الحوادث التي تجري حولهم» . فإذا اقتصرت الجامعة على البحث النظري ، الجرد لم تقم بوظيفتها الاجتماعية ، وإذا طلب العلم لذاته ، دون أن يتخذ وسيلة لإصلاح المجتمع والسيطرة على الطبيعة ، كان عيناً ثقيلاً ، لانقطاع الصلة بينه وبين الحياة الواقعية .

نعم إنَّ مفهوم الجامعة يتضمن في نظرك الإخلاص للعلم والحقيقة ، وإنَّ الجامعة لا تبلغ غايتها «إلا إذا تدرَّب طلابها على طريقة البحث العلمي وتمودوا النقد السريع ، وشعروا بالمسؤولية ، واحترموا حرية الفكر والقول ، وانصفوا بالنسان» ، ولكنَّ الجامعة التي لا تخرج من عنانتها ، ولا تشارك في الحياة العامة مشاركةً فعالة ، ولا تنشر العلم بين الناس ، ليسَت جامعةً كاملة ، فأهداف الجامعة في نظرك أذن هي التعليم والبحث العلمي ، والإعداد المهني ، والتدريب المasliki ، و التربية الشخصية وتنميتها ، ونشر الثقافة في جمور الشعب .

ذلك بعض ما جاء في محاضراتك من إشاراتٍ صادقة وأقوالٍ نافعة ،

وأني لي أن أحبط الآن بجمع ما تضمنته مخاض رانك وأحاديثك من دعوة إلى الإصلاح . فقد حملت على ما في واقعنا الأليم من فساد ، ودعوت إلى إصلاح هذا الفساد بالتعليم والتربية والإرشاد ، ولما بدا لك أن الإصلاح بطريق التربية يحتاج إلى زمان طويل ، عمدت إلى نشر أفكارك في الجماهير بطريق الصحافة ، ثم عملت بعد ذلك على تأسيس الجمعيات العلمية والفنية والأدبية فاتخذتها متنفساً لمنازعك الاجتماعية والأنسانية ، ولو لم تجد إلا في هذه الجمعيات متنفساً لنشاطك الثقافي لكفي ، فكيف بك وقد سافرت في رحلات ثقافية إلى ألمانيا ، والاتحاد السوفيافي ، ورومانيا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، وسويسرا ، اطلعت فيها على ما جده من المسائل العلمية والاتجاهات الفكرية ، ونقلته إلى طلابك وصربتك ليعملوا به ، فالعلم كما تقول إنما يراد للعمل ، فإذا كان العمل فاقداً عن العلم ، كان العلم مصدراً على الفرد والمجتمع .

لذلكرأيت يا صديقي أن تفرن العلم بالعمل ، وأن تتولى التوجيه والإرشاد ، فكنت عالماً ومعلماً ، مؤلفاً وصحافياً ، عالماً وكاتباً ، فيلسوفاً ومؤرخاً مما ، وما نشرته حتى الآن من الكتب والمقالات والمحاضرات بكلني لرفوك إلى الدرجات العلي بين مفكري العرب المعاصرین ، فكيف بك وقد عزمت على إقام رصالتك العلمية والأدبية باضمامك إلى مجتمعنا ؟ .

إن في أسلوبك يا صديقي توجهاً يشبه توج أفكارك ، يجعله متوجاً ليدل على ما في تفكيرك من حياة ، وعلى ما في حياتك من فوة ، ولو شئت أن تكون جاماً كالجبل المشرف على أمواج البحر ، لما عجزت عن رصف أفكارك رسمياً محكماً . ولكنك أبى أن تكون كاملاً فأثبتت معبد الفلسفة الذي أنشأ بالقرب من ضريح (جان جاك روسو) ، ترك أحد أجنحته نافساً للإسناد به على أن " عمل الفلسفة لم يتم بعد . ألم تؤلف كتاباً في الأخلاق

(١١) م



شبيهـاً بهذا المعبد الفلسفـي ، ألم تكلـم فيهـ على الوجـدان ، والـحق ، والـواجب ، والـشفقة ، والـإحسـان ، والـتضامـن ، والـتعاون ، والـحرـبة ، والـكرـامة ، والـتقدـم ، والـصـدق ، والـصرـاحة ، والـنزـاهـة ، والـإـسـرـة ، والـعـمـل ، والـاقـتصـاد ، دون أن تـقـمـ فيهـ كـلامـكـ علىـ الحـيـاةـ السـيـاسـيـة ، والـعـلـاقـاتـ الدـولـيـة ، فـكـانـيـ بـكـ ، وـقـدـ رـأـيـتـ ماـ يـعـتـورـ العـلـاقـاتـ الدـولـيـةـ منـ اضـطـرـابـ وـتـبـدـلـ ، لـمـ تـشـأـ أـنـ تـحـكـمـ عـلـيـهاـ حـكـماـ نـهـائـيـاـ فـاصـلاـ ، تـارـكـاـ لـفـيرـكـ منـ الـمـأـخـرـينـ أـنـ يـقـمـواـ مـاـ يـذـأـتـ بهـ مـنـ أـحـكـامـ مـنـرـبـةـ صـادـقةـ ، وـتـبـيـهـاتـ نـافـعـةـ حـكـمةـ .

أـنـتـ يـاـ صـيـديـ كـثـيرـ الـعـلـمـ وـالـاسـتـقـاصـ ، مـحـقـقـ فـيـ الـجـبـرـ وـالـأـثـرـ ، فـاـذـاـ أـرـدـتـ تـقـرـيرـ الـحـجـةـ فـيـ عـقـولـ الـجـاهـيرـ ، وـتـخـفـيفـ الـمـؤـنـةـ عـلـىـ الـمـسـمـعـيـنـ ، عـدـتـ إـلـىـ الـأـمـالـ الـحـسـيـةـ ، وـالـنـكـاتـ الـلـطـيـفـةـ ، وـالـأـفـكـارـ الـمـقـبـوـلـةـ فـيـ الـأـذـهـانـ ، فـاخـتـرـتـ هـاـ أـهـلـ الـأـلـفـاظـ ، وـصـفـقـهـاـ فـيـ قـالـبـ مـحـبـبـ إـلـىـ النـفـسـ ، بـعـيـدـ عـنـ التـكـافـ ، وـلـاـ تـزـادـ دـمـرـرـةـ مـنـ هـذـهـ السـهـوـلـةـ وـالـعـذـوبـةـ حـتـىـ تـجـيـيـ ، الـأـلـفـاظـ فـيـ وـزـنـ اـشـارـاتـكـ ، وـمـعـانـيـكـ فـيـ طـبـقـةـ الـأـلـفـاظـ ، وـأـنـاـ مـاقـرـأـتـ لـكـ كـلـامـاـ إـلـاـ وـجـدـتـ الـأـلـفـاظـ أـسـرـعـ إـلـىـ ذـهـنـيـ ، مـنـ مـعـانـيـكـ إـلـىـ قـلـيـ ، لـأـنـكـ تـطـلـقـ لـقـلـمـكـ العـنـانـ ، فـيـ غـيـرـ خـطـلـ وـلـاـ إـمـلـالـ ، فـتـبـلـغـ بـسـهـوـلـةـ الـلـفـظـ ، وـحـرـبةـ القـوـلـ مـاـ لـاـ يـلـفـهـ غـيـرـكـ بـالـفـصـاحـةـ وـالـبـلـاغـةـ ، وـاـذـاـ قـبـلـ اـنـ فـيـ أـسـلـوبـكـ اـنـطـافـاـ فـيـ شـبـيـهـكـ ، فـمـذـركـ فـيـ ذـلـكـ أـنـكـ مـطـبـوـعـ عـلـىـ الـبـسـاطـةـ وـالـصـرـاحـةـ ، بـعـيـدـ عـنـ التـكـافـ ، تـفـضـلـ جـوـهـرـ القـوـلـ عـلـىـ صـورـتـهـ ، وـحـقـيقـتـهـ عـلـىـ لـفـظـهـ .

أـنـتـ يـاـ صـيـديـ لـاـ تـشـهيـ أـنـ تـبـعـشـ فـيـ نـظـامـ كـالـنـظـامـ الـذـيـ فـرـضـهـ الـفـيـلـاسـوـفـ (ـكـانـتـ)ـ عـلـىـ نـفـسـهـ ، وـلـاـ تـحـبـ أـنـ تـكـوـنـ مـقـيـداـ بـقـيـودـ الـعـادـاتـ وـالـتـقـالـيدـ . أـنـ تـقـنـدـ أـنـ كـلـ شـيـءـ فـيـ الـحـيـاةـ يـتـبـدـلـ وـيـتـغـيـرـ وـيـرـقـيـ مـنـ حـالـ إـلـىـ حـالـ ، لـكـ مـنـ كـرـبةـ فـادـحةـ صـبـرـتـ عـلـيـهـاـ لـمـلـكـ أـنـهـ زـائـةـ ، وـكـمـ مـنـ مـشـكـلـةـ تـغـلـبـتـ عـلـيـهـاـ

باسْجُفافكِ بِهَا ، وَلَعْلَهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونُ مِنْ نَتْائِجِ الْقَوْافِيَّةِ التَّارِيْخِيَّةِ الَّتِي مَلَأَتْ بِهَا نَفْسَكَ ، لَقَدْ ثَقَتْ التَّارِيْخُ ، وَالْفَلَسْفَهُ ، وَعِلْمُ الْاجْتِيَاعِ ، فَأَوْرَثَكَ ذَلِكَ مَرْوَنَةً فَكْرِيَّةً حَبِّتِ الْبَكَ النَّظَرَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ جَهَاتٍ مُّخْلِفَةً . وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي عَجِيبُ الْفَرَاسَةِ مِلْهُمْ ، صَادِقُ الْحَدِسِ تَقَابُ ، رَقِيقُ الْمُسْلِكِ فَطْنَ ، قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ مِنْ قُوَّةِ التَّحْلِيلِ ، وَكَثْرَةِ الْإِسْتِقْصَاءِ وَالتَّعْلِيلِ مَا جَعَلَكَ نَقَادًا ، نَشَكَ فِي كُلِّ فَكْرَةٍ ، وَتَبَحُّثُ عَنْ نَقَاطِ الْفَضْلَفِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ . وَلَكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ لَا تَنْتَصِبُ لِأَنْسٍ وَلَا تَنْفَرِطُ فِي رَأْيٍ ، وَهَذَا يَا سَيِّدِي تَأْوِيلُ حَيِّ لَكَ ، إِنِّي أَحْبُكَ اشْكَكَ وَتَسَاحِلَكَ وَالْخِلَافَ وَجُوهَ نَظَرِكَ . وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ كَانَ مَرْبِيَّكَ فِي النَّقْدِ وَالْدُّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ فَوْقَ مَرْبِيَّكَ فِي التَّسَامُحِ . وَقَدْ كَانَ لَكَ عَلَيِّ بِالْتَّصَارُكِ لِلْحَقِّ نَعْمَةً أَذَاقَتِنِي طَعْمَ الْعَزِّ ، أَلَمْ تَسْتَقِلْ مِنْ وَظَائِفِ التَّدْرِيسِ احْتِاجَاجًاً عَلَى قَلِيلٍ مِنْ وزَارَةِ الْمَعْرِفَةِ ، أَلَمْ تَرْحُلْ إِلَى الْمَرْأَةِ احْتِاجَاجًاً عَلَى نَعْسَفِ الْمُسْتَشَارِ الْفَرَنْسِيِّ ، أَلَمْ تَجْهِرْ بِالْحَقِّ لَا مَسْخَ اللَّهِ أَخْلَاقُ زَمَانِنَا فَلَمْ يَتَرَكْ فِيهَا مَشَابِهَ مِنَ الْأَخْلَاقِ . إِنَّكَ تُؤْثِرُ أَنْ تَعْبَشَ حَرًّا كَرِيمًا ، وَلَا أَعْلَمُ صَفَةً أَجْمَعَ لِزَانِيَّكَ مِنَ الْعَزَّةِ وَالْكَرَامَةِ . هَذَا يَا سَيِّدِي بَعْضُ مَا بَدَأْتِي أَنْ أَقُولُهُ فِي يَوْمِ دُخُولِكَ جَمِيعَنَا ، فَإِذَا قَسَرْتَ فِي وَصْفِ مِنِّيَّكَ وَتَحْلِيلِ سَجْيَّنِكَ ، فَمَذْرِي أَنِّي أَعْرِفُكَ كَمَا أَعْرِفُ نَفْسِي ، وَمِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْعَاطِفَةِ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ . وَهَبَّنِي اسْتَطَعْتُ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْعَاطِفَةِ وَأَنْ أَقْفَ مِنْكَ وَوَقْفَ الْعَالَمِ مِنَ الشَّيْءِ الْخَارِجِيِّ ، فَإِنِّي لَنْ أَسْتَطِعَ أَنْ أَوْفِيَكَ حَقَّكَ مِنَ الْوَصْفِ فِي خَطَابٍ وَاحِدٍ . وَمَا ذَنَّبَنِي إِذَا أَغْفَلْتَ كَثِيرًا مِنْ صَفَانِكَ هَرَبًا مِنَ الْأَطْلَالِ ، أَوْ صِيَانَةً لِلْقَلْمَنْ منْ رِسمِ مَا لَا حَاجَةَ إِلَى التَّحْدِيثِ بِهِ . إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَهَانَ اسْتَهْنَى ، وَالشَّمْسُ إِذَا نَفَدَ شَمَاعَهَا إِلَى الْعَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً أَعْشَاهَا .

ومن حسن حظي يا صديقي أن يشرفني المجتمع بمقديرك في هذا المساء ،  
فما توخيت من هذا التقديم إلا التعريف بفضلك ، وإنما الإشارة إلى ما ينتحل  
في صدرك من حب العلم والأدب . وإذا كنت قد أنسنت في حديثي عنك  
الكثير من جوانب حياتك الفنية بالفضائل ، فإنه لن يفوتي التذويه بما انطوت  
عليه نفسك من كرم وإباء ، وصدق ووفاء ، وإيمان بالعروبة والإنسانية .

ويسرني الآن أن أقول لك اني متغائل باسقابالك في جمعنا بين عهدين ،  
عهد المجتمع العلمي العربي الذي انتخبته عضوا فيه ، وعهد المجتمع العربي للجمهورية  
العربية المتحدة . في انتقامتك الى مجمنا رجح لنا ، وفي انتقامتنا إلى إخواننا في  
القاهرة لتأليف مجمع واحد رجح لغة العربية ، والقومية العربية ، فأنت آخر  
السابقين وأول اللاحقين ، وكم من تقدم أحرزناه بانتقام اللاحقين الى السابقين  
الخالدين ! وأنا أقترح عليك الآن أن تكتب لنا تاريخاً تضممه كفاح الشعوب  
العربية الحديثة في سبيل استقلالها ووحدتها ، ونضارتها في سبيل انتقامها وثقافتها ،  
لأنك يا صديقي مؤرخ وفيلسوف مما ، أحبيب التاريخ كابن خلدون لملك  
أن التاريخ ، وهو علم العبر ، يذكر الأمم بما فيها وبدعوها إلى الاعتزاز  
بترااثها ، وأحبيب الفلسفة كما أحبها سocrates لملك أن الفلسفة تعرف الإنسان  
بنفسه ، وتكشف له عن حقيقته وغايته .

جميل صليبا

محمود علوان

سادي الأفضل<sup>(١)</sup>

يعجز لساني عن التعبير عن عواطف الشكر والامتنان التي أشعر بها لما أوليتموني من شرف الانساب الى بمحكم الكريم . وبقيوني أنكم تعلمون تقديرني في ميادين الفصاحة والبلاغة وأنكم لذلك سوف تنتظرون الى كلامي هذه بما اشتهر عنكم من اللطف والتسامح .

ولا يساورني أدنى شك في أنكم لا تنتظرون مني بجهاز شاملًا عن الأستاذ الرئيس (محمد كرد علي) ، فقد عاشرتكمه زمناً طويلاً وعرفتكم عنه كل شيء . وقد أباد عضو المجمع المخترم الدكتور سامي الدهان في كلمة الذكرى التي كتبها عن الأستاذ الرئيس فأبدع في تصوير شخصيته الجذابة وتمداد من راياه السامية ووصف حياته الحافلة والاشارة الى آثاره الجليلة . ثم أقدم عميد الأدب في الشام الأستاذ الكبير شفيق جبرى على إلقاء محاضراته عن (محمد كرد علي) يعمد الدراسات العربية العالمية في القاهرة فبلغ متنهن الكمال في الاستقصاء والتحليل . وقد عادت هذه المحاضرات بالذاكرة الى المصر الذي نشأ فيه (محمد كرد علي) وكشفت عن أثر ذلك المصر في تحديد ثقافته ونوجيهه وتفكيره ونقرير منهجه في العمل . واستفاقت المحاضرات في بيان المعارك التي خاضها (محمد كرد علي) في سبيل الاصلاح والتقدم ، فوصفت لنا جهاده العنيف في ميدان الصحافة ودفاعه الجبى عن العرب والإسلام . وقد برهن الأستاذ شفيق جبرى على براعة فائقة في تحليل تأليف (محمد كرد علي) وابراز مخاسنها الكثيرة دون اخفاء عيوبها القليلة ، كما انه لم يستر على نقائض الأستاذ الرئيس وشدة

(١) السادة الذين ألقاهم الدكتور محمد كامل عياد في جلسة استقباله عضواً عاملاً ، مترجمًا فيها صلاته المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

عصبيته وصعوبة مراجعته ، لأن هذه العيوب والنقائص والاندفاعات لا تقلل من الإعجاب بنبوغه وفضله وجهاده .

أيها السادة !

لقد قيل لكم أن تعيشوا مع الأستاذ (محمد كرد علي) فوجدتكم فيه رائداً وقائداً ناضلاً وضحى في سبيل تأسيس المجتمع العلمي العربي ودافع عن كيانه وبذل جهوداً جباراً لتنظيم أعماله واعلاء شأنه .

وقد تقدمتم أشواطاً بعيدة في الطريق التي تهاجها ، وكان لكم الفضل في تحقيق الكثير من الأهداف التي وجهت الأفكار إليها .

وأظن أنكم إنما تكررتم بالتحابي زميلاً لكم في أشتراككم ، بقدر استطاعتي ، في العمل على بلوغ جزء آخر من تلك الأهداف .

هذه المهمة توفرت علي أن أتحدث إليكم عن بعض النواحي من نشاط الأستاذ الرئيس ومباحثاته التي استرعت انتباحي واستطاعت الإللام بها .

عرفت الأستاذ (محمد كرد علي) منذ سنة ١٩١٧ ، عندما كان يحرر في جريدة (الشرق) . ومن المعلوم أن هذه الجريدة كان قد أسسها القائد التركي (جمال باشا) وحشد عدداً من كبار الكتاب للاشتراك في تحريرها مثل الأستاذ (محمد كرد علي) والأمير شكيب أرسلان والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ بدر الدين الفهصاني . وقد اشتغلت فيها ، وأنا تلميذه ، بترجمة الأخبار من الألمانية إلى العربية . وهكذا سفت لي الفرصة لأن أجتاز على الصحافة تحت إشراف الأستاذ (محمد كرد علي) . كما قلت بعد ذلك براصلة جريدة (المقتبس) أثناء دراستي في جامعة برلين بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٨ .

### في غمار الصحافة :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً في الدرجة الأولى . ولا بد لنا من ذكر هذه الحقيقة عند البحث في تفكيره وأعماله وفي الحكم على شخصيته . لقد مارس الصحافة منذ أول شبابه إذ أخذ يكتب المقالات في الجرائد وهو ابن سنت عشرة سنة حسب قوله . ثم تولى ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، تحرير جريدة (الشام) ، وأصل أثناء ذلك بجملة المقاطف ونشر فيها بعض المقالات .

وفي مصر تولى تحرير جريدة (الرأي المصري) ثم جريدة (الظاهر) وكتب في جريدة (المؤيد) المشهورة ، كما أسس مجلة (المقتبس) الشهرية . وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ عاد إلى دمشق ونقل إليها المجلة وأصدر إلى جانبها جريدة يومية باسم ذاته . . رأى الأستاذ (محمد كرد علي) في الصحافة وسيلة فعالة للإصلاح . فانصرف إلى هذه المهنة بكل قواه وسعى جهده إلى رفع مستواها ونجح في ذلك نجاحاً باهراً .

كانت دعوه منذ بادئ الأمر تلخص ، كما يقول ، في « حفظ العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاركة المتنبعة » ، وبث القرائع واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » . (المذكرات ، الجزء الأول صفحه ٦٦) . انه كان يتصور الصحف « كمدارس سيارة تثير الأفكار وتعرف الناس معانى المدينة وتطليمهم على أحوال الأمم ونحوها ، والدول وصيانتها ، وتحمل اليهم بحملات من العلوم والأداب » . (« أقوالنا وأفهانا » ص : ١٧٠) .

وقد أشاد الأستاذ الرئيس بالجهود التي بذلتها الجرائد والمجلات في بلاد الشام لغرس الروح الوطنية في المجتمع ونلقين الشعب ثقية صiamية صالية ،

وقال إنها علمت الجماهير «اصناف المستعمرات وتدليس المدرسین»، وأن أمثلهم كانت شيئاً مذكوراً فيها مضى وأنه لا حياة لا حفادة بدون الأخذ من صيرة الأجداد والاقتباس من المدينة الحديثة كل ما لا ينزع منهم مشخصاتهم ومقدراتهم، وأن لا قيام لأُرْضِهِ إِلَّا بالقومية العربية، وأن نفحة الدين وحدها لا تنجيهم مما هم فيه لأن التساهل بأمور الدنيا يذهب بالدين والدنيا مما، كما علّمهم أن الغرب لا يربد خيراً للشرق وأن الشرق شرق والغرب غرب ٠٠٠» (خطط الشام الجزء : ٤ حـ : ٦٠) .

ألا ان الأستاذ (محمد كرد علي) قد لاحظ أيضاً ما طرأ على الصحافة من فساد واخراف فقال ان هناك صحفاً تضل العقول وتزيد في ظلمة الأفكار وندعوا الى أكثر من مذهب سبامي وتنادل معونات من عدة دول حتى توهم الناس أنها آلة للكسب والتوجيه، لا أدلة للوعظ والإرشاد والتعليم . لذلك كان ينتقد الحكومات لتساهلهما في منع الطفليين امتيازات اصدار الصحف .

### صفات الصحافي :

وكان يشترط في الصحافي أن يكون على علم كثير وخبرة واسعة وأن يتقن لغة أو لغتين من لغات العلم والسياسة وأن يكون من طبقة تحسن استعمال عقلها والاحتفاظ بكرامتها ومن عانى البحث والدرس وتدوين الشرائع وأحاط بشاريع أمه واجتماعها وحياتها الاقتصادية وثوراتها وضيقها وقوتها وأوضاعها وأحزانها ونقاباتها وشركتها .

ويصف الصحافي بأنه «فاض يجدد على الأيام ما يعرض عليه من قضايا وذوقه ضيق ذوقاً سلبياً وقدراً عادلاً وأدبًا غضاً» . ويرى أن الصحافي «صاحب دعوة تفسد بأقل هوى يتبعه وأنه صربي عقول وتفوس ومنشئ أمة وعمان» . ويقول عنه «أنه معلم لا انتهاء لمهمته الا بانتهاء عمره»، وهو منه

تلوّن كلّ ساعة بلون ويطلب من ضاحبها أبداً أن يطلع على قرائه كلّ يوم بجدّد . . هو يجمع إلى عمل القاضي عمل الباحث والى صنعة الفنان صنعة النقاد والى صفة الأديب صفة الاقتصادي والى صرح الأدباء حكمة الحكماء . ويحتاج إلى بديهة ، والى روبية ، والى سرعة ، والى أناة ، يراقب كلّ صاحب سلطة ويدافع عن كلّ مظلوم وينفذ إلى أحشاء كلّ أمر . هو صديق الحكومات وعدوهم وخطيب القوم ولسانهم ومؤرخهم ومؤدّفهم ، بلقى ذوقاً وبلاع عقلاً ويدعو إلى واجب « يردد ما يرضي وما يفصح » لا يكتفى حقاً ولا ينشر إلا عرفاً . (أقوالنا وأفعالنا ص : ١٧٥) .

ألا ينجلب البكم ، أيها السادة ، ان الأستاذ الرئيس عندما كتب هذه العبارات كان كأنما يصف نفسه ؟

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً مثالياً ، مخلصاً لعمله ، شريفاً في مقاصده ، مدركاً لمسؤوليته ، صريحاً في إبداء آرائه . إلا أنه كان ، من جهة ثانية ، عاطفياً يتحمس بسرعة ويندفع بسهولة ويميل إلى الشدة في نقد الفساد والانحراف ومكافحة الشر والضلال . وقد اعترف هو نفسه بأنه كان يغلو في الإنكار على المخربين حتى أصبح ذمهم ملكة مستحكة فيه لا يستطيع الرجوع عنها ، وقال : « لا أنكر أن التيار كان يأخذني أحياناً ويشط بي القلم على غير عادي » . (المذكرات الجزء الأول : صفحة : ٦١٢) إلا انه يستدرك قائلاً : « لكنني لم أجا إلى الطعن الشخصي بأحد » . وهو يعني بذلك انه ، عند مهاجمة الأشخاص الذين يعتقد فسادهم ، لم يكن يذكر أسماءهم . ولكن المقصودين بالقدر كانوا يعرفون أنفسهم ويعرفون الناس .

كان طبيعياً أن يتعرض الأستاذ (محمد كرد علي) بسبب هذا القدر إلى الانتهار وأن يفضله رجال الحكم ويغضبه عليه أعوانهم . إلا أنه من جهة

أخرى نال شهرة واسعة ومكانته صموده في المجتمع لما اتصف به من صراحة في القول وجرأة في النقد وحماسة في سبيل الاصلاح ...

من المؤسف أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد اندهى به الأمر بعد الحرب العالمية الأولى الى كره الصحافة والى إغلاق جريدة (المقتبس) لأسباب سياسية ذكرها في مذكراته . (الجزء الأول صفحة : ٦٣ - ٦٢) .

ومعها كان الأمر فات اشتغال الأستاذ (محمد كرد علي) بالصحافة مدة طويلة قد ترك أثراً بالغاً في طريقة تفكيره وبيشهه : انه أصبح واقعياً ، على صلة وثيقة بشؤون الحياة ومشاكل الناس ، بعيداً عن الأمور الخفالية والمفاهيم المجردة ، يميل في أسلوبه الى الوضوح والسهولة والايجاز . الا ان ممارسة الصحافة قد نجحت عنها صفات أخرى تدعوا الى النقد مثل النسريع وعدم التعمق والتناقض . وقد سعى الأستاذ (محمد كرد علي) الى التحرر من هذه العيوب عندما اصرف أخيراً الى البحث العلمي .

ظل الأستاذ الرئيس ، بعد الحرب العالمية الأولى ، يدعو الى الاصلاح والتقدم والى الأخذ بأسباب القوة واستمر بعمل بنشاط لا مثيل له في المجتمع العربي ، بدور شؤونه وبكتاب المقالات في مجلته وبباقي المحاضرات في قاعته ، كما كان في الوقت نفسه مؤلف الكتب ونشرها .

### أسس الاصلاح :

إن الدعوة الى الاصلاح عند الأستاذ (محمد كرد علي) تتركز على بضعة أسس عامة ، محدودة ، متراقبة بدور بيشهه دوماً حولها في كتبه ومقالاته ومحاضراته وأحاديثه وهي : ١) إحياء تراث العرب وال المسلمين ٢) محاربة الجمود عند المشائخ وتنقية الدين من البدع والفسور ٣) تهذيب الأخلاق والعادات .

٤) اتباع العقل والاهتمام بالأمور العملية ٥) اقتباس كل ما ينفع عن المدنية الغربية الحديثة ٠ ٠ ٠

كان للأستاذ فضل كبير في إحياء التراث العربي - الإسلامي ، فقد قام بتحقيق ونشر عدد من الكتب العربية القديمة في العلم والأدب كما شجع غيره على الاقداء به في هذا . كذلك نشر مختارات نفسية من مؤلفات كبار القدماء عن بشرها وبيان قيمتها . ولا جدال فيفائدة هذا العمل وضرورته . فإنه لا بد لنا في هضتنا الحديثة من الاستناد إلى تقاليدنا التاريخية . الا انه لن يتيسر لنا الأفاده كما ينبغي من ثرائنا القديم الا إذا أقدمنا على دراسة هذا التراث دراسة تحليلية ، انتقادية وتوصلنا إلى تمييز ما هو صالح للحياة من الجامد البالي . ٠

### الإصلاح الديني :

لم يتوقف الأستاذ (محمد كرد علي) منذ نشأته حتى آخر حياته عن مهاجمة الرجالين من رجال الدين ، وقد قال انه لا يبغض المشائخ ب مجرد أنهم مشائخ ، فقد درس على نخبة منهم أمثال الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد المبارك والشيخ سليم البخاري ، الذين أخذ عنهم واستفاد كثيراً من نصائحهم وكان دوماً يشعر نحوهم بالحب والاعجاب والاحترام . الا أنه كان يسيء الظن بالمشائخ على الأجمال ويقتلكثيرين منهم ، وبذلك مظاهر الفساد بينهم . وقد دافع الأستاذ بحماسة زائدة عن حركة الإصلاح التي قام بها رجال الدين الافتاني والشيخ محمد عبده في مصر ثم الشيخ طاهر الجزائري في الشام ، وأشاد بذلك الإمام ابن تيمية الذي يسميه «أعظم مصلح في القرن الثامن وفي قرون كثيرة من قبله ومن بعده » ، والذي أراد ارجاع الدين الى نصرته الأولى وقربته من القشور التي أقصتها به الجهلة المتخلسون » . (خطط الشام جزء ٤ ص ٥٠ ) ويقول عنه في مكان آخر : «لو عممت دعوته ٠ ٠ ٠ ٠ لسلم هذا



الدين من تحرير المخربين على المذهب ، ولما سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضرر يحتمل نشد اليه الحال بما يخالف الشرع ، ولا يعتقد بالكرامات على ما يشكوه دين أتى للتوحيد لا للشرك ، ولسلامة العقول لا للنحال والخيال » . ( كنز الأجداد ، ص : ٣٦٢ ) .

وذهب الأستاذ إلى أن «من أعظم ما دعا إلى الانحطاط المسلمين غرامهم في عصور التدلي بصفة معظم أمور الحياة بصفة دينية» . فهو يريد فصل الشؤون الدينية عن الدين على نحو ما جرى في الغرب .

### اصلاح الأخلاق :

لم تقصر حملات الأستاذ (محمد كرد علي) على المفسدين من رجال الدين ، بل انه أطلق العنان لقلبه في نقد الفئات الأخرى من الأمة أيضاً . وقد أفرق في وصف ظاهر التأثر والانحطاط والتفسخ والانحراف بين سلوك كثيرين من الأشخاص الذين عاشرهم أو سمع عنهم . هكذا نراه في آخر الجزء السادس من (الخطط) بمقد فصلاً طويلاً بعنوان «رأي في الأخلاق الشامية» يرسم فيه صورة مظلمة عن طبقات المجتمع كافة . وفي كتابه (أقوالنا وأفعالنا) ، ثم في (المذكرات) يروي حوادث لا تُحصي عن فساد أخلاق الناس في هذا العصر ويشكو من انتشار الكذب والنفاق والحسد والغفور والمكر . وهو يعتقد أن السكوت عن الموجب عيب كبير وأنه لا سبيل إلى المنهضة قبل تقويم الأخلاق .

على أن الكثيرين من الذين أبدوا دعوة الأستاذ الرئيس إلى تهذيب الأخلاق والعادات قد صادرتهم الشكوك في جدوى طريقته في الإصلاح القائمة على التشريع السافر والنقد اللاذع والتقرير العنيف . بل إن بعض الباحثين يؤكدون أن أساليب الوعظ والإرشاد ، مما اختلف مظهرها ، لا تؤدي وحدها إلى إصلاح الفساد الأخلاقي ، ويقول هؤلاء أن أخلاق الأفراد إنما تعكس



أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وانه لا يمكن لذلك تبدل هذه الاعمال إلا بتغيير تلك الأوضاع .

وقد أهل الأستاذ ( محمد كرد علي ) العلاقة بين الاعمال وبين العوامل الاقتصادية والاجتماعية . لذلك لا غرابة اذا رأيناه ينسدل في آخر الأصري الشاوم واليأس فيصرخ في أول كتابه ( أقوالنا وأفعالنا ) قائلاً :

«ليقل علماء الدين ما يقولون » وليقرر علماء النفس ما يقررون ، وليكدر علماء الاعمال ما يكررون ، فأنا أكره الشر ولا أقصد الان الى مداواة صاحبه وأعشق المدل ولا أغضي عنده عموده ، وأرغب في النظم السليمة ولا أغالط النفس في استصلاح الفاسد . . . ومن يقل للصالح استعداده ، أنت لا تخلق ما حرمته الفطرة إيه ، ولو جهدت كل جهتك » . ثم أضاف يقول : «وطال الأمد على هذه الدعوة وانقضى العمر في أمل لم يتحقق منه بعض ما كان يرجي وصرفت في هذه السبيل جهود لم يسترد منها عشرها ، فهل من مطبع بعد هذا في أن نجعل من جذع باب نفسي نغيرها ، ومن جسم ميت كائنا حيا؟ » .

ولئن رأينا الأستاذ يقول في ختام هذا البحث : « ولقد كنت ، كلامي مبني على النفس ، بأن الخير سيكون في الجيل الذي يحيي ، بعد الذي أنا أشكوا منه ، أرى الزمان هو الزمان ، والناس هم الناس ، وإذا البناء بنشأون على ضرار الآباء ، وإذا اللوم والحسد والدناه عسيرة العلاج . . . » - ، لئن رأينا الأستاذ يقول ذلك فلا يسعنا إلا أن نخالفه وندعى بأن الإصلاح ليس مستحيلاً ، وإن كان عسيراً حقاً وأن الأجيال التي تماقت في الفترة الأخيرة قد ازدادت تقرباً من الخير وأن مواعظ الأستاذ ( محمد كرد علي ) وارشاداته نفسها قد كان لها بعض الفضل في ذلك إلى جانب المؤثرات الأخرى .

### التزعع المقلية :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) ، على الرغم من طبيعته العاطفية ، الانفعالية يؤمن بالعقل ويدعو إلى سيطرته في حياة الفرد ونظام المجتمع . وقد جاء في كتبه بشهادة كثيرة من التاريخ تدل على أصالة هذه التزعع بين كبار المفكرين العرب وال المسلمين الذين كان يربد الافتداء بهم . فنراه مثلاً يقول عن الجاحظ انه «العلم الأول» يعلم الناس أن لا يؤمنوا بشيء إلا إذا صرخ في نظام العقل ويربدهم على أن تدق ملاحظتهم ويرهف حسهم ، يعلم حرية النظر والبحث ولسان حاله : ان الدين لا يصلح بغير الدنيا وإن الشريعة جاءت لإصلاح الأولى والأخرى » . (أراء البيان جزء ٢ ص ٤٢٩) .

والسبب في اعجاب الأستاذ بالمدنية الغربية الحديثة يرجع إلى اعتقاده بأنها قائمة على العقل والعلم . وفي رأيه أنها تجلب المدنية ، قبل كل شيء ، في السيطرة على الطبيعة وفي التقدم المادي . وقد قال : «الماديات هي السالم المؤصل إلى بلوغ القوة ، وأي معنويات لمن تفرد من المادة ؟» (أفوان وأفعالنا ، ص ٣١٢) . انه كان في كل المناسبات يطالب بتوسيع الاهتمام إلى الأمور المادية العملية المقيدة ، والابتعاد عن الخيالات والأوهام . وكان يحارب المشتغلين بالمسائل الروحية والفيبية . واليمكن ما كتبه في الجزء الرابع من المذكرات (صفحة ١٠٤٤) بعنوان «كتب الخيالات» ، قال :

«في العهد الأخير انصرف هم بعض من يشتغلون بالفلسفة والآطهارات من رجال الجامعات العربية إلى نشر بعض كتب قدماء الفلاسفة والمنصوفة . وكانت بعض النفوس تنشوف لاؤقوف علوجهها ، يتخيلون أن فيها أمراً لا ظهرت لكشفه من نواميس الطبيعة ما تقدم به الإنسانية وتتصفي الأرواح من كفافتها وينجو البشر من القتل والتزوير والسرقة والكذب والظلم . ولما ظهرت أسفار المتصوفة

في حلتها الجديدة من العناية تجلِّي الأَنْظَارُ أَنْهَا تَافِهَةٌ إِلَّا مِنَ الْعَبْثِ الَّذِي أَحَبَّ  
بِشَّهِ عُشَاقِ الْفَرَائِبِ وَالْمَوْلَوْنَ بِالْجَمْوَلَاتِ عَلَى الْأَيَّامِ، فَضَاعَتْ فِيهَا أَعْمَارُهُمْ وَأَخْدَاعُوا  
أَعْمَارَ مَنْ اشْتَغَلُوا بِهَا».

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) لا يميل الى الفلسفة ولا يستطيع البحث في مشاكلها ، ويبدو أنه قد نأثر بالاتجاهات الفكرية التي كانت قائمة لدى الغربيين في أواخر القرن التاسع عشر والتي كان معظمها ينكر للفلسفة والعلميات ولا يعترف إلا بالعلوم المادية . . .

## الدعوة الى الاقتباس من الغرب :

ظل الأستاذ (محمد كرد علي) في جميع أدوار حياته يدعو إلى الاقتباس عن المدنية الفريدة الحديثة . نلاحظ اندفاعه وراء هذه الدعوة بوجه خاص في كتاب «غرائب الغرب» الذي يعتبر من أحسن مؤلفاته .

تكلم الأستاذ الرئيس في هذا الكتاب عن رحلاته الثلاث إلى مختلف  
البلاد الأوروبية ، وعلى الأخص فرنسا وسويسرا والأندلس في سنة ١٩٠٩  
ثم سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢١ . ولم يقتصر على وصف مشاهداته الذاتية ، بل  
أضاف إلى ذلك كثيراً من المعلومات التي نقلها من الكتب أو الأشخاص المارفين .  
وقد يَبْيَنُ في مذكرةه (الجزء الأول صفحة ١٨٤) أنه ما كان بدخل بلدة  
قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتاباً حق يستفيد من زيارتها استفادة  
حقيقية . لذلك استطاع أن يتكلّم باهتمام عن مختلف مظاهر الطبيعة والحياة  
البشرية في البلاد التي زارها ، على الرغم من أن مدة الإقامة فيها كانت قصيرة .  
فأطول فترة ، وهي التي قضتها في باريس ، لم تزد على الشهرين خلال الرحلة  
الأولى ثم على الشهر الواحد في سنة ١٩٢١ .

كتاب الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته يقول : « كانت الغاية من رحلاتي تجديد ما برأ من قوائي ونرويض الجسم وتسلية الروح والغرض إلى مدينة الغرب ودرصها في أرضها درسًا عمليًّا ». ولا شك في أن الرغبة في الدرس والاطلاع كانت من أقوى الدوافع ، كما أشار إلى ذلك أيضًا في الفصل الأول من كتاب « غرائب الغرب » ، إذ قال : « كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرجل إلى أوروبا رحلة علمية أفضى فيها رديم من الدهر التوفير على دراسة حضارة الغرب في منبعها واستطلاع طعم الماء الذي منها نشأ المخزون والمكتشفون وال فلاسفه المنزهون والعلماء والعامليون والسامة المستعمرون والقادة والغازوون والتجار والصناع والزراع والماليون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيOLAها » .

وكان الغاية من رحلته الثانية سنة ١٩١٣ هي ، على التخصيص ، زيارة مكتبة المستشرق الطلياني الأمير (قياتاني) للبحث في المخطوطات التاريخية العربية التي اشتهرت بها في العالم أجمع ، وقد استغرقت هذه الزيارة مدة شهر جمع الأستاذ (محمد كرد علي) خلاها مادة غنية لكتاب « خطط الشام » الذي كان يذكر دومًا في تأليفه ويستعمل له منذ سنوات .

صور لنا الأستاذ الرئيس في كتاب « غرائب الغرب » مظاهر الحضارة الأوروبيَّة التي تركت أعمق الإثارة في نفسه . وقد أخذته الدهشة في الدرجة الأولى لمشاهدته (باريس) ، فأرسل إليها تحية حارة تفصح عما كان يشعر به من إعجاب وتقدير . وتتضمن هذه التحية (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ٤٨ - ٤٩) المبادئ العامة التي كان يؤمن بها . فنراه يسمى (باريس) « معلمة العالم كيف يمكن الخلاص من الظالمين » ويقول إنها « هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والذوق وفائدة العلم والمعلم » ، وانه « انبعث



منها تمجيد العقل ، بل تأليهه » ، ثم يخاطبها بقوله : « يا واعنة حقوق الإنسان والداعية إلى ذل عروش الجبارين والطربين . . . يا ملقة أخلق معنى الإخاء والحرية والمساواة ليقعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع » . لا بد أن تستولي الدهشة علينا ، نحن بدورنا ، عندما نقرأ اليوم هذه التوجة . هل يمكن أن توصف (باريس) حقاً بأنها « صرخة الحكمة وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ومحية المدينة الأصلية في الأفطار الغربية والشرقية » ؟ لا نعتقد أن الأستاذ الرئيس نفسه كان في السنوات الأخيرة من حياته يرضي باطلاق هذه الصفات على عاصمة الفرنسيين بعد أن تكشفت حقيقتها وافتضح زيفها وتفسخها . ولكن في الوقت الذي كتبت فيه تلك العبارات ، أي قبل الحرب العالمية الأولى ، كان أكثر الناس ما زالوا يؤمنون بمبادىء الثورة الفرنسية ويحسنونظن بفرنسا وينتظرون انبعاث النور من باريس . ولا ننسى أن مبادىء الثورة الفرنسية كانت منبعاً هاماً ل معظم المفكرين والمصلحين والكتاب العرب في القرن الناسع عشر . على أن الأستاذ (محمد كرد علي) قام بعد انتهاء رحلته الأولى فألقى خطاباً في المنتدى الأدبي باستانبول قال فيه انه أثناء إقامته في (باريس) سمع محاضرات وخطب لم ير في أكثرها إلا تعصباً على الشرق وغطرساً لحقوقه . وذكر ، على وجه التخصيص ، محاضرتين : الأولى لعالم أثري كان قد عاد من الشقق في تركستان الصينية وادعى بأن التمصب انتشر هناك بانتشار الإسلام في القرن الحادي عشر وأنى على الآثار بحملتها . وبعلق الأستاذ (محمد كرد علي) على المحاضرة بقوله : إن جسمه قد تکهرب بها وتأثرت عواطفه لانه سمع مهانة أمته بأذنيه . والمحاضرة الثانية ألقاها السيد (تارديبو) ، وهو من كبار السياسيين الفرنسيين ، على طلاب مدرسة اللغات الشرقية الحية فبحث في نشأة الامتيازات الإنجنبية وعلاقة فرنسا بالشرق ، وأشار إلى أن فرنسا في كل دور من أدوارها استخدمت الدولة العثمانية لمقاصدها وأنها



لا تنصر كل حين في بتر عضو من أعضاء هذه الدولة حتى ثُمَّ تموت وتقفي . وقد لاحظ الأستاذ (محمد كرد علي) بأن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح صراحةً من خلال المخاضرة ثم صرخ فائلاً : « فيها إخواني » أيسمع عيني هذا الكلام ولا تخجش نفسه بالبكاء ولا تذوب كدأ وحسرة ولا تسود الدنيا في عينيه ؟ » ، (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ١٥٩) .

لم يكن الأستاذ الرئيس يجهل الأخطار التي تهددنا من الاستعمار الغربي وكان يذهب إلى أننا لا نستطيع حفظ كياننا إلا إذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلونا به ، أي سيف العلم . ثم كان يقول : « لا يكفي أن نذكر مجدنا القديم ونورد الشواهد على أيامنا الغر المتجولة في تاريخ المدينة الصغيرة ، فخضارة الغرب اليوم لا تبقي على ضعيف . لذلك يقتضي علينا أن نأخذ من تلك المدينة الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعنا لقيام مجتمعنا » . (غرائب الغرب ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٨ - ١٥٩) .

وقد وصف الأستاذ (محمد كرد علي) آثار الحضارة الغربية في التنظيم السياسي والاجتماعي وفي الصناعة والزراعة والتجارة ، واهتم على الأخص بمعاهد التربية والتعليم والكتبات العامة والجامع العلية . ونراه في كل مناسبة يضرب الأمثلة على عنادية الأوروبيين بالعلوم والفنون والأداب ، وعلى حجمهم للعمل وعلى تضامنهم والتعاون بين حكوماتهم وشعوبهم عسى أن يكون في ذلك عبرة لبني قومه وقدوة يحيى ذونها .

فالأستاذ (محمد كرد علي) إنما كتب (غرائب الغرب) ليستنهض المهم وي诱导 إلى الإصلاح . وهذا ما ي الحال افتقاره على وصف النواحي الجميلة من الحضارة الغربية والإشادة بظهورها وتفوقها . وهو بذلك لنا أن بعض أصحابه قد لامه على ذلك وأنه قد رد عليه بقوله : « إنني كنت أريد أن أعرف قوبي بالمحسنتات بنسبعون على منوالها وما كنت أطمع في أن أشغل الأذهان

بأمر لا يخلو منها بلد النجف أو أرتق ، وعندنا مما ياثلها ما لا ينفع تدوينه ونخمر خجلاً من ذكره . ومن العدل أن بقال إننا بقدر ما نرى في المدينة الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ، والفضائل تربو على غيرها كثيراً . فالأمثل بقولنا أن يقتبسوا الخير ويغسلوا الطرف عن الشر » . (أفوانا وأفمالنا ، صفحه ١١٢ ) .

### آراء الأستاذ كرد علي السياسية :

كان الأستاذ (كرد علي) يدعو العرب والمسلمين إلى الاقتباس عن الحضارة الحديثة لاعتقاده بأن ذلك هو السبيل إلى القوة والتي استمدت المجد القديم . وجرى الأستاذ لا يفصل أبداً بين العرب والإسلام ، وبشكله في كثير من الأحيان عن الوطنية والقومية العربية . وقد اشتغل بالصحافة مدة طويلة وعالج الشؤون العامة وتولى منصب الوزارة أكثر من مرة . فما هي آراؤه السياسية ؟ كيف كان يتصور مستقبل بلاده ؟ وما هي الوسائل وأساليب العمل التي كان يعتقد بأنها صالحة لتحقيق الأهداف القومية ؟

من المؤكد أن آراء الأستاذ الرئيس السياسية قد تطورت مع مجري الحوادث وأختلاف الظروف وتقلب الأوضاع . وهذا أمر طبيعي . ولا شك في أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان ، منذ أول نشأته ، على يقين من فساد الحكم التركي وتدحرج الدولة المئانية . وهو ربما يكون بعد الانقلاب المئاني صفة ١٩٠٨ قد اعتقاد مع الكثيرين من أبناء جيله بأن الدولة المئانية يمكن إصلاحها وبقاوها . ولكن لم تنتهي فترة من الزمن حتى أدرك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي الحاكم سوف تؤدي إلى انهيار الدولة وتفطيع أوصالها ، وقد انضم إلى حزب الحرية والائتلاف المعارض الذي كان يجاهر بضرورة احترام حقوق الناصير غير التركية في الدولة ، وعلى الأخص العرب . وزراه بعد رحلته الثانية إلى

الغرب يلقي خطاباً جديداً في المنتدى الأدبي في شهر شباط من سنة ١٩١٤ بدعوة فيه الطلاب العرب إلى التشكّل بقوميّتهم . قال : «إذا لا نحي إلا بقوهينا على نحو ما كان أجدادنا أمس وحال أمم الحضارة الحدبة اليوم . ولكن هذا اللفظ الجميل - لفظ القوميّة - لا يطابق معناه مبناه إلا بالتجاذب جميع أسبابه على نحو ما يعمل المجر والبولنديون . . . وما يجري من منافسة محمودة بين الفالونيين والفالامندوبين في البلجيكي والألمانيين والفرنساويين في سويسرا» . (غرائب الغرب ، الجزء الأول ، ص ٢٢٩) فالأستاذ (محمد كرديلي) لم يكن يقصد بالقومية مفهومها السياسي ، بل أراد بها أن تتساوى مختلف الشعوب في الحقوق ويختفظ كل منها بلغته وفقاً لـده ضمن الدولة العثمانية . ومن الواضح أن هذا الرأي في القومية كان يتعارض مع المفهوم الذي أخذ ينبلور إذ ذاك لدى العرب والذي يتضمن ، قبل كل شيء ، الانفصال عن الدولة العثمانية وتوحيد الأقطار العربية في دولة مستقلة .

نشأ الأستاذ (محمد كرديلي) في عهد انتشار الدعوة إلى الجامعة الإسلاميّة وتأثر بأراء المدافعين عن هذه الجامعة . ولكن تفكيره الواقعي منعه من الاندفاع وراء الدعوة ، فكتب يقول : «إلى عهد قريب كان بعض التجمّسين يدعون إلى الجامعة الإسلاميّة بدون أن يهدوا لها عذراً ، وبعلقون على تأليفها أعظم الآمال . ولقد كنت ، كما سمعت هذه النسخة استبعد تحقيق الامنية . ولذا لم أكتب في هذه الجامعة سطراً واحداً بالتعديل ولا بالتجريح . وكيف ، لعمري ، تتحقق الجامعة الإسلاميّة والمسلمون تحت سلطان دول متعددة مشتتون في ثلات فارات ، تتباعد أصقاعهم لوفاً من الأيمال ولا يكادون يتفاهمون إذا اجتمعوا؟ .» (أفواننا وأفمالنا ، صفحة ٣٣٥ - ٣٣٦) . إنه كان يعني قيام جامعة إسلامية في شكل من الأشكال ، ولكنه يريد في

باديء الأمر التهديد بذلك بالدعوة إلى التعارف والتآلف وتنمية الروابط المعنوية والصلات الروحية بين المسلمين.

ولم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) يرى أي تماض بين الإسلام والقومية العربية. فالإسلام، حسب تعبيره، «هو الذي جمع شمل العرب بعد تشتتهم وأخى بينهم مؤاخاة ما عهدوها وهذب نقوسهم حتى صلص قيادهم بعد شبابهم»، وثقفهم ثقافة أفادوا بها . . . وهو الذي جعل في الغرب خاصة في أخلاقها ساقتها إلى العمل الصالح فوحد بين مقاصدها ووجهها إلى هدف واحد». (الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول صفحة ١٣٥ - ١٣٧). ولكن لا بد من الملاحظة بأن الفكرة الإسلامية عند الأستاذ (محمد كرد علي) كانت مجرد كل التجدد عن التعصب ولا تسمح أبداً بالتفريق بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان. واختلاف الدين، في رأيه، لا يتنافى مع الرابطة الوطنية والقومية.

كذلك فإن التباين في أنظمة الحكم ومستوى الحضارة والتطور الاجتماعي لا ينبع من فيام الوحدة القومية بين أقطار عديدة إذا جمعت بينها ذكريات التاريخ ووحدة اللغة والمصالح والأهداف. وفي حدث من إذاعة القدس سنة ١٩٤٤ اعتبر الأستاذ (محمد كرد علي) تأسيس جامعة الدول العربية خطوة كبيرة في طريق الوحدة العربية. فذكر أن هذه الوحدة كانت أمنية العرب منذ عشرات السنين وإن بعضهم كان يعدها حلم من الأحلام ووهم ان تتحقق الآيات والأيام ولكن تبين أن ليس في السياسة المستعجل وأن الأمور مرهونة بأوقاتها». ثم قال: «وعلينا، معاشر العرب، أن ندعوا إلى هذه الأمنية بالطرق العلمية نورد أن لا يعرفنا صفحات من ماضينا وحاضرنا ليكون لنا من شعوب أوروبا وأميركا نفسها أنساد يوافقونا على إقام رغائبنا التي هي رغائب البشرية». (أقولنا وأفعالنا، صفحة ٣٤٤).



من هذه الأقوال يتبين لنا أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان من أنصار الجامعية الإسلامية كرابطة روحية وأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية كفكرة قومية مدفوعاً بعاطفة الحب للعرب والإسلام دون أن يتعرض إلى النضال السياسي – الشهي ، لأنه كان دوماً يرحب في الانصراف إلى الحياة الفكرية . وقد اعتقد أن أفضل وسيلة يخدم بها بلاده هي العمل على نشر المعرفة وتقديم العلوم والآداب . فاتجاه بكل قواه إلى العناية باللغة العربية وأدابها وإلى البحث في تاريخ العرب والإسلام وعلى الأخص تاريخ بلاد الشام ، وكان يؤمن بأنّ نهضة العرب وال المسلمين تتوقف على دراسة تاريخهم وأحياء تراثهم .

ليس من شأني أن أتكلّم عن مؤلفات الأستاذ الرئيس في آداب اللغة العربية مثل مختاراته في كتاب «رسائل البلفاء» أو دراساته في كتاب «أسراء البيان» . إنما لا بد لي من الإشارة بتأثير هذين الكتابين في تعميق الذوق الأدبي وتهذيب أساليب الكتابة لدى الناشئة العربية في هذا المصر .

إنني سوف أقتصر على استعراض دراسات الأستاذ التاريخية ، ولا سيما كتاب «خطط الشام» ثم كتاب «الإسلام والحضارة العربية» .

### تاريخ الشام :

يتألف كتاب «خطط الشام» من ستة أجزاء ، وهو عبارة عن موسوعة أو دائرة معارف تحيط بكل الأخبار عن تاريخ الديار الشامية وحضارتها من أقدم المصوّر حتى سنة ١٩٢٥ .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد نشر في سنة ١٨٩٩ في مجلة المقاطف تسعة مقالات عن (عمان دمشق) صادفت استحساناً لدى القراء ، فدفعه ذلك إلى التفكير في أن يتوضّع في هذا البحث وأن يكتب عن عمان الشام كلّه . ومنذ ذلك الوقت أخذ بتصفح كل ما ظفر به من المخطوطات والمطبوعات باللغات



العربية والتركية والفرنسية . وكان يقصد دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر و Constantinople للتفتيش عن مصادر جديدة . ولهذه الغاية في الدرجة الأولى قام برحلاته الثلاث إلى البلاد الأوروبية وزار المكتبات المشهورة فيها .

على أن الاستاذ كان كلاً أشكناً من المطالعة تجلّى أمامه صعوبة العمل . وقد ظل مدة من الزمن مختاراً في كيفية ترتيب الموضوع : هل يجعل التاريخ السياسي حسب السنين أم حسب الدول ، وهل يتكلّم على القطر عامة أم على كلّ أقليم باقيمه ، ثم لما انتهى في سنة ١٩٢٥ من التأليف ، بالطاج من أصدقائه ، تردد في طبع الكتاب . وهو يقول في ذلك : « ولقد وددت ، لما تيسر وضع خطة الشام على هذه الصورة ، لو صاغ لي أن أصبر عليه زمناً آخر حتى يتم التحقيق فيه على ما يجب ، ولكن رأيت ، بعد طول التأمل ، أن من الحزم الاكتفاء بما تهاباً في هذه السنين ، والتحخيص بجزء لا صالح له ، فأبزته . . . وأنا موقن بأن فوق ما طالعت وبجئت غابات لم يكن في الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى أن يقوم غيري بعدي فيما هذه الخطوط التي رسّمها من بناء كتاب الخطط ويصلح بما يتوفّر له من المواد ما رأيا وفدت فيه من الغلط والشطط » . ( مقدمة الخطط : صفحة ٩ ) .

وقد اضطر الاستاذ إلى الاكتفاء بخلاصة قصيرة عن تاريخ الشام القديم لا تزيد على ( ١٨ ) صفحة وقال : « كنت أحب التوسيع أكثر من ذلك لولا الخوف من الوقوع في نقل ما لم يتحقق الباحثون عليه . والتعرض لمجهولات يؤدي إلى سقوط في غلطات أو خيالات أو حكایات متناقضات . ولهل عنابة علماء العاديات في عصرنا توصلهم إلى اكتشاف ما كان يجهولاً من تاريخ هذه الديار كلاماً أو غلواً في حفرياتهم » . ( خطط الشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٤ ) ثم هو يعرف بأن الكلام جاء نافقاً في بعض الأدوار المتأخرة وأن بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدنية الشام لم تكشف له . ( انظر : الخطط ،

الجزء الأول صنعة ٢) ولما رأى الأستاذ أن وصف المطور الحديث للزراعة والتجارة والصناعة في بلاد الشام يتوجه إلى دراسة اختصاصية لم يتردد في الاستعانة بالاختصاصيين من أصدقائه فطلب منهم كتابة بعض الفصول أو تزويده بالمعلومات الفنية.

إن الأستاذ الرئيس لم يذكر الصعوبات التي اعترضت طريقه ونقاط الضعف البارزة في كتابه على سبيل المباهة واصطدام التواضع، بل بدافع الأخلاص للعلم وحبًا في الإصلاح . فهو يعرف أن مهنة المؤرخ في هذا العصر قد أصبحت عسيرة جدًا لأنها يتوجه إلى الاستعانة بكثير من العلوم ، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة بالإضافة إلى دراسة الوثائق والكتابات والنقود والخ . وكان لذلك يرى ضرورة التعاون بين الاختصاصيين عند كتابة التاريخ العام . كما أنه لم يكن يجهل العوامل التي تدفع المؤرخين إلى الانتحيز والتغصب والمبالفة والتحريف .

ولكنه كان يعتقد بأن واجب المؤرخ هو أن يتحرر من تأثير الأهواء السياسية والدينية فيسعى إلى معرفة الواقع ويسقط لأمته حقائق ماضيها وحاضرها ويقفها على جملة أمر المحسن والمسيء ويروض قلبه على قبول الحق . وفي الواقع كان الأستاذ الرئيس يكره الثقة ويحب الصراحة . وقد ذكر قول بعض الفقهاء «ونسكت عما شجر بينهم ، أي بين الصحابة» فوصفه بأنه «كلام من لا أرب له في غير العافية» وأضاف قائلاً ، « ولو شأيتم على هذا الرأي لا خلتنا طريق المدى في قيام أمرنا » . (أقوانا وأفعالنا ، صفحة ٢٣٥) . كذلك فإن الأستاذ قد هاجم ابن خلدون لأنه نهى عن الخوض في موضوع الخلاف بين الصحابة ولا سيما بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فقال : «نزع ابن خلدون ثوب المؤرخ وليس ثوب الواقع الفصاصل أو هو يريد أن



بتأدب أدب السياسي المذهب مع الجماعة لا بقول اصحاب الأمر ما يزعمه فيرغى بالحالة الحاضرة على علاتها ويحاول أن يكتم أفواه الرعية لأنها إذا قالت فعلت ، وما حسب حساباً للأهواء البشرية والمطامع الدنيوية ، فكانُهم ما أخطأوا في نظره و كانوا يزعمون أنهم لا دخل لأرادتهم التي خلقها الله لهم فيها قضوا وأمضوا ٠٠٠ ) (كتوز الأجداد ، صفحه ٣٩٤) أعتقد أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد ظلم ابن خلدون واتهمه بما هو بريء منه ، ولكن كلامه يساعدنا على معرفة نظرته إلى التاريخ ويستحق أن نشير إليه . وقد تعرض الأستاذ نفسه إلى سياسة الخلفاء الراشدين وإلى الخلاف بين علي ومعاوية فكيف عالج هو الموضوع ؟ قال الأستاذ الرئيس في كتابه « الإسلام والحضارة العربية » (الجزء الثاني صفحه ٣٨٦) : « ٠٠٠ وبعد فان الخلفاء الراشدين قاموا بخلافة النبوة على أكمل وجه يمكن ، واذا لاحظنا اليوم أنه وقع من بعضهم شيء فهو منهم محض اجتهاد ، والمحظى يصيب ويختفي ، والسياسة صحبة المراس على كل الناس ، وما كان للبشر أن تنجي ، أعمالهم تامة من كل الوجوه ٠٠٠ » فهل يختلف هذا الرأي كثيراً عن رأي ابن خلدون ؟

ثم ان الأستاذ قد نشر في آخر مجلد السادس من « خطط الشام » الملاحظات التي أبدتها بعض الناقدين على كتابه ، وبين هؤلاء الأمير شكيب أرسلان والأستاذ عارف النكدي ، اللذان انتهيا بالتعصب لبني أمية .

وفي الحقيقة دافع الأستاذ (محمد كرد علي) عن إسناد الخلافة إلى يزيد ابن معاوية ، كما انه وقف إلى جانب الأمويين في نزاعهم مع العلوبيين . ولكن لا يكتمل الدليل بأن الأستاذ قد اندفع هنا مع عواطفه وتأثير « بالمرة الشامية » . فهو قد بحث الموضوع كما يجب أن يبعشه كل مؤرخ : انه قد ذكر جميع الروايات المنقولة والآراء المتضاربة وسعى إلى الكشف عن

أسباب الواقع ولم يصدر حكمه إلا بعد مناقشة الموضوع من كل الوجوه ، وبذلك كان خلاصاً للنظرية الموضوعية العلمية . وما يسترعي النظر أنه قد اتفق مع ابن خلدون في تعليله لِقدام معاویة على إثمار ابنه يزید بولایة العهد دون سواء ، إذ قال إن السبب في ذلك هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس على بني أمیة أصحاب أفوی عصبية في قريش . (الخطط ،الجزء الاول ،صفحة ١٤١) .

أما موقفه من الخلاف بين الأمويين والعلويين فيتفق أيضاً مع النظرية العلمية في التاريخ . يقول الاستاذ : «ان الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلوبيين ما يزال يقوى ويضعف ، وما هو الا خلاف سيامي نشأ من النزاع على الملك وليس من الدين في شيء . فليس إذاً من العقل أن تسلسل هذه الأحقاد في الأمة وتتفرق شيئاً وتظهر بظهور التهاب والتشييع . . .» ثم يزید رأيه وضوحاً إذ يقول : «إن مسألة الخلاف بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن وكان لكل منها اجتهاده ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا يجب أن ندرسها بانصاف . . . فالامة يجب عليها أن تعرف مواطن الضعف والقوة من جسمها وتكشف حقائق ماضيها لأنها ابنة حوادث ماضية ، والواجب في البحث أن لا بشير في التفاصيل أحقاداً . . .» (الخطط ،الجزء الاول ،صفحة ١٦٦) .

يتبيّن لنا من ذلك أن الاستاذ الرئيس لم يقتصر في كتاب «خطط الشام» على جمع الكثير من الأخبار والمعلومات المتعلقة بتاريخ هذا القطر وتطوره الحديث والتي كانت مبعثرة في مئات المراجع القديمة والحديثة ، بل أقدم أيضاً على تحليل بعض الحوادث الهامة واستخلاص العبر منها . فهو إنما انصرف إلى البحث التاريخي لإيجاده بأن نهضتنا في الحاضر والمستقبل تتوقف على معرفة الماضي معرفة صحيحة والاستفادة من تجاربه .

### الدفاع عن العرب والإسلام :

يروي الأستاذ (محمد كردي) في مقدمة كتابه «الإسلام والحضارة العربية» ثم في «المذكرات» (الجزء الأول ، صفحه ٣١٦) انه عندما دعى الى مؤتمر المستشرقين في (ليدن) سنة ١٩٣١ ، اقترح عليه أعضاء مجتمعهم المترمّن أن يوجه الانظار إلى ما يبيده بعض المؤلفين في الغرب من تحامل على الإسلام والعرب ومن طعن بتأريخهم وحضارتهم . وقد عدل الأستاذ بعد ذلك عن السفر ولكن موضوع الرد على خصوم العرب والإسلام كان قد انتهى فواده فانقطع إلى دراسته وتشعبت به مسالك البحث فلم يقف عند مناقشة هؤلاء الخصوم ونقض أقوالهم ، بل أتبع ذلك بوصف مدينة العرب المديدة للإسلام بانبعاثها وحسناتها ، فتكلم عن تمثيل العرب للحضارة وعن ابتعاثهم بالعلوم والأدب والفنون وعن انتشار لغتهم وقارن بين حالة العرب وحالة الغرب في القرون الوسطى وكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا وعقد فصولاً خاصة لمدينة العرب في الأندلس وصقلية وبحث في الحروب الصليبية وفي غزوات المغول والأتراك ثم في غارات المستعمرات الفرنسية على البلاد الإسلامية . وقد جمع هذه المباحث في الجزء الأول من كتابه «الإسلام والحضارة العربية» ، أما في الجزء الثاني الذي يوّل وحده مجلداً ضخماً فقد ألقى الأستاذ نظرة اجمالية على العلوم والمذاهب عند المسلمين ثم استرسل في الكلام على الإدراة والسياسة في الإسلام . ان الكثيرين من الذين طالعوا كتاب «الإسلام والحضارة العربية» قد أبدوا رأي الأمير شكيّب أرسلان في أنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كردي) وأنه كفى الناس مؤونة نشدان الأدلة من هنا وهناك لارد على المغالطين والمكابرین والتجاهلين . ولا غرابة في ذلك ، فقد صاغ الأستاذ في تأليفه ثلاثة صنفين يحمل على التوالي وبجهة ورجع إلى أكثر من خمسين مصنف جمع مواده .



ويمكن القول انه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها من الأخبار المتعلقة بأصوليـة الإـدـارـة والـسـيـاسـة عند خـلـفـاء الـمـسـلـمـين وـمـلـوكـهم . كذلك استقصى الأـصـنـادـ المـسـائـلـ التي يـرـدـدهـاـ خـصـومـ الـعـربـ وـالـإـسـلـامـ وـكـشـفـ عـنـ الـعـوـاـمـ التي تـدـفعـ بـعـضـ الـمـسـتـشـرـقـينـ إـلـىـ تـشـويـهـ الـوقـائـعـ وـمـخـالـفةـ الـحـقـائـقـ منـ نـعـصـبـ دـينـيـ وـطـعـمـ اـسـتـهـارـيـ وـأـوـهـامـ مـورـوثـةـ وـجـهـلـ مـقـصـودـ وـقـدـ جـاءـ بـشـواـهدـ كـثـيرـةـ مـنـ مـؤـلـفـاتـ الـفـريـبيـنـ الـذـيـنـ أـنـصـفـواـ الـإـسـلـامـ وـالـعـربـ وـفـيـ مـقـدـمـتـهـمـ (ـغـوـسـتـافـ لـوـبـونـ) لـتـفـنـيدـ أـفـوـالـ الـمـفـرـضـينـ .

وـلـاـ كـانـ الـكـثـيرـونـ مـنـ الـذـيـنـ يـهـاجـونـ الـعـربـ وـالـإـسـلـامـ لـاـ يـتـقـيـدونـ فـيـ الـعـنـادـ بـقـوـاعـدـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـشـرـوـطـهـ وـلـاـ يـهـمـونـ بـالـوـقـائـعـ وـالـبـرـاهـيـنـ فـقـدـ اـضـطـرـ الـأـصـنـادـ (ـمـحـمـدـ كـرـدـ عـلـيـ) إـلـىـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ مـعـ هـوـلـاـ طـرـيـقـ الـجـدـلـ وـالـمـجـوـمـ المـعـاـكـسـ . هـكـذاـ عـنـدـمـاـ رـأـيـ مـؤـرـخـاـ أـمـرـيـكـيـ اـسـهـ (ـكـوـفـنـ Goveuـ) بـتـهـمـ الشـرـيعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ بـأـنـهـاـ «ـحـفـظـتـ فـيـ تـضـاعـيفـهـ شـرـورـاـ اـجـتـاعـيـهـ تـئـنـ مـنـهـاـ الـإـنسـانـيـةـ»ـ ، قـامـ يـرـدـ عـلـيـهـ بـقـوـلـهـ : «ـإـنـ الـكـاتـبـ الـأـصـبـيـ رـبـاـ قـالـ هـذـهـ الـجـلـةـ وـهـوـ لـمـ يـرـ فـيـ حـيـاتـهـ مـسـيلـ)ـ وـلـاـ قـرـأـ كـفـابـاـ مـعـنـدـاـ مـنـ كـتـبـ الـعـربـ ،ـ فـاـلـهـاـ بـدـافـعـ هـوـ يـعـرـفـهـ أـوـ فـاهـ بـهـاـ لـبـأـنـيـ بـالـفـرـبـ ،ـ وـأـمـيرـ كـاـمـدـ الفـرـائـبـ ،ـ وـهـوـ ،ـ لـوـ أـنـصـفـ اـفـسـرـ هـذـهـ الـشـرـورـ الـقـيـ اـتـهـ بـهـاـ الـإـسـلـامـ وـأـنـتـ مـنـهـاـ الـإـنسـانـيـةـ .ـ كـانـ الـإـنسـانـيـةـ لـمـ تـئـنـ مـثـلاـ مـنـ مـعـالـمـ الـجـنـسـ الـأـيـضـ لـلـأـسـوـدـ فـيـ أـمـيرـ كـاـمـاـ ..ـ وـكـانـ الـإـنسـانـيـةـ لـمـ تـئـنـ مـنـ الـحـرـوبـ الـدـيـنـيـةـ الـقـيـ أـهـلـكـتـ فـيـهاـ الـإـمـراـطـورـةـ (ـتـيـوـدـوـرـاـ)ـ وـحدـهـاـ نـحـوـ مـائـةـ أـلـفـ مـنـ الـمـانـوـبـيـنـ فـيـ أـوـاسـطـ الـقـرـنـ النـاسـعـ ..ـ وـكـانـ الـإـنسـانـيـةـ رـاضـيـةـ عـنـ أـعـمـالـ دـيـوـانـ التـحـقـيقـ الـدـيـنـيـ الـذـيـ قـلـ فـيـ اـسـبـانـيـاـ وـحدـهـاـ ،ـ كـماـ قـالـ «ـرـبـانـاـ»ـ نـحـوـ مـائـةـ أـلـفـ اـنـسانـ عـلـىـ أـفـلـ تـعـدـيلـ ..ـ (ـالـإـسـلـامـ وـالـخـفـارـةـ الـعـرـيـةـ ،ـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ ،ـ صـفـحةـ ١٣ـ -ـ ١٥ـ)ـ .ـ

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يندفع مع العاطفة وبغضب أشد الغضب اذا ما شعر بأدنى تحامل على العرب والاسلام . إلا أنه لم يكن ، من جهة ثانية ، يجهل ما يتطلبه البحث العلمي من حياد وتجدد وانصاف . وقد كان همه الأول تحرير الحقيقة والدفاع عنها بجهازه وقوه . فهو يقول : « والمهم في تاريخنا أن نقلبه كل مقلب لا ندلس فيه ولا نوالس لنفتر الحقائق في صورتها الجلية النافعة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٩٢)

ثم يصرح قائلاً : « وإذا أولع العرب بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من أرخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البدائيين بأمس المدنية . وما ادعى المسلمون فقط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ؟ بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وصلتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة الى أهل المدنيات الحديثة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ٥٥ ) .

وقد استحسن الأستاذ كل الاستحسان الجهد المبذولة بعد الحرب العالمية الاولى « لتوحيد التاريخ في العالم وتقليل مصادر الأحقاد بين الأمم » ، وأعرب عن اتفاقه في الرأي مع « طائفة من المقلة » في الغرب نرى نبذ كل ما يشير الى الحقد ويدعو الى الفتنه وبفك عرى الالفة » . ثم قال : « وإن يتم قيام هذا المجتمع الحديث إلا بتعاون الشرق مع الغرب تعاوناً حقيقياً يقوم على الحرمة المتبادلة والمصلحة المشتركة والمدل الذي لا ينجز . وللبشر اليوم مقصد أسمى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون اثر القرون وما زالت بحالها لم تورث الفوضى إلا اشتمئزاً . البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والآفكار أحوج ما كانوا الى التعارف والتعاطف وانصاف بعضهم بعضًا ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١٢ - ١١ ) .



هذا الكلام دليل قاطع على تحرر الأستاذ من التحيز والتعصب العامي  
كما أنه يشير إلى ما اتصف به من تفكير علمي وروح إنسانية .

### صادق الأفضل !

إن الأجيال المختلفة لا تتفاوت فحسب بل هي كذلك ينبثق بعضها عن بعض .  
فالجيل الناشئ يتلقى من الجيل السابق معظم تقاليده وعاداته ومفاهيمه وأفكاره  
وعقائده ، كما يرث عنه الكثير من المشاكل . وتتوقف صرعة تطور المجتمع  
على مقدرة الجيل الناشئ في حل هذه المشاكل وتحوير تلك العادات والتقاليد  
ثم في ابداع عقائد وأفكار ومفاهيم خاصة تستمد عناصرها من الماضي وتتلاءم  
مع الحاجات والأوضاع الجديدة . فالصلة بين الأجيال المتعاقبة قد تضعف  
أحياناً ولكنها لا يمكن أن تقطع مادام المجتمع قائماً ومحافظاً على كيانه .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من الأفذاذ النابغين الذين يمثلون جيلهم أحسن  
تمثيل ويعبرون عن مشاعره بأوضح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله  
خلاصة ثقافته وأضاف إليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة  
والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالقيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي  
سادت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن ينحوض غمارها ويلعب دوراً  
هاماً فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده .  
ومن هنا، أيها السادة ، لم يقتبس من أنوار الأستاذ الرئيس ولم ينهل من معينه ؟

لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) صلة الوصل بيننا وبين الجيل الماضي ،  
جيل محمد عبده وطاهر الجزيري فحسب ، بل أيضاً بين عصتنا والحضور الغابر  
من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها إلى الحياة في كتبه وكشف لنا عن  
روعتها وعلانها إلى معرفة حقيقتها وجوهرها .



وإذا كان الأستاذ قد بدرت منه في بعض الظروف اتفاقيات عنده  
وإذا كان قد وقع أحياناً في تناقضات صارخة ، فذلك أمر طبيعي ، لأنـه  
عاش في زمن كله ثورات وتناقضات وكان أولى الناس بالتعبير عن هذه الثورات  
والتناقضات ، شأنه في ذلك شأن كل العباقرة والتابعين الذين نذبلور فهم  
حياة عصرهم وتنعكس جميع الثيارات والاتجاهات . ومن حق العباقرة  
والتابعين أن يقبحوا لبعض التناقضات لأنـهم وحدـهم يستطيعون التغلب عليها .  
وإذا كـنا عاجزين عن التحليق مع الأستاذ الرئيس في الأجزاء الصافية  
فما أـجدـناـ بأنـ نـترـشـدـهـ فيـ مـتـابـعـةـ الـطـرـقـ الـقـيـمـ الـمـهـدـهـ لـنـاـ وـفـيـ تـحـقـيقـ الـأـهـدـافـ  
الـقـيـمـ الـمـهـدـهـ لـنـاـ وـفـيـ تـحـقـيقـ الـأـهـدـافـ .

وأـفـصـىـ ماـ أـرـجـوهـ هوـ أـنـ أـسـتـطـعـ الـقـيـامـ بـقـسـطـ مـتـواـضـعـ مـنـ هـذـاـ الـوـاجـبـ  
فـأـكـوـنـ بـذـلـكـ عـنـدـ حـسـنـ ظـنـكـمـ وـالـسـلـامـ عـلـيـكـمـ . . .

محمد كامل عياد



## الإفصاح عن أبيات مشكلة الإيضاح للفارقي

ولا

## توجيه إعراب أبيات ملْفَرَزةِ الإِعْرَابِ لِلرُّمَانِيِّ

كُنَّا أَنَا وَالسِّيدَانُ عَزَّ الدِّينُ التَّنْوُخِيُّ وَسَعِيدُ الْأَفَانِيُّ فِي بُونِيَّةِ الْمَاضِيِّ تَفَرَّجَ فِي  
مَقْرَبِهِ الْمَاهِرِيْنَ بِدِمْشَقَ وَتَجَاذَبَ أَطْرَافَ أَحَابِثَ هِيَ الَّذِي مِنَ السَّلْوَى لَدِي  
كُلِّ عَارِفٍ . وَسَأَلْتُ الصَّدِيقَ الْكَرِيمَ الْأَفَانِيَّ عَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِ مِنْ طَرَائِفِ  
الْأَعْلَاقِ وَضَنَائِنِ الْأَسْفَارِ فِي رَحْلَتِهِ إِلَى الْغَرْبِ وَالْمَغْرِبِ سَنَةَ ١٩٥٦ هـ فَأَخْبَرَنِي  
بِكِتَابِ الرُّمَانِيِّ هَذَا وَلَمْ يَزْدِنِي فِيهِ شَبَيْثًا .

إِذْ جَاءَنِي كِتَابٌ مِنْ مَعَالِي الْأَسْتَاذِ الْزَّرْكَلِيِّ مِنَ الْرِّبَاطِ أَخْبَرَنِي فِيهِ  
بِصَدْورِهِ مِنَ الْمَطْبَعِ ثُمَّ لَمْ يَضُعْ أَيَامَ الْأَلْأَبَّ وَكِتَابَ الصَّدِيقِ مَايُلُّ أَمَامَ عَيْنِي  
٢٣/٩/٥٨ م دَالَّاً عَلَى وَدَهُ وَصَفَاهُ .

وَمِنْذْ تَنَاوُلَتْ نَسْخَتِهِ مَا زَالَتِ الشَّكُوكُ تَخَالِجُنِي وَالرِّبَّ وَالْأَوْهَامُ تَسَاوِرُنِي .  
وَمَا تَفَلَّفَتْ إِلَى أَعْمَاقِهِ وَعَرَفَتْ أَنَّ صَاحِبَ الْكِتَابِ يَرْوِي عَنْ أَبِي عَلِيِّ الْفَارَسِيِّ  
(م ٤٣٧٧) وَأَبِي سَعِيدِ السِّيرَافِيِّ (م ٤٣٦٨) وَالرُّمَانِيِّ (م ٤٣٨٨) عَصْرِيهِما<sup>(١)</sup>  
وَفِي طَبَقَتِهِما ، وَزَادَ ضِيقَتِهِا عَلَى إِبَالَةِ أَنَّهُ شَرَحَ لِمَعَ اهْنَ جَنْيَ (صَاحِبُ أَبِي عَلِيِّ)  
الَّذِي نَبَغَ فِي آخِرِ حَيَاةِ الرُّمَانِيِّ وَبُعْدِ وَفَاتِهِ) – جَزَّمَتْ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِلرُّمَانِيِّ أَبْقَةً .  
وَكُنْتُ أَذْكُرُ لِلْحَسَنَ بْنَ أَصَدَ الْفَارَقِيَّ أَبِي نَصْرَ الشَّاهِرَ الْكَاتِبَ الْخُوَويِّ  
الْمَقْتُولَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ الَّذِي تُرْجِمَ لَهُ فِي الْأَدْبَارِ (٤٢/٣ - ٤٤) وَالْأَنْبَاءِ  
(١/٢٩٤ - ٢٩٨) وَعَنْهَا فِي الْفَوَاتِ وَالشَّذَرَاتِ وَغَيْرِهِمَا – مَوْلَانًا فِي الْمَعْنَى .

(١) وَأَخَذَهُ مِنْ أَبِي بَكْرِ السَّرَّاجِ وَابْنِ درِيدِ كَمَا أَخَذَهُ عَنْهَا .



فراجعتُ جزائي الذي كنت علّقته في رحلة سنة ١٩٣٦ وفهرست دار الكتب  
ومجلة المجمع فوجدت :

أن الأوصاف عن أبيات مشكلة الإبضاح للفارقي توجد منه نسخ ومعظمها  
أجل وأقدم من نسخة باريس . إحداها بولي الدين بايزيد برقم ٢٨١٨ بقطع  
صغير في ٨٥ ورقة . وأخرى بالدار (فهرس الخوا ١٢٠) أوطا : أطال الله  
بقاءك وأدام عزتك ونماءك<sup>(١)</sup> وحرس نفسك وعلاءك أنت . وهي من مقتنيات  
الشنبطي في ٢٧١ ص والمسطرة ١٥ عن نسخة كتبت سنة ٦١٣ هـ .  
وفيها ص ١٥٨ جاء ذكر مختصر الأوصاف سمّي فيه الأصل الفاز الأعراب  
في مجموعة الشنبطي برقم ٣٦ . ولم يذكر هذا المختصر لعز الدين الزنجاني (والريhani  
تصحيف) المتوفى سنة ٦٥٤ . ومنه نسخة في خزانة بيت الجوهرى ببابلسا  
جاء ذكره في مجلة المجمع ص ٤٥٥ سنة ٢٤ م نسخة سنة ٦٦٠ . كما جاء  
فيه ذكر نسخة أخرى في ٩٧/٥ ولكنني لست أملك هذه المجلدة .  
فظهور أن هذا خطأ عظيم أفسد على الصديق عمله وحرمه المعارضه بعده نسخ  
جليلة كانت منه على طرف الشام قرية المتناول . كما حرم الفارقي البائس  
المسكين مؤلفين له من أبيل ما كتبه في حياته وذكرهما كل من ترجم له  
فلم يبق ما يدل على حياته . هذا على أن إضافتها إلى ثبت مؤلفات الرماني  
وهو في صفحتين مكتنزتين ما كان يعني عنه فتيلًا . إذ لم يُعرف له ألف سنة  
مضت على وفاته وقد نال دونها شهرة لا يستهان بها . فلم يذكرهما له أحد  
من ترجم له . والثابت على نسخة باريس ليس يخط الأصل كما هو ظاهر .  
فاما أن يكون هذا الكتاب المتأخر اختلط عليه الحابل بالنابل أي الفارقي  
بالرماني . أو أن يكون لما وجد الكتاب غفلاً ثبت عليه اعم كتيب للرماني .

(١) والأسماع الثالثة بالمدّ لا بالصر كما في المطبوع . م (١٣)



في المعرفة نفسه وإن ثبت أنه له . وذلك أن فهرست الدار المذكورة نفسها تذكر في ص ٧٩ الألفاظ التحوية للرماني أوله : الحمد لله على فضله وكرمه الخ . ٣٠ ش مخطوطه بقلم مغربي . وهذا كما ترى غير المطبوع ، ثم رأاه بروكلاس فتبصره ولم يوفق لاستخراج الحقيقة وربما يكون عرف إفصاح الفارقي فذكره في كتابه ولم يفرغ للمراسخ فقد نبه من أني بعده ، ثم إلى اليوم هم جرأا .  
وهذه بعض معلومات على المطبوع :

١ - قوله في ص ١٢ : لا يُعرف من مؤلفات الرماني غير ثلاثة - زد إليها رباعياً وهو شرح أصول ابن السراج ومنه قطعة في مجموعة برقم ١٠٧٧ بكتبة بخانة سليم آغا في اسكندرية من ق ٢٩٥ - ٣٢٦ . وخامساً وهو ثلاثة أجزاء من شرح الكتاب الثاني والرابع والخامس بأرقام ١٩٨٤ و ١٩٨٧ و ١٩٨٦ في ١٨١ و ١٩٧ و ٣٩٧ ورقة ولاية بكتبة بخانة فيض الله ، أملاه سنة ٣٦٢ هـ .

٢ - على قوله ص ٢٥ : هنا فرق كبير بين أبيات المعاني وبين الألفاظ التحوية التي أللها الإفصاح . وقد كان الرماني سبقه بالتأليف فيها وتأخر عنه ابن هشام وخالد الأزهري وقد طبع كتاباهما ولا يبي سعيد بن ابْ لِبْ منظومة مشروحة طبعت في <sup>(١)</sup> الأشباه للسيوطى . ولابن عربشاه كتاب فيها إلى غيرهم . باليت صدقي كان عارض عمله بها وفارق .

٣ - قوله ص ٣٠ : ينتد إلى مائة سنة - ولكن ذلك لا يحتاج إلى امتداد في عمره وإنما بنقل كلام ثعلب <sup>ك</sup> نقله نحن الآن من دون أن ندركه .

٤ - في ص ٧١ : دام ليلى تجلّى همني  
غير متزن ولا متهمن . وهو شطر روف في الكامل ٧٩ :  
فتام ليلى وتجلّى همني

<sup>(١)</sup> ٣٠٢ / ٢ ولم يعرف لمن هي وقد عرفنا صاحبها من الجزءة ٤٦٦ / ٣ .  
وترى في الأشباه جزءاً كبيراً في الألفاظ .

- وكذا الصواب من النوم في الكلمات الآتية على ما في الأصل لا كاً غيره في المتن .  
والبيت برقم ٥٥ لرجل من أصوص البحرين على ما في الكامل ٢٠٠ طبعة ريط .  
٦ - في ص ١٣٤ : وجه الكلام وصوابه : أنسناه أبو إسحاق (يريد  
الزجاج لا غير) [في] المصنف لأبي عبيد . والبيت برقم ١٢٦ من معروف  
شعر عنترة في طبعات ديوانه وحيط اللآلئ ٨٣ وحماسة ابن الشجاعي ومشر وحاجا  
في الخزانة ٣٦٢ والعيدي ٣ / ١٧٥ .
- ٧ - في ص ١٨٥ : في بيت الربيع بن ضبيع وجاء مصححاً (ولا أصادوا)  
ولم أجده مع طول البحث المقطوعة التي منها البيت ليُعرف أهو من همزته  
أو دالّيته اه - المقطوعة همزبة معروفة وكانت نشرتها في مجلة الزهراء ٤ / ٢٣٥  
عن النجاشي قبل نشره وهي في طبعته هذه ١١٩ وهي في المعمرين برقم ٦  
والمرنفى ١ / ٢٥٥ وشرحى أدب الكتاب لابن السيد والجواليقي ٣٦٩ و ٤٦٦  
والخزانة ٣ / ٣٠٦ . والبيت منها اذا عاش الفق ، البيت من شواهد الكتاب  
كتاب سيبويه .
- ٨ - في ص ٢١٢ : الطافظو عورة ، البيت ليس لابن الخطيم وإنما هو من  
كلمة في الروي لعمرو بن قيس الخزرجي وقد خرجته في الخزانة السلفية  
٤ / ٢٥٥ .
- ٩ - في ص ٢٣٠ البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي عناء إليه سيبويه  
١ / ٢٠٠ . وفتية فيه مصغر فتاة ولا يجوز فتنة فإن البيت لا يتزن معه .

(كراتشي) ١٩٥٨ / ٩ / ٢٦  
شجر العزيز الميني

— ٠ —



## مستدرك

## على تصويبات في الوفي بالوفيات

اطلعت في العدد الأخير من مجلة بحوثاً علميًّا العربي (المجلد ٣٣ ص ٦٩٢) على الملاحظات القيمة التي أبدأها السيد الأستاذ رشدي الحكيم على أوهام حصلت في الجزء الثالث من الوفي بالوفيات لـ الصندي، فنذكرت أنني كنت علقت بهماش الجزئين المطبوعين (الثاني والثالث) من هذا الكتاب تصويبات قليلة تخص «الأعلام والجغرافية»، فترجمت إليها ونقلتها، وهي التي أبادر بتقديمها إلى المجلة عسى أن تفيد الناشر المحقق إذا ما أعاد طبع الجزئين المتقدمين من «الوفي».

الجزء الثاني :

جاء في ص ١٥ مطر ١٩ — قوله : «أشدنا له أبو يحيى بن عاصمة»،  
والصواب : ابن عاصمة، وهو أديب تونسي مشهور، رحل إلى المشرق  
واجتمع بوجوه من أعلام كتابه وأدبائه، وعاد إلى بلده<sup>(١)</sup>.  
ص ٣٩ مطر ١٤ — (في ترجمة أبي العرب الأفريقي الملاكي) وقد عد  
من مصنفاته . . . «فضائل مكة»،

والصواب : «فضائل مالك»، بن أنس الإمام المدني صاحب المذهب .  
ص ٢٥٢ مطر ١٥ — في ترجمة (محمد بن بكسرى الظاهري) قال . . .  
«وكان كاتبًا مطبعًا كتب الكثير من المجلدات وال ربوات الفصاح»،

(١) هو عثمان بن هشيق القيسي المعروف بابن عاصمة، أبو عمرو، ولد بتولس وبهـ توفي سنة ٦٥٩هـ (ترجمة التجالى في رحلته وكذا الصدرى في تهيد رحلته).

والصواب : . . . كتب الكثير من المجلدات والرباعات بالفضائح ، وهو نوع من الخط النسوب في الأقلام السبعة التي كانت شائعة في عصر المماليك ، وقيل ممی بذلك لأنه ينفع صاحبه اذا كتب به ولم يجد له . والغريب ان في الأصل المنبع منه وردت الكلمة على صوتها وصيغها الناشر بما تقدم ، والمعنى لا يستقيم اذ لا معنى للرباعات الفصاح .

### في الجزء الثالث :

ص ٤٧ سطر ٣ — (في ترجمة محمد بن خلوف) . . . «من أشراف أهل ناحية القمع ورؤسائها» ،

والصواب : . . . من أشراف (ناحية القمع) وهي من المداين المشهورة بالبلاد التونسية من ناحيتها الغريبة ، وإنما نسبت ناحية هذه الى القمع لاشتهر أرضها بانتاج هذا النوع من الحبوب ، وأيضاً للتفريق بينها وبين (ناحية الزيت) بلدة صغيرة بالاساحل التونسي معروفة بكثرة زيتونها وبصنع الزيت (راجع معجم البلدان لياقوت — في ناحية) .

ص ٦٩ سطر ١٨ — (في ترجمة محمد بن ريم) جاء انه من قرية تونس ،  
والصواب : من قرية بنوش ، وكانت موجودة بالاساحل الشرقي من القطر التونسي بقربة من بلدة الشابة اليوم (راجع معجم البلدان — في بنوش)  
اما مدينة تونس وهي عاصمة البلاد فلا يصح أن يصفها الصندي بقرية .

(تونس)

حسن حسني عبد الوهاب

— ٥٥٥ —

ملاحظات<sup>(١)</sup>

على الجزء الثالث من كتاب الوفي بالوفيات  
لصلاح الدين خليل بن ابيك الصندي  
باعتناء الأستاذ ( ديدريينغ )

- ٣ -

ص ١٢١ : في ترجمة ابن حيوس أنه استخلف من قبل الحكم على الفرايس  
والتزويجات : مكان ( من قبل الحكم ) .

ص ١٢٤ : في ترجمة الحناظ الرعيري الأدب الأندلسي ( وكان بنادي  
أبا عاص بن شهيد ) : والصحيحة ( كان بناوي ) كما جاء في ترجمته في  
كتاب المغرب في حل المزرب لابن سعيد . والحناظ بالطاء المهملة لا بالظاء .  
ص ١٢٩ : محمد بن سليمان الغاني ، والصحيحة الغابي بالباء لا بالنون نسبة إلى  
الغابة قرية من كورة اشبيلية . وله ترجمة في المغرب لابن سعيد ١ : ٢٩٥ .

ص ١٢٩ :

وكم يكيد له الذكرى هو نقيت منه صباة عهد غير معهود  
بما ارتفعه وما زالت تمتد به الى التصايب عيون الخرد العيد  
لعله في البيت الأول : ( وكم يعيده له الذكرى ) . وفي البيت الثاني :  
( وما زالت تميل به ) باللام .

ص ١٣٥ :

أين الشنايا التي اذا ابتسست او نطق لاح اوله تضيئ  
وقد وضع تحت الفضاد من نضد كسرة والصحيحة نضد محركة .

(١) تمت ما ذكر في ( المجلد ٣٣ ، الجزء ٤ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٤ ) من هذه الجلة .

ص ١٥٣ :

جاذبَ دُرْتِي وقد تَضَدَّه كِلَّا يُروق سمع الورى درَا يَتَحَلَّب  
وهي تُخْشِلُب .

ص ١٥٢ : لأن ناصر الدين شافعًا كان قد عمي بأخره رحمه الله كلاً :  
والصحيح (كان قد عمي بأخرة رحم الله كلاً) وأخرة محركة وبآخرة آخر  
كل شيء كافي القاموس والصلاح الصندي يستعملها كثيراً في نكت المميان .  
ورحم الله كلاً أي كلاً من ابن الوحيد وناصر الدين شافع .

ص ١٥٥ :

فالنار ما اشتعلت عليه ضلوعه ولماه ما سمحت به أجنفانه  
والصحيح (ما سعّت) على ما في الأغاني وغيره .

ص ١٥٩ :

أبا حسن هل جاز في الحب قبلها لمستسلم من أن يطاح له دم  
والأصح (من أن يفاح) بالفاء لا بالطااء .

ص ١٦٥ : وأضر بأخره . والأصح (وأضر بأخرة) .

ص ١٦٧ : قال ابن الجوزي في المرأة : المرأة لسبط ابن الجوزي .

ص ١٩٢ : — لكنها خطرات من وصاؤه — بكسر الطاء والصواب  
خطرات بفتحها .

ص ١٩٦ :

كانتقصد من إحدا ث أزمانـيـ ازمنـيـ  
ربـاـ كانـ الأولىـ (منـ أحـدـاثـ اـزـمـانـيـ)ـ .ـ أحـدـاثـ جـمـعـ حدـثـ وـإـزـمـانـيـ  
مـصـدرـ منـ أـزـمـنـهـ أـصـابـهـ بـعـاهـةـ .ـ

ص ٢٠٤ :

أفي كل صدر منه صدر كتبية وفي كل حرف غارة وكين  
ولهل الأولى (صدر منه) والضمير عائد للكتاب .

ص ٢١٢ : طلما كثر الأنصار يوم اليأس ، والصواب ( يوم اليأس ) بالباء .  
ص ٢١٢ : والوصايا كثيرة والتقوى زمامها وإمامها ، إذا تقدم كل جماعة  
أمامها إمامها .

أرجح أن (أمامها) الأولى بضم الأول يعني الجامع للخير ، ( وكل )  
بالنسبة على أنه مفعول لتقدم الفاعل (أمامها) الثانية .

ص ٢٣٠ ص ٢٠ : صنة خمس عشر : ( سنة خمس عشرة ) .

ص ٢٣٩ : وتزوج بأخره : ( وتزوج بأخرة ) .

ص ٢٣٩ : وبكتب خط رديا : ( ردئا ) .

ص ٢٤٣ : وسمع بقراءتي مجمع الشیخ علی بن العطار . ولعله ( مجمع الشیخ  
علی ابن العطار ) ، وعلى هنا حرف لا اسم .

ص ٢٤٧ : وتم تصنیف الاحکام : ( وتم أو أتم ) .

ص ٢٥١ :

أنقب ظهر الأرض ناشد صادق صديق فهل من منشد فيشابا  
( فيشابا ) بالباء .

ص ٢٥٣ : وله أصحاب ومربيون : ( ومردون ) .

ص ٢٦٥ :

رويدك يا بدر النّاجم فاني أرى العين حسرى والكواكب طلما  
ولعل الشطر : ( أرى الشمس حسرى والكواكب ظلما ) بالظاء .

ص ٢٧٣ :

أم السباء أتاجتنا زواهرها أم مخدى الروض قد أهدى لنا زهره  
لعل الصواب ( أباختنا ) .

ص ٢٦٦ :

والجد قل عابد الرحمن لا ألف من قبل باه وسكن باه نصب  
(وسكن باه) فاذا حذفنا الألف من عابد الرحمن وسكننا الباء يخرج هنا  
حاصل الضرب والطرح عبد الرحمن اسم جده .

ص ٢٧٩ : خرجنا بتفوي مكة مجاجاً وعمارا  
فلا بلغ الحيرة حادى جمي حارا  
فضادنا بها ديرأ ورهاناً وخارا

هذه الآيات الثلاثة أثبتت ثرآ في حين كان يتبين أن ثبت شرعاً .

ص ٢٨٠ :

لا تؤمن اذا حوت فضيلة من العلم من نيل المرام الا بعد  
والصواب (في العلم) ليستقيم البيت .

ص ٢٩٢ :

ووجد أناخت بالباد ركبـ له حين زمت للحـيب رـكبـ  
والصواب (بالفـاد) بالفاء ولعلها خطأ مطبعي .

ص ٢٩٢ :

وفكري وصيري ذاك ترداد وصلـ وهذا له عنـي نـوى وذهـاب  
ولـملـ الـأـولـيـ (يزـدادـ وـصلـهـ) .

ص ٢٩٤ :

أبا صريم لولا حسين نطالعـ طـليـكـ سـهامـ منـ أـخـ غـيرـ فـاـيلـ  
ولـعلـهاـ (نـطـلـقـتـ) بـالـقـافـ .

ص ٣١٥ :

اـذاـ كـنـتـ عـنـدـ الجـدـ فـيـ الجـدـ عـمـدةـ وـلاـ أـنـتـ عـنـدـ المـزـلـ تـصلـحـ للـهـزـلـ  
وـأـرجـحـ أـنـ تـكـونـ (فـلاـ أـنـتـ عـنـدـ الجـدـ) .



ص ٣٢٣ : وكان شجاعاً جرئاً : (جريئاً) .

ص ٣٢٤ :

فكم أنت تنهى ولا تنهى وتسمع وعظماً ولا تسمع  
فيما جرى الشجد حق مفي نسق الحديد ولا تقطع  
وربما الأصح (ولا تسمع ولا تقطع) للبناء لالمعلوم .

ص ٣٢٤ : ما هذه دار سلام : ولعلها (ما هذه دار إسلام) .

ص ٣٢٦ ص ١٧ : إلى أن حان الليل بينهم : والأولى (حال) باللام .

ص ٣٢٨ :

لا تقبلنَ المدح ثم تُعوّذ فتقام والشعراء غير نيمام  
بتشديد الواو من تعوذ وتعلل الصواب تعوذ بالخفيف .

ص ٣٣٥ :

وات يوماً أراه فيه أحسبه أسر يوماً من الدنيا وأبركه  
والصواب (أمر يوم) .

ص ٣٣٥ :

إذا جانبت مقدراً عليها كبار ما جنت كف الاتهيم  
فلا تستكثري لمي فاني سأقدم في الحساب على كريم  
وكنبت جانبت بضمير المخاطب وإنما هي بضمير المشكل .

ص ٣٣٨ : مع حظ وافر من الأدب وحفظ الأشعار والطب والأقرب  
أن تكون (والخطب) .

ص ٣٣٨ ص ١٨ : وربما تفدي منه : والأقرب أن تكون تفدي  
بالدال المهملة .

ص ٣٤١ :

ولقد توسط في الأرومة منزل وسطاً فصار موازياً للكوكب  
(هزاً) .

ص ٣٤٢ :

وان ثرثعوا عنا يد الظلم تخبووا لطاعتكم منا نصيبياً مؤخراً  
ولهل الصواب (تخبوا لطاعتكم) و (نصيبياً موفراً) بالفاء .

ص ٣٤٢ : أطعم طماماً فات منه ببطوناً بالحضررة سنة أربع عشرة وأربع مائة  
مشرقاً على الستين واتهم به جماعة من كان هجاهم . والصواب (من كان هجاهم)  
والترجمة واردة بالحرف الواحد في نكت المحيان .

ص ٣٤٣ : قال علي يوماً لفاطمة وهي تبكي لم تبكين ألاخذت منك فدك ؟  
والصواب فدك بالفاء لا فدك يعني انتهي .

ص ٣٥٢ س ١٤ : وجاؤز بعكة سنين عديدة . ( وجاور ) وهي من  
خطأ الطبع .

ص ٣٦٣ :

اقصر فقد صحت نفحة أهلها ومن الشفور كاعن الأبيغر  
وصوتها (الأبيغر) بالباء .

ص ٣٦٨ :

يا أيها الملك المنصور قد كسرت جنودك المفل كسر ماله جبر  
(كسرأ) .

رشدي الحكيم

www.alukah.net



## العنوان

في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان

ل المؤرخ دمشق النعيمي

عني عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى سنة ٩٢٧هـ)<sup>(١)</sup>  
بالحديث وبالتأريخ ، فلقبه معاصره بـ « المؤرخ دمشق » وبشيخ السنة النبوية بها<sup>(٢)</sup> .  
أشهير بكتابه « تنبية الطالب » الذي ذكر فيه ما كان بدمشق من المدارس  
والزوايا والرباط والمساجد<sup>(٣)</sup> . وهو كتاب نادر ، لا يجد بين أبدينا اليوم مثله  
عن المواصم العربية الأخرى .

خلف النعيمي آثاراً في التاريخ فقدت . وقد عثرنا له أخيراً ، في الخزانة  
الشيمورية بالقاهرة ، على كتاب اسمه « العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل  
الزمان » فرأينا أن نعرف به هنا .

يترجم النعيمي في كتابه هذا لمدد كبير من العلماء الذين أدر كهم في دمشق  
ومصر ، في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين . وقد بدأ كتابه بقوله :  
« وبعد ، فهذه الورقات سميتها العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان .  
« نذكرهم على وجه الاختصار . ومن أراد بسط ذلك فعليه بكتابي « التبيين  
« في تراجم العلماء والصالحين » ، وبكتابي « تذكرة الإخوان بحوادث الزمان » .

(١) اظر عنـه كتابـنا : المؤرخـون الدمشـقـيون وآثارـمـ الخطـوطـة ، والمـصـادرـ المـذـكـورةـ  
لـيهـ - وكـذاـكـ مـلـمـنـاـ لـكتـابـ قـضاـةـ دـمـشـقـ لـابـنـ طـولـونـ .

(٢) طـبعـ بـتـحـقـيقـ الـأـمـيرـ جـمـعـ الـحـنـفـيـ باـسـمـ « الـدـارـسـ فيـ قـارـيـنـ الـمـارـسـ » . صـدرـ  
فيـ دـمـشـقـ هـامـ ١٩٤٩ـ وـ ١٩٥١ـ ( مـطـبـوـعـاتـ الجـمـعـ الـعـلـيـ الـمـرـيـ ) .

رتب النعيمي الترجم على طبقات فقال :

«أنا أرب من دركت على ثلاث طبقات :

«الأولى : فهن أخذت عنه علم ، أو روبت عنه شيئاً ، إجازة »

«أو إذناً ، أو حضوراً ، أو سماعاً ، أو قراءة ، أو نحو ذلك .

«الثانية : في الأصحاب والأفران .

«الثالثة : في الاتباع .»

فيكون الرجال المترجم لهم من الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن التاسع والربع الأول من القرن العاشر .

وقد رتب النعيمي هذه الترجم حسب مولدها . قال : «أنا أرتهم على حسب موالدهم .» ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان في مسودة المصنف ثم بدلته بعض الطلبة . يقول النعيمي :

«وقد اسْتَعْارَهَا مِنْ بَعْضِ فَضْلَاءِ الْطَّلَبَةِ الْمُصْرِيَّينَ ، فَرَتْهُمْ عَلَى حُرُوفِ الْعِجَمِ ، فَقَدْمَ الْمُؤَخَّرِ وَآخِرَ الْمُقْدَمِ ، عَلَى حِسْبِ مَا أَرَادَ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .»  
 وقوله : لا قوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، يُشَعِّرُ بِأَنَّهُ غَيْرَ راضٍ عَمَّا فَعَلَهُ الْطَّلَبَةُ الْمُصْرِيُّونَ .  
 ثُمَّ وَقَتَ هَذِهِ النَّسْخَةُ لَابْنِ الْمُؤْلِفِ يَحْيَى . فَذَبَّلَ عَلَى أَبِيهِ بَخْطَهَ قَائِلًا :  
 «يَقُولُ كَاتِبُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَبُوزَكْرِيَا يَحْيَى ابْنُ الْمُؤْلِفِ»  
 مُؤْلِفُ هَذِهِ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى ذَلِكَ بِالْعَنْوَانِ فِي ضَبْطِ مَوَالِدِ وَوَفَيَاتِ أَهْلِ الزَّمَانِ ،  
 جَمِيعَ وَاللهِ كَاتِبُهُ هُوَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخُ الْإِمامُ  
 العَلَامَةُ الْمُعْدَدُ . . . .

«اسْتَغْرَتُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ أُحِقَّ بِهَذَا الْمُؤْلِفَ مَوَالِدَ جَمَاعَةِ الصلَاحِ  
 وَالْفَضَّلَاءِ الَّذِينَ انْتَشَرُوا (كَذَا) فِي هَذَا الزَّمَانِ وَغَيْرِهِ . . . .»



وقد صارت هذه النسخة المخطوطة إلى أحمد رافع الطهطاوي . وكانت  
وقد على مسوقة المصنف نفسه ، فعارض النسخة بها وصححها ، وبه في  
الحواشى على أخطاء كثيرة وردت في النص .

وهما نحن أولئك نقدم أنوذجين من ترجمات النعيمي ، وملاحظات  
الطهطاوي .

- ١ -

«ومنهم قاضي القضاة حافظ مصر شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي  
ابن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن ججر ، وبه اشتهر ، ابن أحمد ،  
المسفلاني الأصل ، المصري ، الشافي .

«ولده بصر العينة . ويميلاده ثالث عشرين شعبان سنة ثلاثة وسبعين  
وسبعين مئة . وأول صيامه الحدب كان يمكث صنة خمس ، وثمان مئة . وتوفي  
ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة الثنتين وخمسين وثمان مئة بالقاهرة .  
وقد ذكرت له ترجمة بخطي في كراسين بأول شرحه فتح الباري .

(حاشية بخط الطهطاوي : قوله صنة خمس ، وثمان مئة صوابه خمس وثمانين  
وسبعين مئة . وكان عمره إذ ذلك الثنتي عشرة سنة . ذكره الحافظ ابن ججر  
نفسه في المجمع المؤسس<sup>(١)</sup> . كتبه أحمد بن رافع الطهطاوي الحنفي  
عني عنه . )

(١) يعني المجمع المؤسس للمجمع المدرس الذي جمع فيه أسامي شيوخه وهو مايزال .  
مخطوطاً . الفخر ناصر المخطوطات المchorة . التاريخ ١ : ٢٣٠ .

- ٣ -

«ومنهم العلامة فاضي القضاة المالكية بدمشق علم الدين وبِقَال انير (كذا) الدين » أبو النجا سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي <sup>(١)</sup> .  
 « ميلاده سنة صبعم وأربعين وسبعين مئة ، وتوُّي [قضاء] قضاة المالكية بدمشق في سنة ثلث وأربعين وثمان مئة . وتوفي بالمدرسة الشرابيشية <sup>(٢)</sup> قبل الأُصْدبة ، داخل دمشق ، في تاسع صفر سنة ثلث وأربعين وثمان مئة » .  
 ودُفن من جانب (كذا) الشمالي من مقبرة الحمدية <sup>(٣)</sup> (كذا) .  
 (حاشية بخط الطهطاوي : الذي بخط المؤلف : وبِقَال زين الدين .  
 كتبه أحمد رافع عُفي عنه) .

★ ★

والخطوط في ٦٠ صفحة . ومن ص ٦١ يبدأ ذيل ابن المؤلف وينتهي في ص ٦٥ . وقد وفه أحمد بن إسماعيل بن محمد نيمور . ورقة في التيمورية ٢١٩٣ تاريخ . والكتاب يُكمِّل النصوص التي بين أبداًنا عن تراجم رجال القرن التاسع والقرن العاشر ، كالضوء للسخاوي ، والكونواكب للغزى ، وزرائم الأعيان للبوربني ، وذخائر القصر لابن طولون ، وغيرها .

## صلاح الدين المجد

(١) النظر : قضاة دمشق لابن طولون (من تحقيقنا) رقم ٤٠٠ . وهذه الترجمة لکمل ما ذكره ابن طولون .

(٢) النظر عنها الدارس للنبي ٢ : ٧ .

(٣) صوابها « الحمرية » . عرفت كذلك في القرن التاسع ، وهي مقبرة الحميريين . النظر عنها كتابنا خطوط دمشق من ١٢٦ : تاريخ دمشق ، الجملة الثانية (تحقيقنا) ص ٩١ ، ١٤٤ .

# فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

- |     |  |                                 |
|-----|--|---------------------------------|
| ٣   | قصيدة منصور النمراني في الرشيد . . . . .         | للأستاذ خليل صردم بات . . . . . |
| ١٤  | أسماء الشهور في المريمية . . . . .               | للأمير مصطفى الشهابي . . . . .  |
| ٢٠  | العلاقات الجوهرية بين اللقتين المريمية والإرامية | المطران غريفوريوس بولس بونام    |
|     | «المريلية» (٣) . . . . .                         |                                 |
| ٣٥  | مروجان أحمد شوقي . . . . .                       | للدكتور صامي الدهان . . . . .   |
| ٤٢  | شاعر العرب . . . . .                             | للأستاذ شفيق جبرى . . . . .     |
| ٤٨  | الوصف والغزل في شعر شوقي . . . . .               | للدكتور صامي الدهان . . . . .   |
| ٦٦  | نشر شوقي . . . . .                               | للدكتور شكري ف يصل . . . . .    |
| ٨٨  | مجمجم المصطلحات الطبية الكثيرة لافتات . . . . .  | للدكتور حسني سبع . . . . .      |
| ١٠٠ | مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (١)           | للدكتور صالح الأشتر . . . . .   |
| ١١٢ | كتاب النفنون لابن باجة الأندلسي (٥) . . . . .    | للدكتور محمد صفير حسن المصاوي   |

## التعريف والنقد

- |     |                                      |  |
|-----|--------------------------------------|--|
| ١٢٧ | ديوان ابن الخطاط . . . . .           | الدكتور صامي الدهان . . . . .          |
| ١٣٣ | الثقافة الإصلاحية في الهند . . . . . | { للأستاذ محمد بهجة البيطار . . . . .} |
| ١٣٨ | ديوان السيد موسى الطالقاني . . . . . |  |

## آراء وأنباء

- |     |   |                                       |
|-----|---|---------------------------------------|
| ١٤٥ | أعضاء الجمع العلمي العربي في سنة ١٩٥٩ = ١٣٧٨ م . . . . .                              |                                       |
| ١٤٥ | الأعضاء العاملون . . . . .  |                                       |
| ١٤٥ | الأعضاء المراسلون . . . . .   |                                       |
| ١٤٧ | الأعضاء الراحلون . . . . .  |                                       |
| ١٥٠ | انتخاب عضو جديد . . . . .   |                                       |
| ١٥١ | كلمة الدكتور جبيل صليبا في جلسة استقبال الدكتور محمد كامل عياد حضوراً عاماً . . . . . |                                       |
| ١٦٥ | كلمة الدكتور محمد كامل عياد . . . . .   |                                       |
| ١٩٢ | الإصلاح من أبيات مشكلة الإيضاح للفاروق . . .  | للأستاذ عبد العزيز الميسي . . . . .   |
| ١٩٦ | مستدرك على تصويبات في الوفي بال Liberties . . .                                       | للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب . . . . . |
| ١٩٨ | ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب الوفي  | للأستاذ رشدي الحكم . . . . .          |
|     | { بالولايات (٢) . . . . .   |                                       |
| ٢٠٤ | العنوان في ضبط موايد ومواليات أهل الزمان . . .  | للدكتور صالح الدين النجاشي . . . . .  |